سبتمبر ١٩٤٦ — ٣ قروش

المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

بعض ما تقرأ في عددنا القادم اكتوبر ١٩٤٦

ملك الجزيرة العصامي : هذا كاتب أمريكي يرسم صورة حيّة نابضة بالقوة ، لحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

الرجل الذي أبى أن يعترف بالهزيمة : زنجي من زنوج أمريكي ، صار في طليعة علماء الكيمياء ، وأتاح للحوامل ما ييسّر لهن الحمل والولادة ، وللشيوخ ما يردّ عليهم النشاط — كان جدّه عبداً رقيقاً ، وأبت جامعة من جامعات البيض أن تعيّنه أستاذاً فيها . قصة تلهم العزيمة وتلهم الجهاد .

الشخصيات التي لا تنسى : الحياة بعد الموت ؟ لم يكن مؤمناً بها . ثم حدث — وهو على فراش الموت — ما بيّن له أنهُ كان قد ضلّ الصواب . الكاتبة سيجن توكسفيج تحدثك عن أبيها الحبيب المرتاب . . . وعن المعجزة التي حملته على تغيير رأيه .

حواس الحيوان المرهفة : يستطيع ذكر الفراش أن يستروح أنثاهُ وهي تبعد ميلاً عنهُ . ويستطيع طائر « أبو الحنّ » أن يسمع وهو على فنن الشجر ، صوت دودة تتحرّك تحت سطح الأرض . حواس تفوق في دقتها أدق أجهزة العلماء . وهذه طائفة من أعجب رواياتها .

أفتك الحروب : الجراثيم — لا القنابل الذرّية — قد تكون السلاح الذي يُسلّ في حرب تالية . صورة مروّعة لما عكن أن يكون من هجوم بالكوليرا والطاعون ... وما تمّ من ذلك حتى الآن ، وكيف أسفرت تجاربها عن نفع في الطب والزراعة وغيرها .

« كنا ننتظر وصولكم في دكار » : كانت مدافع حصون الساحل مشرعة ، وكانت الغوّاصات متأهبة لتقذف الموت على السفن ... وهذا رجل كان موظفاً في شركة إعلان ، فصار جاسوساً من هواة الجاسوسية ، ولكنه ظفر فضلّل القيادة الألمانية — قصة من أحسن قصص الجاسوسية في الحرب العالمية الثانية .

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 7, No. 37, SEPTEMBER 1946.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلي أتشيسون — المدير المساعد : مارثن لوز .

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : وليم ف . چيلسپي .

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً ، الاشتراك ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

المختار

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
سبتمبر ١٩٤٦

العرب يسيرون قدماً

إدوين مولر

في الشرق الأوسط اضطراب ، فنحن نقرأ عن قنابل تقذف في فلسطين ، وعن صراع في القاهرة ، وعن مظاهرات في جميع الدول العربية من ضفاف دجلة إلى شواطىء النيل . وما يحدث في بلاد الشرق الأوسط ، يدل خير دلالة على ما سيكون عليه العالم الذي نعيش فيه نحن وأولادنا من بعدنا . ففي هذه الرقعة المضطربة ، تصطدم رغبات روسيا بالمصالح الحيوية لبريطانيا والولايات المتحدة . وأنت ترى ملايين من العرب يتململون في سورة انبعاث قومي ، وهم لم يقرروا بعد ، أيتجهون إلى الشرق أم يتجهون إلى الغرب ، إلى الشيوعية أم إلى الديمقراطية .

ولبُّ الحقيقة في شأن العرب اليوم ، هي أنهم في غمار تحوُّل عنيف سريع ، فهم ينتقلون في مدى جيل واحد من حياة كحياة الإقطاع في القرون الوسطى ، إلى حضارة القرن العشرين . وأنت ترى قرب محطة عربية حديثة لتعبئة البنزين في فلسطين جماعة من البدو قد ضربت خياماً كخيام إبراهيم عليه السلام . وترى في دمشق الشام ، في الشارع المسمى بالشارع المستقيم ، منزلاً تقطنه نسوة محجبات منعزلات ، وأما السيدة في المنزل المجاور فتلبس أحدث الأزياء وتسوق سيارتها لتحضر اجتماعاً للاتحاد النسائي ، للمطالبة بحق النساء في الانتخاب .

إن شيخ القبيلة الرحَّالة في الصحراء ربما كان له السلطان المطلق على رجال قبيلته وهم جميعاً من أهل البأس والشدة ، وربما

رأى أن يقتل إحدى زوجاته أو سراريه ، ولكنه يقود طائرته الخاصة إلى القاهرة وينزل منها فى فندق شبرد .

وفى حىّ واحد من أحياء مدينة حلب ، ترى سير الثورة الصناعية من مهدها إلى يوم الناس هذا . ففى طرف من أطراف الحىّ رجل ينسج القطن ويجلس أمام نوله فى جوف الدكان ، وهو أشبه بكهف يطل على الشارع ، ومكسبه نصف ريال فى اليوم . وفى الطرف الآخر مصنع للقطن يبلغ عدد عماله ١٢٠٠ عامل ، وهو مزود بأحدث الآلات ، ولعمال المصنع مطعم خاص ، وحمامات رشاشة ، ومستشفى ، ونظام للمعاش بعد اعتزال العمل . وقد قرر صاحبه لمصلحة ضرائب الدخل أن ربحه من هذا المصنع وسائر أعماله بلغ فى السنة الماضية مليونى ريال .

فى طليعة الحرب التى يشنها العالم العربى على الفقر ، تجد الطبقة المتوسطة التى أخذت تبرز من صفوف القوم — وهى القوة الجديدة الدافعة فى الشرق الأوسط . فلم يكن هناك من قبل سوى الباشوات فى القمة ، والفلاحين الفقراء وبدو البادية فى الحضيض . وقد قيل إنك كنت تجد ، إلى عهد قريب ، ثلاثين رجلا فى الدول العربية يحسب لرأيهم حساب . أما اليوم فينبغى أن نحسب حساباً لرجال الأعمال والمهندسين والمحامين والأطباء والمعلمين والطلاب ، فهم رجاء العالم العربى — وخطره . فإلى أية جهة يتجهون ؟ فبينهم رجال يسعون إلى إنشاء حكومات ديمقراطية قوية ، ولكن عدد الناخبين الأحرار لايزال قليلا ، والرأى العام المطلع لايزال ضيق النطاق .

وليس فى وسعك أن تجرى انتخاباً فى قبيلة من البدو ، لشيخها السلطان كل السلطان عليها ، فتراه فى العاصمة جالساً فى مجلس النواب يحمل مسدسين ونطاقاً من الرصاص تحت عباءته . وقد دارت مناقشة منذ عهد قريب فى مجلس النواب السورى ، بين ممثلى البدو وممثلى الحضر ، فاشتدت حتى شهر بعض الشيوخ مسدساتهم وهددوا بها المعارضة ، ففُضت الجلسة .

ولاتزال الحياة فى جانب من بلاد الشرق الأوسط خارج المدن ، تجرى على مايشبه حياة الإقطاع . فهذا رجل يملك قرية كاملة كانت ملكا لأسرته منذ أجيال ، وهو يمثلها فى المجلس النيابى ، وهو يحالف غيره من رؤساء العشائر ، وترى جماعة منهم تدين بالولاء لرئيس أكبر شأناً .

ولكن التقدم مطرد ، حتى فى العراق حيث النظام الإقطاعى أقوى ، فهناك تجد بعض الشيوخ يملك ما مساحته ١٠٠ ألف

فدان من الأرض الزراعية الخصبة المحدودة، ويبلغ دخله ربع مليون ريال فى السنة . والحكومة العراقية لم تبلغ من القوة مبلغاً يمكنها من أن تنزع ملكية أمثال هذه الأرض ، ولكنها شرعت فى تنفيذ مشروع كمشروع توزيع الأرض فى أمريكا . فعند أسافل نهر دجلة ، أرض واسعة مجدبة قد عمها الريّ وقسّمت مزارع ، كل مزرعة منها مساحتها ٨٥ فداناً . والحكومة تمنح مجاناً مزرعة من هذه المزارع لكل رجل يرضى أن يعيش فيها ويتعهدها بالحرث والزرع، ثم تصير ملكا له بعد خمس سنوات. وللحكومة مزارع مثالية ، يستطيع أن يجد فيها صاحب المزرعة ما يريد من البذور، ويسوق بقره إلى ثيرانها لتحمل منها ، ويتلقى التعليم والتدريب فى وسائل الزراعة وطرقها .

وفى مصر مشروع شبيه بهذا المشروع ، وعرب فلسطين قد أخذوا يقسمون الأملاك الكبيرة إلى مزارع صغيرة يملكها صغار الفلاحين ويتعهدونها .

وهناك ناحية أخرى ترى فيها بوادر الإصلاح ، فالعامل فى المصنع العربى كانت تعوزه إلى عهد قريب حماية القانون لحقوقه. أما تشغيل الأطفال فلم يكن خاضعاً لقانون . وثمة ضروب من السجاجيد الشرقية لا تصلح يد فى نسجها كما تصلح أصابع الصغار الغضة، فيشتغلون فى نسجها عشر ساعات أو أكثر كل يوم وهم جالسون أمام النول على لوح ضيق ، وأرجلهم مدلاة لا تمس سطح الأرض ، فيصابون بتشويه فى العظام . أما حيث التعليم إلزامى ، فترى صاحب المصنع يسمى مصنعه مدرسة — يشمل برنامجها نصف ساعة كل يوم من القراءة والكتابة والحساب ، وتسع ساعات ونصف ساعة فى نسج السجاجيد .

وقد سنّ البرلمان اللبنانى منذ عهد قريب قانوناً للتأمين الإجبارى على حوادث الصناعة ، ثم تبين أنه لا توجد شركات تأمين أهلية تستطيع أن تضطلع بعبء هذا التأمين، وأما الشركات الأجنبية فقد أبت أن تضطلع به ، فقرروا أن يرسلوا وفداً من الشباب إلى الولايات المتحدة ليتعلموا أصول التأمين وأساليبه، حتى تضطلع به الحكومة اللبنانية.

والصحة العامة من المشاغل التى تعنى بها الحكومة ، فوزارة الصحة فى مصر لا تستطيع أن تنفق المال اللازم على عدد كاف من المستشفيات والأطباء لعلاج الفلاحين المنكوبين بالأمراض ، فأضافت إلى المستشفيات القائمة مستشفيات متنقلة وأطباء يطوفون فى البلاد فى سيارات . ولقد كان أكثر عرب فلسطين فى عهد الحكم العثمانى

كان أمراً طبيعياً ، وعيون الغرب شاخصة إلى البلاد العربية ، أن يعنى محررو مجلة «ريدرز دايجست» فى أمريكا ، بإيفاد أحد محرريها الطوافين ، ليزور الشرق الأوسط ، فيشاهد بعينيه ويلمس بيديه مجالى البعث القومى فيه ، فيكتب عنه بياناً لقرائها .

وهذه قصة المحرر الطواف .

ولن يقتصر نشرها على الولايات المتحدة ، بل سيشمل جميع أخوات «المختار» التى تطبع وتوزع فى أقطار المعمورة ، وإذن فسوف يتاح للملايين الذين يتلقون نسخ اللغة الإنجليزية ، والإسبانية ، والبرتغالية ، والسويدية ، والدنمركية ، والفنلندية ، واليابانية من ريدرز دايجست أن يقرأوا — وكثيرون منهم يقرأ ذلك لأول مرة — وصفاً مشرباً بالعطف ، لما يجول فى صدورنا من آمال ، وما نواجهه من مشكلات . ولما كنا نعتقد أن قراء الطبعة العربية — المختار — يهمهم أن يعرفوا كيف يبدو عالمنا العربى ، فى نظر كاتب غربى يتوخى أن يكون منصفاً ، نشرنا لهم ترجمة هذه المقالة كما كتبها .

[رئيس تحرير المختار]

أميين ، أما اليوم فتجد ١٢٥ ألفاً من التلاميذ فى المدارس ، وترى فى القدس كلية عربية ، وفى مصر جامعتين أنشأتهما الحكومة فى خلال ٢٥ سنة مضت . أما العراق التى يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نسمة، فكان فيها ٢٥ مدرسة عدد تلاميذها ١١٠٠ ، ولكنك ترى فيها اليوم عشرة أضعاف هذا العدد من المدارس ، إلا أن معدل الأمية لايزال كبيراً جداً .

وقد أنشأت مصر صندوقاً للمتعطلين عن العمل ، لكى تعين بماله ألوفاً من العمال الذين تعطلوا عن العمل منذ أخذت جيوش الحلفاء تنسحب من مصر . وثمة مشروع قانون بفرض ضريبة على الدخل لينفق مالها فى مشروع طويل الأجل للإصلاح الاجتماعى.

فهذا الشعور بالتبعة حيال الجماهير الفقيرة ، لم يسبق له مثيل فى الشرق الأوسط .

إن الرجال الذين يحاولون أن يجددوا حياة الأمم العربية يحتاجون إلى مشورة أهل الرأى فى الشئون الفنية والإدارية ، ولكنهم يريدون هذه المساعدة من مستشارين يبذلون المشورة وحسب ، ولايتولون الإدارة والسيطرة .

والعربى لايثق — خطأ أو صواباً — بالاستعمار البريطانى ، فقد كان البريطانيون فى الماضى يسيطرون على ماليته ، وكان مايشتريه فى الخارج يكاد يقتصر على البضائع البريطانية بشروط بريطانية . وعلى أنه قد يسلم بأن الأثر المباشر لانسحاب البريطانيين

قد لا يكون خيراً كله ، فإنه يريد أن يكون حراً فى تقدير ما يريد .

أما الفرنسيون فلهم فى قلب العربى مقت صريح . ففى عهد انتدابهم فى لبنان وسوريا ردّ الفرنسيون على مقاومة العرب بالعنف العسكرى الذى بلغ أوجه فى قذف دمشق بالقنابل فى سنة ١٩٤٥ ، فذلك الرش من الرصاص جعل وجود الصلة الوثيقة بين فرنسا والشرق الأوسط أمراً غير محتمل زمناً طويلا .

والعربى مستميت فى مقاومة الصهيونية * وليس يتسع هذا المقال لمعالجة مشكلة فلسطين معالجة وافية ، ولكن حلها على وجه سلمى ، سوف يكون من أشق الأمور .

والدول العربية متضامنة ، فإذا أَلمّت إحداها تداعت الأخرى بالألم. فبعد الحوادث الأخيرة التى حدثت فى القاهرة ، قامت مظاهرات كبيرة من أجل أرواح « الشهداء » المصريين فى كل دولة عربية أخرى . وعنف الفرنسيين فى دمشق أثار سخط العالم العربى ، ثم إن المسألة الصهيونية توحد ما بين الشعوب العربية جميعاً .

فإلى من يتجه العرب ؟ ربما ولّوا شطر روسيا ، فالاتحاد السوفيتى معنىٌّ عناية عظيمة بالدول العربية ، وفى كل عاصمة من عواصمها ترى المفوضية السوفيتية أكبر من المفوضية الأمريكية — مع أن مصالح روسيا التجارية أقلُّ من مصالح أمريكا . وكل مفوضية سوفيتية مركز لبثّ الدعاية السوفيتية . وقد أظهر الكرملين فى العهد الأخير اهتمامه العظيم بالمسلمين فى أرض السوفيت ، وهو لا يجد فرصة متاحة لتوثيق العرى بينهم وبين المسلمين فى الدول العربية إلا اغتنمها . وأنت تجد فى الأزهر ، تلك الجامعة الإسلامية العظيمة فى القاهرة ، عدداً من الطلاب الروس .

كان البريطانيون والفرنسيون يحصرون أكبر اهتمامهم فى القادة الذين يسكنون المدن ، وكبار شيوخ القبائل فى الصحراء ، أما الروس فيوجهون أكبر دعايتهم إلى الطلاب وأصحاب الدكاكين وعمال المصانع والفلاحين . وروسيا تؤيد العربى على المستبدين الأجانب ، وتشير عليه بأن « يخرج البريطانيين والفرنسيين » ، أما فى فلسطين فإنها تلتزم سياسة حذرةً تميل إلى معاداة الصهيونية .

والدعاية الروسية لا تجد طريقها ممهداً ، فالعربى منحدر من صلب رجل البادية ، الذى يعتزّ باستقلاله أيما اعتزاز ، وكلاهما

* « تقرير عن فلسطين » : المختار يوليه ١٩٤٤ ص ٧٣

لا يزال على هذه الفطرة ، ولذلك ترى أن الأحزاب الشيوعية العربيـــة غير كبيرة ، ولـكن الأحزاب الأخرى غير كبيرة أيضاً ، وناخبو المستقبل لم يكادوا يبدأون الانتساب إلى الجماعات السياسية . وما أعلن من برامج الأحزاب الشيوعية مطبوع حتى الآن بطابع الاعتدال ، ولا يحتمل أن يسيء إلى الاشتراكيين المعتدلين ، وفيه ما يزيّن لطبقات العمال المتبرمة أن تقبل عليه .

وقد تكون هناك الآن جماعات عربية ، تطلب إلى موسكو أن تتدخل لمقاومة ما تراه من خطر الصهيونية ، ولـكن الذين يعرفون طبيعة العرب يقولون إن هذا الطلب لا يزال بعيداً عن الظفر بتأييـد الأكثرية . ومع ذلك ، فقد يتجه العالم العربيّ إلى روسـيا إذا لم يجد صديقاً يتجه إليه .

وماذا يقال عن الولايات المتحدة فى العالم العربى ؟

يرجع قسط من اليقظة العربية الحديثة إلى أثر مدرسة أنشئت فى لبنان منذ ثمانين سنة ، ثم صارت تعرف باسم جامعة بيروت الأمريكية . وأنت تجد فريقـاً كبيراً من زعماء العرب قد تخرجوا فيها ، فقد اجتمع منهم ١٩ متخرجاً فى مؤتمر سان فرنسسكو كانوا أعضـاء فى وفود الشرق الأوسط .

وقد كان ما أحرزه معهد بيروت من منزلة باعثاً على إنشاء معاهد على مثاله فى القاهرة وحلب ودمشق . فهذه المدارس ، وجماعات الطلبة المصريين التى أوفدت إلى أوربة ، هى التى نقلت إلى العرب الطرف الأول من معارف الغرب وفنونه وطريقته فى الحياة .

لقد ولدت الحضارة فى هذا العالم العربى وبلغت الثقافة العربية منزلة سامية بعد أن ضمّ خلفاء محمد ﷺ كل الشعوب الواقعة شرق البحر المتوسط وجنـوبه ، فى دولة واحدة ودين واحد ، وذلك منذ اثنى عشر قرناً أو تزيد ، ولـكن الغزاة من الأجانب غلبوا العرب على أمرهم . وخلال الاحتلال العثمانى الذى دام أربعة قرون ، جمد العرب ولم يتقـدموا ، فتخطت ديارهم تيـارات الحضارة الغربية .

ثم بدأ البعث الثقافى فى القرن التـاسع عشر ، ولـكن الفرصـة الأولى للثورة على الترك العثمانيـين سـنحت لهم فى الحرب العـالمية الأولى . وقد حارب العرب مع الحلفاء ، معتقدين أن الحرية ستكون جزاءهم ، ولـكن مؤتمر الحلفاء فى سـان ريمو منح بريطانيـا الانتداب على فلسطين وشرق الأردن والعراق ، ومنح فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان ، وظلت مصر تحت الحماية البريطانية .

وقد ناضل العرب لرفع هذه السيطرة وظفروا ببعض الحرية — ولكنهم لم يظفروا باستقلال صحيح . ثم خسروا معظم ماظفروا به حين جاءتهم الحرب العالمية الثانية بقوة الغرب الحربية ، وأسفرت هذه الحرب أيضاً عن انتشار الصناعة انتشاراً سريعاً ، فتثقف العرب تثقيفاً جديداً بأساليب الغرب .

وقد انتهت الحرب الآن ، وعلى أن الفرنسيين والبريطانيين يسعون لكى يقيموا حيث هم ، فإن العرب لايرضون بذلك . والدولتان فى سبيل الخروج ، فيبقى عندئذ شىء من الفراغ .

وفى خلال الحرب أماطت أمريكا اللثام قليلا للعرب عن قوتها المادية ، ثم خرجت ولم يبق هناك سوى ما لشعبها من مصالح فى آبار النفط وخطوط المواصلات الجوية ، ومعاهد للثقافة والتعليم .

والعرب لايرون أمريكا اليوم تبذل سعياً ما لتعينهم على حل مشكلاتهم الكثيرة ، فضعفت مودتهم للولايات المتحدة ، ولكن منزلة أمريكا لاتزال عظيمة ، فإذا بذلت سعياً مُقارباً استطاعت أن تفتح لمنتجاتها سوقاً رائجةً بين خمسين مليوناً من العرب.

فالحاجة هناك ماسة للآلات التى تبرّد الهواء ، ولكن ينبغى أن تعدّل حتى تلائم درجات الحرارة العالية التى تبلغ أحياناً ٦٥ . والأمريكيون الذين يصنعون هذه الآلات لم يعبأوا بذلك . وأجهزة التبريد التى يصنعونها لاينتفع بها أتمّ نفع ، إذ ليس فيها ما يقيها شرّ الرمال السافية ، وسياراتنا لاتصلح للرحلة فى الصحراء . وقد تحدثت وأنا فى بغداد مع مستر نيرن الذى يسير سيارات الركاب الضخمة بين الشام وبغداد فتقطع الصحراء السورية بين عشية وضحاها وكان قد عاد منذ عهد قريب من الولايات المتحدة ، حيث جرب أن يشترى سيارات ركاب كبيرة وطائفة من المعدات تبلغ قيمتها ربع مليون ريال ، على أن تكون موافقة للسفر فى الصحراء ، فلم يجد من أصحاب المصانع الأمريكية من يعنى بإمداده بما يريد، حتى ولا بعد أجل طويل .

ولكن طلب النفع التجارى هو مذهب قصير النظر ، فينبغى أن نذهب إلى الشرق الأوسط حيث نشدّ أزر أولئك العرب الذين يحاولون أن يجعلوا أممهم دولاً ديمقراطية حرّة . وينبغى أن نعينهم على أن يؤسسوا مدارس وجامعات ، وأن نمدهم بالمعلمين ، وينبغى أن نحثهم على أن يرسلوا طلابهم ليزوروا أمريكا ، وأن نرسل طلابنا ليزوروا البلاد العربية. وينبغى أن نرسل لهم خبراء فى الهندسة والزراعة وشئون المال

والإدارة ، وأن نوجه إليهم بعوثاً طيبــة تســاعدهم على مكافحة المرض ، وأن نشبع جوعهم إلى الـكتب عن أمريكا — أى ينبغى أن نفعل كلَّ ما يعينهم على أن يبنوا حياتهم الجديدة بأيديهم .

مضت قرون والدول الأجنبية تتــولى أمر العرب لـكى تستغلّ وتملىء بطونها ، فالآن ينبغى للولايات المتحدة أن تجعــل غرضها هناك إسداءَ المعونة ، فتسدى بذلك خير معونة لنفسها وللعالم قاطبة .

كلمة خالدة

بعد جهد مضنٍ أنجز توماس كارليل المجـلد الأول من كتابه « الثورة الفرنســية » وأعطاه الفيلسوف الاقتصادى جون ستيوارت مِل ليقرأه قراءة الفاحص النـاقد . وبعد أيام عاد مِل شاحب اللون مرتعــد الفرائص ، ليفضى إلى صاحبه بأسواء الأنبـاء ، فقد رأت خادمته أن ورق الـكتاب يصلح لإيقاد النار ، فلم يبق منه سوى ورقات قليلة !

ولمـا خرج الزائر المكروب الذاهل ، وأوصِـد الباب على كارليل وزوجته وسوءِ طالعهما، قال كارليل لها : «مسكين مِل ، إن ماحدث قد أحزنه حزناً شديداً ، فينبغى أن نخفى عنه خطر ما حدث » ، وذلك لأن كارليل وزوجته كانا يومها لا يملـكان شروى نقــير ، ولان كارليل كتب كتابه كأنه مدفوع بقوة خارجة ، وكان إذا ما فرغ من كتابة الفصل يمزّق المذكرات الخاصة به، كأنها شىء قد ملـّه فهو لا يودّ أن يراه ثانية .

وبرغم الدم الأسكتلندى الذى يجرى فى عروقه،أمر فى اليوم التالى بإرسال مقدار من الورق إلى داره، وكتب فى مذكرته العبارة التالية : «أحسّ كأن مدرّساً قد مزق أوراق كراستى حين أطلعتــه عليها وقال : لا يا فتى ، ينبغى أن تعيد كتابة موضوعك ليكون أفضل مما كتبت » !

[ألـكسندر ولـكوت فى مجلة « ماكول »

« فلاح ضرير يصف ما أحس بعد أن ارتد إليه بصره

ماذا يحس الأعمى إذا ارتد إليه البصر

دانيل شوارز

مختصرة من مجلة "ذي نيويورك تايمز"

رسل كريدل ، أحد أصحاب مواشي اللبن في بنسلفانيا ، أعمى لا يبصر ظل سبع عشرة سنة ، وكان يبدو أن لا أمل في شفائه ، ولكن منذ ستة أشهر أجريت له في عينه اليسرى جراحة حديثة فعاد يبصر من جديد .

فأي شعور يحسه الأعمى إذا رد إليه بصره ؟

كان رسل كريدل فتى في الثانية عشرة نشيطا سليما معافى ، يوم رماه أحد لداته بكرة من الثلج أصابت عينه اليسرى ، فالتهبت ، وسرى الالتهاب إلى العين اليمنى ، وخلف ندوباً عميقة في قرنيتي العينين — وهما النافذتان المستديرتان الشفافتان اللتان تعلوان حدقة العينين وإنسانهما — فصار لا ينفذ منها إلا أقل الضوء ، وأصبح أعمى .

لم يكن عماه مطبقاً — وقليل من الناس من يصاب بالعمى المطبق ، وما من أحد ممن يصابون به يستفيد من ترقيع القرنية . إن التعريف الشائع للعمى هو العجز عن التمييز بين النور والظلام ، ولكن الأطباء وقوانين تعويض العمال ، تعتبر المرء أعمى إذا لم يستطع أن يرى على بعد ستة أمتار شيئاً يراه المبصر الوسط على بعد ستين متراً ، حتى وإن لبس النظارة . وقد كان رسل يرى على بعد ستة أمتار ونصف ما تراه أنت على بعد ستين ، ويعرف مكان النافذة من الغرفة ، ويعد أصابعك إذا رفعتها له على بعد نصف متر من عينيه . وقد استطاع أن يتم تعليمه الثانوي ، وراض نفسه على أن يمشي شامخ الرأس كأنه مبصر ، ولكن متاعبه بدأت يوم تخرج وأخذ يبحث عن عمل . كان يومئذ في التاسعة عشرة ، وكان قوياً مشتاقاً إلى عمل ، ووفق إلى وظيفة مراجع في إحدى الصحف .

يقول رسل : « لم أمكث في هذا العمل غير ثلاثة أيام ، وكانت الريح تجري رخاء حتى جاء يوم فذهبت إلى مدير التحرير أحمل إليه بعض البرقيات ، فلم أر الحديدة القائمة على مكتبه ، فنفذت في معصمي ، وأردت أن أمضي في عملي ولكنه قال لي : إنه يشفق أن يصيبني أذى آخر » .

وقسا عليه العيش بعد ذلك ، وأخـذ يحس مرارة الانتقال من عمل إلى آخر ، لا يستقر فى أحدها إلا بضعة أيام ريثما يدرك أصحاب العمل أنه ضعيف البصر . واعتزم فى النهاية أن يحاول العمـلّ فى تربية البقر الحلوب ، وكان أبوه عاملا من عمال السكة الحديدية ، فأقرضه بعض المال ، فاشترى مزرعة ثم ابتاع عدداً من البقر وبدأ يعمل.

يقول رسل : « لبثت هناك ثلاثة أشهر وحيداً ، وعرفت مكان كل حجر فى هذه المزرعة من كثرة عثراتى حيث مشيت ، ولكنى تعودت ذلك . وكثرت النـدوب فى ساقى من كثرة العثرات ، فجعلت حصانى دليلى فى المزرعة ، ولا أدرى كيف نجحت فى إدارتها » .

ولم يخطر على بال رسل قط أنه قد يعود فيبصر من جديد ، ولكن أمه جاءته ذات يوم فى العام الماضى فقرأت له مقالا عن مصرف العيون لرد البصر* الذى أنشىء فى نيويورك ، فسأل صـيدلى المنطقة أن يتحرى صدق هذا النبأ إذا نزل المدينـة . ولم يمض إلا قليل حتى سافر رسـل إلى نيويورك ليفحص عينيه ، وسجل اسمه فى قائمة الصالحين لجراحة ترقيع القرنيـة ، حتى تجرى له عندما تتيسر القرنية اللازمة .

فى هذه الجراحة تؤخـذ بُضْعة من قرنية سـليمة فترقع بها قرنيـة المريض ، وهذه العين التى تؤخذ منها الرقعة هى فى أغلب الأحوال عين شـخص أوصى بها لمصرف العيون بعد أن يتوفى . وييسر المصرف لجراحى العيون المدربين على هذه الجراحة الدقيقة سبيل الحصول على العيون.

يقول رسل : « عندما دعيت إلى المدينة لإجـراء الجراحة كنت يومئذ أخزّن دريسى . وجاءت نونا زوجتى ، ولم نكن قد تزوجنا بعد ، وما كان لى أن أتزوجها وأنا أعمى ، ولو أنها كانت تريد ذلك — فقالت لى إن على أن أركب القطار التالى إلى نيويورك . ففقدت الدهشـة لسانى ، وأسرعت فغيرت ملابسى ، وأخذت نونا وأمى تعدّان لى الحقيبة . وعزمت أمى على أن ترافقنى إلى نيويورك فلما بلغنا المحطـة تأخر القطار وكان ناظر المحطة هو مأذون المنطقة ، فأتيح لى ولنونا أن نعقد زواجنا ، لأن الشك لم يخامرنى فى نجاح الجراحة .

«ولما غيروا الضمادات على عينى بعد ثلاثة أيام ، استطعت أن أرى وجه الطبيب — لم يكن واضحاً كل الوضوح ، بيـد أنه كان أوضح مما عهدت . ثم رفعت الضمادات وكان على أن أتدرب على الرؤية من جديد ،

* المختار يناير ١٩٤٦ ص ٥ « عيون يرتد إليها البصر »

وأظن أن عيني كانت في حاجة إلى شيء من الرياضة .

« وحدث ما كنت أتوقع بعد نحو أسبوع ، فقد ذهبت أركب القطار مع أمي ، فلم يكد يخرج من النفق ، حتى تطاعت من النافذة فوجدتني أرى ، واستطعت أن أقرأ اللافتات على طول الطريق !

« ولما عدت إلى داري رأيت نونا ، فوجدتها أجمل مما كنت أتوهم ، ورأيت لافتة تدل على شارع لم يدر بخلدي قط أنه موجود ، ورأيت مزرعتي ، ولو لم تدلني نونا عليها لما ميزتها عن سواها .

« وكانت أتفه الأشياء تبدو عجيبة في عيني ، حتى أعواد الحطب الملقاة على الأرض . أرأت عيناك قط أعواد الحطب ؟ ما أجمل أشكالها وصورها ! إن أبدع ما في الأشياء هو تفاصيل تركيبها ، فقد كنت أرى منفضة السجائر كأنها كتلة لا غير ، ولكني أصبحت اليوم أرى تفاصيل تركيبها . بيد أن أبدع ما رأيت هو ما رأيته يوم علوت ربوة في مزرعتي ، فاستطعت أن أرى المزرعة كلها : المروج والأشجار والسماء » .

في محكمة الطلاق

طلبت مسز ڤيولا بك أن تطلق من زوجها ، وذكرت السبب في المحكمة فقالت : إن زوجها حاول أن يقتلها فقذف رأسها بفرخ دجاج حيّ ، فمات الفرخ وأغمي عليها ، فرشها بالماء حتى ثاب إليها وعيها ، فأمرها أن تطبخ الفرخ .

[مجلة تايم]

حرية القول

اجتمع جندي أمريكي وجندي روسي في برلين فتحدثا عن نظام الحكم في أمريكا وروسيا . فقال الأمريكي للروسي ، إنه يستطيع أن يذهب إلى وشنطن وأن يقرع باب البيت الأبيض ويسأل الرئيس ترومان كيف حاله وأن « أهزّ إصبعي في وجهه وأصارحه بكل ما أراه في هاري ترومان » .

فقال الروسي : « وأنا أستطيع أن أذهب إلى الكرملين وأطلب مقابلة ستالين وأسأله كيف حاله ، وأهزّ إصبعي في وجهه ، وأصارحه بحقيقة رأيي في هاري ترومان » .

[لترد ليونز]



ثروة في قبر

ادجار هوفر
مدير المكتب العام للمباحث بالولايات المتحدة

ليلة من ليالى الصيف ، وفى غفلة من العيون والأرصاد ، تسلل شبحان بين صفوف الأجداث فى مقابر الجنود ، أحدهما طويل والآخر قصير . وكان أطولهما يحتضن صندوقاً ضخماً ، ويسير بخطى قلقة مضطربة ، ويتلفت مخافةً وحذراً . وكان الآخر يحمل أدوات حفر ، ويسير مطمئناً لا يلتفت يمنة ولا يسرة . حتى إذا أتيا قبراً بعينه أخذا يحفران الثرى الرطب ، ثم دفنا الصندوق فى حفرة عمقها أربع أقدام .

وغمغم الشبح القصير غمغمة المنهوم : « لن أبوح بسرّه ولو قتلونى » .

فقال الآخر : « ولا أنا » .

وقبيل الفجر تسلقا سوراً من السلك ارتفاعه ثمانى أقدام ، وغابا فى زحمة الحياة ، وخلفا وراءهما فى الأرض كنزاً دفيناً ، أورث رجال المباحث بلوس أنجيليس صداعاً أليماً . فقد ضم هـذا القبر فى ليلة ٣٠ يولية ١٩٤٥ ، ١٠٠٫٠٠٠ ريال ، هى أسلاب سرقة من أعتى سرقات المصارف .

وهذه قصة عثورنا بالرجلين وبالكنز ، على رغم العهد الذى تعاهدا عليه .

فى صباح ذلك اليوم ، فى هوليوود بكاليفورنيا ، كان على مقعد السيارة ستّ حقائب مملوءة بقطع النقد الفضية ، وصندوق من الورق المقوى مملوء أوراقاً مالية ، وبلغ المال كله ١١٣٫٠٠٠ ريال ، وكان مهيأ لصرف أجور عمال مصنع طائرات لوكهيد . وجلس فى مقدمة السيارة مندوبان من بنك الولاية هما : ثورستون باترسون السائق ، وفيكتور لون ليرصد الطريق ،

وبينهما مسدسات عامرة بالرصاص .

سارا فى الطريق العام يقصدان المصنع ، حتى إذا انحرفا عنه إلى طريق متفرع منه ، خرج عليهما بغتة رجل يرتدى زىّ الشرطة الحربيين ، ويرفع لهما يده آمراً بالوقوف . فلما أوقف باترسون السيارة فجأة هاله أن يرى مسدساً مسدّداً إليه ، وملأ قلبه دهشة أيضاً أن يرى هذا الشرطىّ الطويل الرثّ الهزيل يرتعد فزعاً .

وصاح بصوت أجش : « انزلا » وطلع عليهما من وراء شجرة شبح مسلح أقصر منه وأضخم جثة وأهدأ حركة ، وانضم إليه حيث كان واقفاً فى الطريق المغمور بضوء الشمس . وسدّد اللصان مسدسهما ، فاضطر لون وباترسون أن يذعنا لأمرها .

« انتقلا إلى مؤخرة السيارة ، ونكسا رأسيكما وانظرا إلى الأرض ، واجعلا أيديكما خلف الرأس » .

وكذلك اختُطف الرجلان، وأبعد بهما اللصان حتى أضمرتهم التلال ، وبعد أن سارت السيارة عشرين دقيقة فى طريق وعر ، وقفت على حافة واد عميق منعزل ، وساقا الأسيرين إلى المنحدر المفضى إلى بطن الوادى . فأوثقا باترسون وشدّا عنقه ويديه إلى جذع شجرة ، أما لون فكبّلوه على وجهه بين الأعشاب موثق المعصمين وراء ظهره . وكان كلاهما معصوب العينين بشريط لصّاق ، وعاد اللصان إلى السيارة ، وتوعّدا الأسيرين وعيداً يجمد له الدم فى العروق .

ولم يكد باترسون يأمن على نفسه ، حتى راح يحكّ جانب وجهه الأيمن بعنف على لحاء الشجرة الخشن . وسرعان ما دمى خدّه . ولكنه لم يعبأ ، واستمرّ حتى أزاح العصابة اللصاقة عن إحدى عينيه ، ثم أخذ يلقى الأوامر على زميله الذى كان يجاهد أن يقف :

« قف . ادْنُ منى . طُفْ بالشجرة التى أنا موثق إليها وقف خلفى ، ففى وسعى أن أضع يدى على السكين التى فى جيبك . كن على حذر » .

وخرجت يدا لون من قيدها ، فنزع العصابة عن عينه ، وقطع وثاق باترسون ، وصعّدا حتى خرجا من الهوة وبلغا الطريق العام .

كان هذا الاعتداء تحدياً لمكتب المباحث ، لأن اللصوص انتهكوا حرمة قوانين الدولة ، فقد نهبوا مالا ، وخطفوا رجالا ، وادعوا صفة رجال الجيش ، وسرقوا كساه . وفوق ذلك فإن أموال المصرف كانت كلها فى ضمانة هيئة من هيئات حكومة الاتحاد الأمريكى . وصار علينا أن نجلو غوامض القضية على عجل، حتى لا تكون تلك السهولة

وتلك الجرأة مدعاةً للصوص تهوّن عليهم الإيغال فى العنف والإجرام .

كان لدينا دليلٌ واحدٌ: فبينما كان اللصان يعصبان عيني لون ، لمح شعار موظفي مصنع لوكهيد للطائرات على قميص اللص القصير ، وما من شك فى أنه قد لبس هـذا الشعار ليوهمنا أنه من عمال المصنع . وعلى رغم هذا فقد كان هذا الأثر فاتحة الطريق .

كانت إدارة الشرطة ، ومكتب العمدة ، ورجال المباحث بلوس أنجيليس ، قد بدأوا جميعاً يستجوبون مئات من النـاس ، ويفحصون عن المشتبه فى أمرهم ، ويتقصون الأنباء ويتحرّون دلائلها . ولبثنا نحن نتتبع أساليبنا فى التحقيق ، فقد علمتنا التجارب مثلا أن اللصوص كثيراً ما يذهبون إلى مكان الجريمة فى سيارة مسروقة ، ولذلك أخذنا نبحث عن السيارات المسروقة ، فعثرنا على سيارة عتيقة زيفت تواريخ رخصها، متروكة فى موقف للسيارات ، ووجدنا فيها صندوقاً من الورق المقوى عليه اسم وعنوان ، فما كاد رجالنا يشرعون فى البحث عن العنوان ، وإذا سـيدة تدعى مسز إيبلار تتصل بالشرطة فى التلفون وتقول :

« تعالوا وانظروا ماذا وجدنا فى بيتنا » .

كان ثمة حظيرة للسيارات فى مؤخرة البيت ، أجرتها صاحبته لشابين منذ بضعة أسابيع . وفى مساء اليوم الذى حدثت فيه السرقة ، تدحرجت كرة أحد الصبيان ، فدخلت من أسفل باب الحظيرة ، فأزاح أولاد إيبلار مزلاج الباب ، فوجدوا هناك ست حقائب مملوءة بالنقود الفضـية ، وقميصاً من قمصان رجال الجيش على كمه شعار رجال الشرطة الحربيين، ومسدسين وسترة رياضية ملصق عليها شعار موظفي مصنع لوكهيد .

كان رقم الشعار الأخير مزيفاً ولا ريب ، فقد محى الرقم الأصيل ، واستبدل مكانه رقم زائف بقلم زيتى أسـود . وقد أخذه علمـاء مكتب المباحث بوشنطن وفحصوه فى المعمل ، بيـد أنهم لم يتبينوا من أمره شيئاً فى ضوء النهار ، ولـكن عندما سلطت عليه الأشعة فوق البنفسجية، بدت فجأة صور على دهانه الشفاف ، فقد تركت أرقام الشعار الأصلية المطبوعة عليه بعض الآثار الخفية .

ولم تمض ساعة حتى كان رجال المباحث بلوس أنجيليس يفحصون سجلات الموظفين فى المصنع ، وتبين من هذا الفحص أن هذه الأرقام القديمة الممسوحة كانت ذات يوم لعامل طويل القامة ، مضطرب الأعصاب ، يدعى جون جوزيف أوكيل . وكان أوكيل قد زكى عاملا آخر من عمال المصنع يدعى « ستانلى ماتيسيك » على أنه أقرب أصدقائه إليـه . وكان سـتانلى هذا ، على ما جاء

فى شهادة عمال المصنع ، رجلا قصيراً بديناً مشهوراً بأنه هادىء لا يحركه شىء ، وكذلك عثرنا على اسمى ضالتنا وجزء من تاريخ حياتهما يقارب اليقين .

ومع أن الرجلين كانا قد تركا مصنع لوكهيد منذ عهد بعيد ، فقد تيسر لنا أن نقتفى آثار تنقلاتهما حتى بلغا جامعة كاليفورنيا بلوس أنجيليس ، حيث صارا طالبين منتسبين فى زمن الصيف ، واستعملا فى الانتساب إليها شهادات زائفة . ووجدنا فى غرفتهما بمسا كن الطلبة مبارد ومثاقب ومفاتيح حظيرة السيارة فى بيت أبيلار ، ورسماً فيه تصميم طريقة لإنذار السكان باللصوص، وحربة بندقية، ومثقباً كهربائياً، وأغرب ما وجدنا فى النهاية نسخة خطية لقصة مكتوبة فى ١٢ صفحة ، ألفتها أوهام أوكيل المخبول النفس ، عن جندى قتل سمساراً من سماسرة التأمين !

فأين نتعقب أوكيل وماتيسيك ؟ كان علينا ونحن نضع خطة البحث عنهما أن نستعمل الحدس والتخمين للكشف عن أسلوبهما فى التفكير ، فأغلب الظن أن المجرمين اعتقدا أنهما اقترفا جرماً لا يمكن اكتشافه ، ولن يلبثا حتى يعودا إلى دارهما . ولئن صح هذا لما اقتضى الأمر أن نبعد فى بحثنا عن هذا المكان ، وذهبنا ومعنا صورتان استعرناهما من سجلات الجيش ، لنبحث عنهما فى حانات لوس أنجيليس .

أليس عجيباً أن يدخل اثنان من رجالنا حانة فيجدا أوكيل جالساً على مقعد وأمامه كأس من الجعة ؟ ولم يكد يرفع كأسه ليشرب حتى أمسك كلٌّ منهما بإحدى ذراعيه ثم خرجا به من الحانة ، وأراحاه من مؤونة حمل مسدس عامر بالرصاص .

كان هذا اللص ينبح حتى ردّد الطريق كله صدى نباحه ، وكان يصيح مستغيثاً بالمارة ويقسم أنهم أقاربه وأصدقاؤه ، متظاهراً بأنه مجنون . وغافله أحد رجالنا وسأله : « أين ستانلى ؟ » فأجاب : « لم أره منذ شهور » ثم أدرك أنه وشى بنفسه ، فاستسلم فى هدوء قلق كئيب .

ولم تمض إلا ساعة حتى فاجأنا ستانلى يحوم حول الحانة نفسها ، وصادرنا فى سيارته جهازاً فتاكاً ملفوفاً بالقماش ، وكانت هذه اللفة الخادعة مسدساً عامراً بالرصاص ، فلو كان فى جيبه أو قريباً من يده ، لما تردد البتة فى إطلاقه .

فلما بلغنا مكتب المباحث ، أخذ اللصان يوجهان التهمة إلى رجل ثالث زعما أنّ اسمه « نك » ، وادعيا أنه اضطرهما بالوعيد أن يفعلا ما أمرهما ، ثم اختص نفسه بالغنيمة كلها . وأرادا أن يزعزعا شكوكنا فيهما ،

فأخذ أوكيل يصرخ فى ظلام الليل لاعناً « نك » ، ولما وقفا بين يدى قاضى الأمور المستعجلة جعل يردد اسمه ، ثم خرّ إلى الأرض يعلو شدقه الزبد ، بالخدعة المألوفة وهى ابتلاع قطعة صغيرة من الصابون !

وحاولنا خلال الشهور التى سبقت المحاكمة أن نعرف منهما سر المال المسروق ، فقالا لن نبوح به ولو قتلتمونا ، وفضلا عن ذلك فإن « نك » وحده هو الذى يعرفه !

بيد أنا وجدنا تحت سرير أوكيل أثراً تاماً : علبة من الورق المقوى مملوءة ماء ، نقعت فيها ورقة مالية قيمتها ريال . ومدلول هذه التجربة الساذجة واضح ، وهو أنهما دفنا الغنيمة فى أرض رطبة ، فأراد أوكيل أن يعرف متى يبلى الريال إذا أصابه البلل .

وأخذ ستانلى يكتب من غرفته رسائل يبعث بها إلى زميله خفية ، فكانت تصل تباعاً إلى أوكيل ، ولكنها كانت تقع فى أيدينا أولاً بطريقة ما . فعرفنا الصفات التى اتفقا على تلفيقها فى وصف نك المزعوم ، وعرفنا الخطة التى دبراها للدفاع ، وهى ادعاء الجنون . وكذلك عرفنا أنهما وضعا خطة محكمة للهرب ، ينفذانها إذا حكم عليهما بالسجن زمناً طويلا .

وفى هذه الرسائل وجدنا ما كنا نبحث عنه ، وهو المال المسروق، وكانا يشيران إليه باسم « رقم ١٨ » أو باسم « الورق » .

جاء فى إحداها : « إذا ذهبوا بنا إلى أحدسجون الاتحاد فقد يبلى الورق فى أقصر وقت تحت أمطار الشتاء» . وجاء فى الأخرى : « من مزايا أختى أن عمرها لا يعدو السابعة عشرة ، وهم لا يستطيعون محاكمة قاصر ، ولكن قل لى بربك كيف تطيق أن تذهب إلى . . . »

كان ستانلى أخبث من أن يسمى المكان الذى أخفيا المال فيه ، ولكنا عرفنا من رسالته هذه أن المال ليس مدفوناً فى أرض رطبة وحسب ، ولكنه مدفون أيضاً فى مكان يصعب أن ترتاده فتاة .

بدأنا نبحث فى أرض الجامعة حيث كان يقيم الرجلان ، على سفح جبال سانتا مونيكا التى تفصل غرب لوس أنجيليس عن مصنع لوكهيد . وعثرنا بخمسة آلاف ورقة من ذات الريال مدفونة فى حديقة أزهار فى أرض الجامعة ، اعترف بها السجينان ، وحلفا أن نك قد استولى على الباقى .

ونمى إلينا أنه كان من عادة أوكيل وستانلى أن يتنزها فى الضواحى الجميلة بين الأودية . وتبين لنا من خريطة المكان أن الطرق المتعرجة المتدة بين أشجار الجبل تعرف بالأرقام لا الأسماء . فما كاد أشد رجالنا قلوبا وأثبتهم جناناً يضعون

أصابعهم على الطريق رقم ١٨ حتى عرتهم القشعريرة ، فهو طريق يمتد فى بقعة موحشة مهجورة من أرض الجامعة ، حتى ينتهى إلى رأس الوادى العميق الذى تركا فيه مندوبا البنك ، فأحسسنا أننا نقترب من الهدف ـ ولكن إلى اين المنتهى بعد ذلك ؟

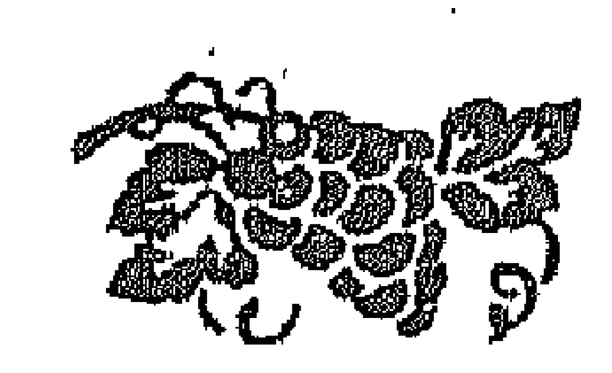
أخذ رجالنا يتقصون المسالك مبتدئين من مرتفع فى غرب مساكن الطلبة ، ويسيرون على هدى ما عرفوا من الحقائق ويتخيلون ما خفى عنهم . وفرضوا أن اللصين انحدرا ولا بدّ من رأس الوادى العميق فى الطريق رقم ١٨ ، وبعد أن تركا الغنيمة فى حظيرة السيارات ، تركا السيارة على نحو ميل منها ، ولما جنّ الليل دفنا أوراق المال فى أرض رطبة . ثم عاد رجالنا فلاحظوا أن درباً من الدروب المتعرجة بين الشجر يؤدّى إلى سياج من السلك ارتفاعه ثمانى أقدام يحيط بمقبرة ، وطابق استنتاجهم ما جاء فى التقارير التى وصلت حديثاً إلى المكتب . هذا ، وشاهد القبر علامة يسهل تذكرها ، ومثل هذا السور يشق تسلقه على فتاة .

أخذ رجالنا يمشون بمنتهى الأناة بين صفوف من القبور لا آخر لها ، يسألونها عن أثر أو دليل . وسرعان ما بلغوا قبر جندى مات فى ١٩٢٢ ، فوجدوا خلف شاهده كومة مريبة من ورق الشجر .

راحوا يحفرون ، فلم يلبثوا أن وجدوا صندوقاً ، فما كادوا يفتحونه حتى لعبت الريح بحزم من أوراق النقد قيمها ١٠٠٫٠٠٠ ريال .

وعرف أوكيل ما حدث ، وأتاحت المحكمة له فرصة أخرى لكى يعترف بجرمه، ولكنه لم يعترف ، وآثر أن يحاول الفرار من حراسه ، فلما أضنته المطاردة استسلم ومشى إلى المحكمة ، فاعترف لها بكل ما كان منه ، فخفف الحكم عليه من ٣٥ سنة إلى ٢٠ سنة ، ولكن ستانلى ظل زمناً يصرّ على الإنكار ، ثم بدا له فى النهاية فاعترف أيضاً ، وخفف الحكم عليه إلى ٢١ سنة .

ولعل هذه السرقة لو حدثت منذ ١٥ عاماً لما قدّر لها أن تكتشف أبداً ، فإن الفضل فى حلها كان للأشعة فوق البنفسجية ، مضافاً إليها مثابرة رجال الشرطة وصبرهم ، وأيضاً ذلك الجزاء الذى ينالونه على طول كدْحهم وكدّهم — ألا وهو حسن التوفيق .



النفس المغمومة تذيب البدن

ونفرد رودز

مختصرة من مجلة " ذي فورم "

يقول جوته الشاعر الألماني : « من كان غنياً فى دخيلة نفسه ، فقلما يفتقر إلى شىء من خارجها » وصدق . فأنت إذا آمنت بأن أسباب الصحة والعافية كامنة فى دخيلة نفسك ، لامجلوبة مما تضنى نفسك بالبحث عنه فى خارجها ، وجدت فرق مابين الرأيين بيناً واضحاً فيما تعالج من شئون معاشك فى كل يوم . ومعيار سعادتنا فى الحياة هو الحالة التى تكون عليها عقولنا ونفوسنا ، لا الحالة التى تكون عليها أبداننا .

وما أكثر مايعرض على الأطباء من العلل المختلفة والآلام المتباينة ، بيد أنهم لايزالون يجدون مرّة بعد مرّةٍ أنها أحوج إلى علاج العقل والنفس منها إلى علاج البدن . وأكثر من نصف المرضى فى المستشفيات العامة ، هم من المصابين بأمراض نفسية لا أمراض بدنية ، كما قال أحد ثقات الأطباء . وقد قال هو أيضاً : يجب على الطبيب إذا جاءه رجل يشكو ، أو امرأة ، أن يفحص عن حالة نفسه ، كما يفحص حالة الرئتين والقلب وأجهزة الهضم.

وهذا الدستور الذى يظن أنه فكرة مستحدثة ، ليس جديداً البتة ، فقد عرفه الأطباء والفلاسفة منذ عصور بعيدة ، فقد قال أفلاطون منذ ١٩ قرناً : « إذا وجدت الرأس صحيحاً والبدن سليماً ، فخذ فى علاج النفس ». وقد قيل قديماً : « القلبُ المبتهج يدنى إلى الشفاء ، والنفس المغمومة تذيب البدن » . وقد عظم كنفوشيوس شأن العقل ، من حيث هو المرفق بين النفس والبدن ، وأن الصحة هى نتاج هذا التوفيق. فلو قلت إن العلة إذا ظهرت فى بدن ، احتاجت النفس غالباً إلى بعض العلاج ، فما قلت إلا ما قالت به جمهرة المفكرين من قديم الأزمان ، وما طبّقه الإنسان بهَدْى من غريزته على مرّ العصور .

ورُبَّ رجلٍ وقع من الحياة فى مثل الأرض الموحلة فكادت تبتلعه ، ولكنه يظلّ يجاهد للنجاة مستيئساً . وبينما هو كذلك إذ انهارت قوى بدنه حتى شقّ عليه الجهادُ ، وإذا هو يسرع إلى الطبيب فيفحصه فلا يرى فى بدنه علة ظاهرة ، بل كلُّ مايحتاج إليه هذا الرجل ، وما كان يحتاج إليه منذ أول أمره ، أن يلتمس

طبيباً يعالج نفسه ، أو يعلمه كيف ينازل الحياة وجهاً لوجه لاتثنيه خشية ولا رهبة .

وهذه امرأة أخذت تذكر ما حلّ بجسمها من الإجهاد ، وكلما أوغلت فى حديثها زاد وضوحاً أن الذى بها لم يكن كلالاً أرهق بدنها ، بل كلالا أرهق نفسها . فالحياة لم تسعفها بما كانت تشتهى ، فقد كانت تحب الأطفال بيد أنها لم تمتع بالزواج . وكانت امرأة نصَفاً ، غير أنها ظلت دائماً تحت سلطان أسرتها . وكانت مخفقة فى كل ماتحاول من أعمال ، فمن أجل ذلك بقيت مقيدةً لم تذق طعم الحرية . وكذلك فترت همتها وماتت نوازع نفسها ، ولم يبق فى قلبها شوق إلى شىء تتوق إلى تحقيقه أوبلوغه ، وامتلأ قلبهـا فزعاً من طوارق المستقبل .

ومَنْ كثرتْ حسرَاتهُ على نفسه فقد ابتلاها بشرّ مايمزّقها ، فهذه المرأة لم يكن بدنها حاجة إلى تطبيب أو علاج ، وقد جهدَ الأطباء فلم يجدوا فى بدنها علة باطنة ولا ظاهرة ، وما بها إلا أن نفسها كانت محتاجة إلى باعث يحركها ، وإلى تهذيب يعلمها كيف تستجيب لداعى الحياة . فلما دلّوها على الأساليب التى تصلح بها ما اختلّ فى نفسها ، بدأت تحسّ بدبيب البرْءِ مما كانت تشكو منه فى بدنها .

والنفس هى موطن العلل المضنيـة ، والنفس هى الحقيقة بالعناية والتعهد ، فإذا أردتَ لها أن تسوس بدنك سياسة صالحة فاحرص على أن تعطها من القوت ماتقوى به وتصحّ . فقدّم لها قوت يومها من أشياء سوى الأخبار المثيرة ، والملاهى المغرية ، والأحاديث التافهة ، واللذات البرّاقة الفارغة ، ثم انظر إليها كيف تقوى وتشتد؟ فإن التافه الخسيس مفسدة للنفس .

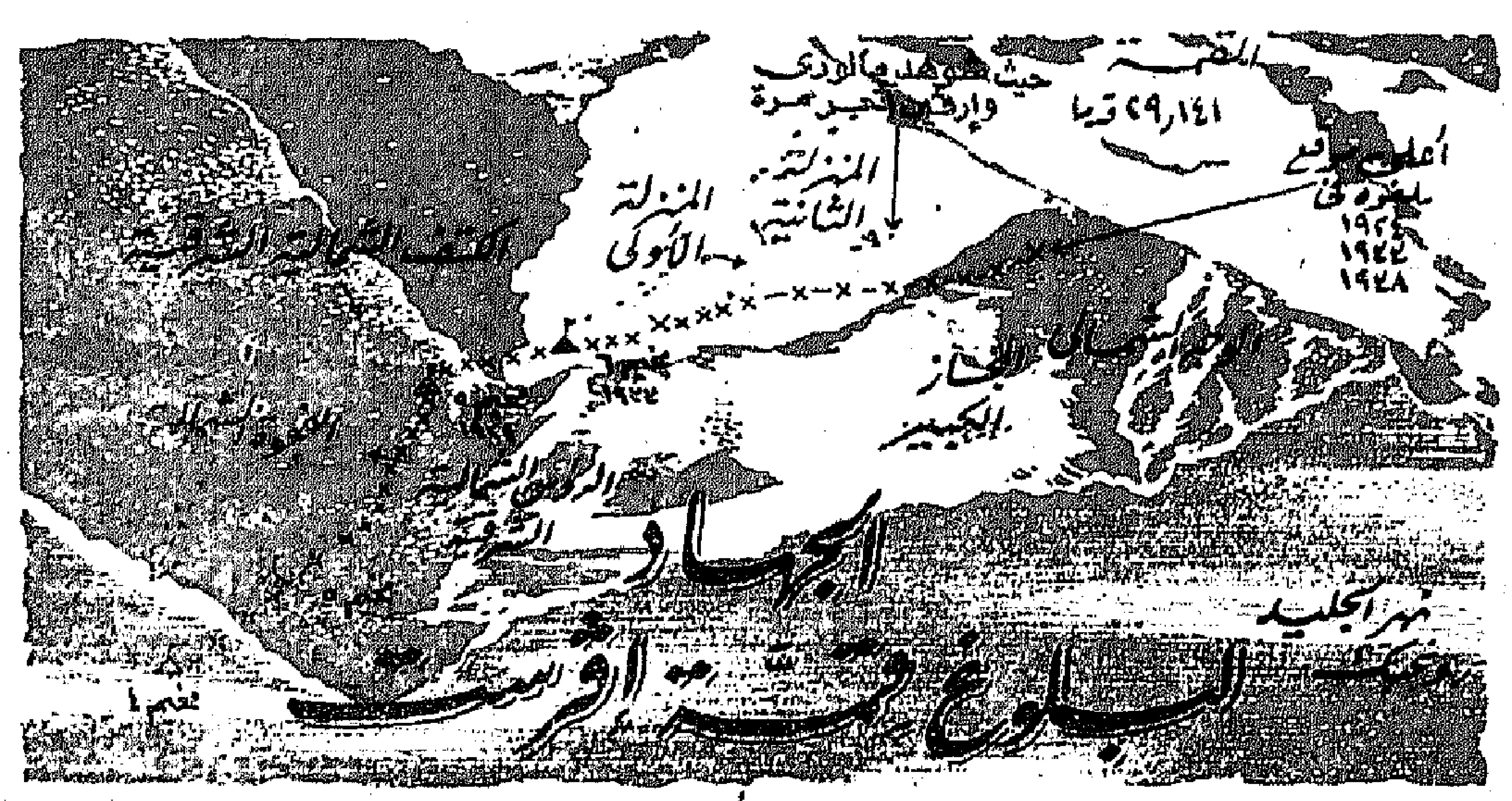
واعلم أن كل فكرة تفسح لها مكانا فى تفكيرك ، وكل عاطفة تبيح لنفسك أن تستمتع بها ، تترك فيك أثرها وتسلك بك أحد الطريقين : فإما أن تُدْخلَ الوَهن على قوّتك فى مزاولة الحياة ، وإما أن تزيدك قوّة على قوّتك . فإن شئت فاقرأ خبر شابّ أمريكىّ كان يدرس فى جامعة هارفرد اسمه هنرى وارْنر ، استطاع أن يجعل بدنه الذى ضعضعته الآلام والأسـقام خادماً يتصرّف فى طاعة عقله . فهو حين نال شهادته بتفوّق واقتضاه نيلها أن يقاسى سبع سنوات من العذاب المرير وهو يُدَار به من فصل إلى فصل على كرسى ذى عجل ، وحين تحدّى تباريح الألم الوجيع وبلغت به همتـه أن صار أحد المتخصصين فى قراءة غوامض المخطوطات الهنـدية المكتوبة باللغة البالية القديمة ، وحين كانت الآلام تضطرّه أن يدرس ويكتب وهو واقف

أمام منضدة عالية وتحت إبطيه عكازتان ، أو أن يفعل ذلك وهو جاثٍ على ركبتيه بإزاء كرسى حتى يريح فقار ظهره ، وحين نشر ، وهو فى هذه الحالة ، ترجمة الأسفار الودية المقدسة ترجمة حفزت أحد كهنة الهندوس أن يتجشم زيارته لا لشىء إلا ليقدم له شكره باسم الأمة الهندوكية — حين فعل وارنر ذلك كله وراض نفسه عليه ، كان بدنه يومئذ فى حالة يرثى لها ، بيد أن عقله ونفسه كانا جميعاً فى أروع يقظة وأتم عافية .

وليحرص من شئتَ من الناس على أن يشيح بوجهه عن الخسائس والتوافه يوماً بعد يوم ، وأن يختار كل رفيع محكم ، فلن يلبث شيئاً فشيئاً أن يبلغ بنفسه المنزلة التى تكون عندها قادرة على كلّ شىء مهما عظم . بيد أن الناس فى حاجة إلى التقويم والتعليم ، ومن أجل ذلك كان لزاماً على كل طبيب يعالج الأبدان أن يكون أيضاً طبيباً خبيراً بطب النفوس ، ومن أجل ذلك كان فرضاً على علماء الدين أن يكونوا أهلَ بَصرٍ بعلم النفوس البشرية .

فأول واجب على رجال الدين أن يعلموا الناس حقائق الإيمان بالله ، وأن يذكروا الله مستعينين بذكره على تزكية نفوسهم وتنوير بصائرهم ، وأن لا يجعلوا الدين أفعالا خاليــة من حقيقة العبادة ، وهى معرفة النفس بالله معرفة متغلغلة تهديها فى كل شأن من شئون الحياة . فالنفس العارفة بحقيقة الدين لا تحسُّ قطُّ أنها تكافح وتجاهد وحدها محرومة من كل عونٍ ، بل تطرح جانباً كل المخاوف والأوجال ، وتسمو إلى منزلة الثقة بالحياة وما فيها من الخير ، ويكون من اليسير عليها أن تتعلم كيف تستنبط القوّة من معين الحياة الذى لا ينضب . ولن تكون إذن عاقبة عِرْفانها أنها آمنت بالله وحسب ، بل تكون قد استولت على قوّة ليس لها بها عهدٌ من قبل .

ولن تجد فى الناس من يخطر بباله أن يصف الجرّاح النّطاسى بأنه قاس لا يرحم ، لأنه يحدث الجروح ويسبب الآلام . والحياة طبيبٌ جراح ، فهى تحدث الجروح دون أن تخفف عنا بالمخدرات . ويبلغ من فعالها أحيانا أن تبتر قلوبنا من علائقها ، غير أن أكثرنا لا يعى عنها أعظم ما ينبغى أن يتعلمه وأنفَاه للألم ، حتى ينالَ منــه الضرّ والأذى . فماذا تريد الحياة أن تتعلمه منها ؟ تعلمنا سيادة النفس ، ومن بركة هذه السيادة أن تكون للنفس سطوة على البدن . ومن أجل ذلك ينبغى أن يصبح علاج علل الأبدان أشد اقترانا مما هو عليه الآن ، بالتنبه الشديد إلى العلل التى تخامر النفوس .



الجهاد لبلوغ قمة إفرست

جيمس رامزى أولمان

مختصرة من كتاب " هاى كونكوست "

يصف المؤلف فى هذا المقال الجهاد الرائع الذى جاهده « لاى مالورى » للتغلب على أعلى جبل فى العالم

تبدأ قصة جبل إفرست فى عام ١٨٥٢ إذ كان أحد كتبة مكتب المساحة التفصيلية الهندية مكباً على صفحة من الأرقام فرفع رأسه وصاح بصوت متهدج : « لقد اكتشفت يا سيدى أعلى جبل فى العالم ! » ، فقد دلته المراجعة الدقيقة لأرقامه وحسابه على أن القمة الشماء يبلغ ارتفاعها ٢٩،١٤١ قدماً ، أى أنها أعلى من أقرب قمة تنازعها هذا الفخر بنحو ألف قدم. وكانت تلك القمة موسومة فى الخرائط برقم ١٥ ، ولكنها سميت بعد ذلك باسم سير جورج إفرست أول مدير عام لمصلحة المساحة فى الهند.

وظل جبل إفرست بعد مضى أكثر من نصف قرن على اكتشافه جبلا تكتنفه الأسرار ، إذ كانت التبت ونيبال ، وهما البلدان اللذان يقع الجبل على حدودها ، موصدين فى وجه الأجانب والغرباء . ثم جاءت سنة ١٨٩٠ ، ففى أواخرها أخذ المغامرون المتنكرون فى زى تجار الهندوس والمسلمين يتوغلون فى مسالكه ودروبه العظيمة التى لم تطأها أقدام أهل الغرب من قبل . وأصاخ هواة تسلق الجبال إلى دعوة الخفى والمجهول ، وانطلقوا لا تردهم عن غايتهم عوائق البشر ولا أهوال الطبيعة . نعم ربما كان فى وسع سائح بمفرده أن يتسرب إلى البلاد دون جواز رسمى ، غير أن الجماعة الكبيرة لا مندوحة لها من إذن تناله من حكومة التبت . وقد ظل هذا ممتنعاً عليهم سنين طوالا .

وأخيراً فى عام ١٩٢٠ تضافرت الجمعية

الملكية الجغرافيـة ونادى تسلق الجبـال البريطانى، واستطاعا بعد مفاوضات متطاولة أن يظفرا بذلك الإذن . وأخذوا من فورهم فى إعداد المعـدات على خير وجه وأتقنـه ، وقرروا أن يرسلوا إلى الجبـل حملتين : الأولى للاستكشاف ، والثانية (بعدها بسنة) لتسلق الجبل . وقد خرجت فعلا حملة ثالثة ، كُتب عليها أن تنتهى محاولتها بمأساة فاجعة على بضع مئين من الأقدام من القمة وبلوغ الغاية .

كانت حملة الروّاد مؤلفة من زهرة متسلقى الجبـال والمستكشفين الإنجليز ، وكان فى زمرة الشبان منهم « جورج لاى مالورى » المدرس بمدرسة شارتر هاوس بالقرب من لندن . وقد قُدِّر لمالورى أن يصبح أشهر متسلقى الجبـال فى عصره ، فقد كان الوحيـد الذى اشترك فى الحملات الثـلاث جميعاً . وعلى الرغم من أنه لم يكن يوماً ما قائداً رسمياً للحملة ، فإن مقدرته العجيبة فى التسلق وحماسته المتأججة قد جعلتاه رأس الجماعة كلها .

كان مالورى هزيلاً نحيلاً وجهُه كوجه طفل ، فهو أبعد ما يكون عن رجل الرياضة الخشن كما يتصوره الناس . ولم يكن التسلق عنـده رياضة أو لهواً بل عبادةً خالصةً ، أى مغامرةً نصيبُ الروح فيها أعظم من نصيب البدن . ولعل تفسيره للدافع الذى يدفع النـاس إلى التسلق هو أبسط تفسير سمعناه وأعمقه. فقد سأله صديق: «لم تحاول تسلق هـذا الجبل ؟ » فأجابه مالورى فى بساطة : « لأنه موجود ! »

غادرت جماعة الاستكشاف دار جيلنج فى الهند فى أوسط شهر مايو ١٩٢١ ، وكان لابد لهم من رحلة شاقة تستغرق أسابيع فى جوف الأدغال الاستوائيـة الحارة ، ثم التسلق إلى قفار هضبة التبت الجرداء التى تكتسحها الرياح العواصف ، فتجشموا كل ذلك قبل أن يبلغوا مكانا يكونون فيه على مرأى من غايتهم ، فواصلوا السير يوما بعد يوم فى أشـد بقاع الأرض وحشـة وإقفاراً ، يشقون طريقـاً تستقبلهم فيه عواصف الرمل ومياه الثلاجات الزاخرة ، ويعبرون سهولاً واسعة تكثر الصخور فى أرجائها ، ويخترقون دروباً عظيمة فى مخارم الجبال .

وفى أواخر يونيو وصلت الجماعة إلى دير رونجبوك على مسيرة عشرين ميـلا شمال إفرست ، وأخيراً لاح لهم الجبل فى عظمته الشماء الشامخة ، فكتب مالورى يقول « وقفنا مشدوهين ، لم تنبس شفة بسؤال أو تعليق ، وما هو إلا أن ننظر و نبكى ! »

وبدأ المستكشفون يدرسون ذلك الصرح المرّد من الصخر والجليد المتسامى إلى كبد السماء. كانوا عندئذ على ارتفاع ١٨٠٠٠ قدم، أى أعلى بكثير من أعلى قمة جبال الألب. وكان أقل مجهود يبذلونه يحدث ضيقاً فى الرئتين وخفقاناً فى القلب. وبقى أمامهم مسافة ميلين رأسيين من الجبل المتقاذف فى عنان السماء، وكنت تسمع الريح والثلوج تزأر من علٍ زئير الإعصار.

ولما بدأوا يعملون وئيداً حول قاعدة القمة تبين لهم أن إفرست يكاد يكون هرما كاملا، وكان جله عبارة عن طبقات من مَهاوٍ لا يحلم إنسان بتسلقها، ولم يجدوا مكاناً يدخل فى الطوق تسلقه إلا من الجانب الشمالى الشرقى. فقد كان على شفا الهاوية التى يبلغ عمقها ١٠,٠٠٠ قدم من الجانب الشمالى حافة صخرية مدببة تنحدر من الكتف الصخرى العظيم بالقرب من القمة، إلى ربوة مرتفعة من الجليد تقع شرقى ثلاجة رونجبوك. وكانت زاوية هذه الحافة منحدرة انحداراً شديداً، ولكنها لم تكن من الانحدار بحيث تمتنع على الحاذقين من متسلقى الجبال. أما من الكتف فما فوق، فلم يكن يبدو أن ثمة عقبات لا تذلل.

وقد استغرق البحث عن طريق لبلوغ الربوة شهرين طويلين من الجهد والتدبير.

وكانت نورث كول، كما سميت الربوة وقتذاك، ترتفع من ثلاجة رونجبوك وتكاد تكون حائطاً رأسياً من الجليد ارتفاعه ٤٠٠٠ قدم. ولم يسع أحداً حتى ذلك المقدام مالورى، إلا أن يعترف أنه لا يمكن تسلقها من ذلك الجانب. وكان أمله الوحيد هو أن الجانب المقابل قد يكون أسهل مرتقىً.

وبعد دورة طويلة تزيد على المئة ميل، بلغ المتسلقون شِعْباً موحشاً تعوى فيه العواصف، وترتفع منه ربوة الجليد والثلج إلى ١٥٠٠ قدم فقط فوق مجرى الثلاجة. وأعمل أقوى ثلاثة من المتسلقين معاولهم وشقوا لأنفسهم طريقاً إلى أعلى الربوة، حيث يبلغ الارتفاع ٢٣,٠٠٠ قدم فوق سطح البحر. على أن قمة أفرست كانت لا تزال على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم فوقهم، وعلى بعد ميلين ونصف من مكانهم.

كان ذلك فى أواخر أغسطس، وكاد صيف الهملايا القصير ينقضى، فعادت جماعة الاستكشاف هذه إلى إنجلترا، وقد رادوا الطريق إلى الجبل ووجدوا موضع الضعف فى درعه المتين.

وفى أول مايو ١٩٢٢ ضربت حملة التسلق خيامها على مرأى من طرف ثلاجة رونجبوك، وكانت مؤلفة من ١٣ إنجليزياً

و ٦٠ من رجال الجبال من شمال الهند ، و ١٠٠ رجل من أهالى التبت للمساعدة ، و ٣٠٠ حيوان لحمل العتاد .

ولا يمكن تسلق إفرست إلا فى فترة قصيرة لاتزيد على ستة أسابيع ، فهى بقعة تكتنفها أعاصير الشتاء الهائجة حتى أوائل شهر مايو ، وبعد منتصف شهر يونيو تهطل الأمطار الوسمية فى الهند ، فتجعل جبال الهملايا الشرقية فخاً من فخاخ الهلكة ، لما بها من الثلج وذوْب الجليد .

وظل المتسلقون والحمالون أسبوعين يروحون ويغدون على جوانب ثلاجات هائلة وينقلون الطعام والعتاد ، ويقيمون سلسلة من أربعة مخيمات لايبعد أحدها عن الآخر أكثر من مسيرة يوم ، وتخلف المُسِنّون من أعضاء الحملة ليكونوا صلة بين المخيمات الثلاثة السفلية ، على حين أنشأ الأقوياء منهم مخيماً رابعاً على رأس نورث كول على ارتفاع ٢٢٫٩٠٠ قدم .

واختير مالورى وثلاثة من رفقائه للهجمة الأولى على حمى قمة إفرست ، وفى فجر ٢٠ مايو تقدمت الجماعة وفى صحبتهم جماعة من الحمالين نحو تلك الشوامخ المجهولة التى لم تطأها قدم من قبل ، وكان هدفهم البعيد الصعب المنال لايزال على ارتفاع ميل من فوقهم .

وجهد المتسلقون ساعة بعد ساعة فى صعود الحافة الشمالية الشرقية ، وكانت الريح الباردة تجتاحهم بلارحمة ولاهوادة ، وشرٌّ من ذلك أنهم كلما صعدوا فى الجبل شقّ عليهم التنفس ، وقد اضطرهم البرد والجهد وهم على ارتفاع ٢٥٫٠٠٠ قدم إلى الوقوف حيث كانوا ، فلما أرسلوا حمّاليهم إلى المخيم الرابع أقاموا لأنفسهم خيمتين صغيرين فى بقعة آمنة على قدر الإمكان واندسّوا فى حقائب نومهم .

فلما بزغ نور النهار صعّدوا فى الجبل من جديد ، فى ضباب كثيف وثلج تذروه الرياح ، وبعد ساعة من التسلق بلغ أحدهم غاية مايطيق من صبر واحتمال واضطر أن يعود ، بيد أن مالورى ورفيقاه واصلا التسلق بجهد جهيد ، فكانوا يقضون ١٥ دقيقة فى تسلق مؤلم بطىء ، تعقبها فترة راحة طويلة ، ثم فترة تسلق ففترة راحة ، وهكذا دواليك .

ولم يمض وقت طويل حتى جمدت أيديهم وأقدامهم ، وفغروا أفواههم طلباً للهواء . وقد قالوا فيما بعد إن عقولهم وحواسهم أيضاً قد تأثرت من شدة الحاجة إلى الأوكسيجين ، وفقدوا الإرادة والطموح والحكم على الأشياء ، وكانوا يسيرون قُدُماً ولكن كما يسير النائم .

وفى عصر ذلك اليوم بلغوا ارتفاع ٢٧٫٠٠٠ قدم ، وقد تسلقوا ثلثى المسافة الرأسية بين نورث كول والقمة ، وبذّوا كل من

صعّد فى الجبال بألفى قدم وأربعمئة قدم . ولم تكن مواصلة السير فى تلك الساعة المتأخرة دون طعام أو ملجأ ، إلا انتحاراً لامرية فيه. ولمّا كانوا قدبلغوا من الإعياء مبلغاً لايشعرون معه بخيبة الأمل أو بأية عاطفة أخرى ، تولوا مرتدّين عن الهدف الذى إليه يهدفون .

وفى اليوم التالى أعادوا الكرة ، وأقاموا مخيا خامساً على ارتفاع ٢٥٫٠٠٠ قدم ، وجهز الرجال بخزانات للأوكسيجين لتساعدهم على التنفس ، بَيد أنه تبين أن ما أفادوه منها بدّدته أجهزة الأوكسيجين التى أثقلت كواهلهم، فقدكانت زنة كل منها ثلاثين رطلا. وبلغ رجلان منهم نقطة لاتبعد عن القمة إلا نصف ميل عرضاً وقرابة ١٩٠٠ قدم ارتفاعاً، ولكنهما بلغا هنا غاية مايطيقانه من صبر واحتمال ، فقد كانت أجسامهما وعقولهما قد جمدت ، وكفت أطرافهما عن الحركة ، وعجزت أعينهما عن الإبصار ، فعادا أدراجهما مقهورين كما لقى رفقاؤهما من قبل ، ولكنهما سجّلا رقماً عالمياً جديداً فى التسلق هو ٢٧٫٢٣٥ قدم .

وعقد ثلاثة من الإنجليز عزمهم على محاولة تكون خاتمة المحاولات ، فصحبوا معهم ١٤ حمالاً يحملون المؤن ، وبدأوا يصعدون من أحد المخيمات السفلى إلى القاعدة الأولى على نورث كول ، وإذا بهم يسمعون دوياً عميقاً اهتز له الثلج والجليد ، وانهال عليهم جائح من الثلج ، فتردّى سبعة من الحمالين إلى الهاوية حيث ابتلعتهم إلى الأبد . وهكذا كانت عاقبة تسلق إڤرست فى عام ١٩٢٢ ، فهى لم تنته بالهزيمة وحسب ، بل انتهت بفاجعة أيضاً .

وفى مارس ١٩٢٤ قامت حملة ثالثة من دار جيلنج كان من أعضائها مالورى الذى لايعتريه الكلال ، فبدأوا يمهدون لرحلتهم على نهج منظم وبسرعة ودؤوب ، ثم بقى لهم قرابة شهر كامل للتسلق ، على أن سوء الطالع داهمهم قبل أن يصلوا إلى الجبل ، فلم يكد يقام المخيم الثالث تحت نورث كول حتى هب إعصار أحال المخيمات والمواصلات حطاماً مبعثراً ، وخرج المتسلقون الذين كانوا يحتفظون بجهودهم للمرحلة الأخيرة لبلوغ القمة ، لكى ينجدوا الرجال وينقذوا المؤن . وبعد أسبوعين من خروج طليعة الحملة من مخيمها الأول تملأ قلوبهم القوة والتفاؤل، عادوا أدراجهم وقد عضهم الصقيع وصاروا حطاماً بلغ الإعياء منهم كل مبلغ .

لقد أصابتهم ضربة شديدة ، ولكنهم تهيأوا للنضال وجمعوا أنفسهم على قهر الجبل

من جديد . على أن سوء الطالع صادف الجماعة مرة أخرى على الحائط الثلجي العظيم أسفل نورث كول ، فإن زوابع السنتين الماضيتين وجوائح الجليد قد أحالت وجهه إلى إكام متناثرة وكُهُوب شديدة الانحدار، بحيث لم يبق أثر للطريق القديم .

تلت ذلك أيام من العمل القاتل ، فكان عليهم أن ينقبوا آلافاً من الدَّرَج في الثلج والجليد ، وكان عليهم أن يقيموا السلالم ويعلقوا الحبال ليستطيع الحمالون أن يتسلقوا بأحمالهم . وأحدقت بهم أخطار كثيرة كادوا يتردَّون فيها لولا عناية الله . وقد حدث مرة بينما كان مالورى ينزل الحائط بمفرده ، أن زلت به قدمه ووقع إلى هوة فاغرة تحته ، غير أن معول الثلج الذى يحمله اصطدم لحسن حظه بالثلج وتعلق به بعد أن سقط عشر أقدام فقط ، ولم يكن تحته غير فضاء أزرق ضارب إلى السواد ، ولم يسمع رفقاؤه أصوات استغاثته لبعدهم عنه ، واستطاع بشق النفس أن يتشبث بالثلج ويتسلق حتى انتهى إلى مأمنه ونجا .

وأخيراً تم إنشاء الطريق على الحائط ، وفى تلك الليلة نفسها نزل زئبق مقياس الحرارة إلى ٢٤ تحت الصفر ، وسقط مع الفجر ثلج كثيف ، واضطر المتسلقون مرة ثانية خلال أسبوعين ، أن يعودوا أدراجهم إلى مخيم قاعدتهم ليستريحوا بضعة أيام .

وكانت الحملة قد أعدت عدتها لتبلغ الحافة الشمالية الشرقية لإفرست فى منتصف شهر مايو ، ولكن حل شهر يونيو ولم تطأ قدم رجل منهم أرض الجبل الأصيل ، وستهب الرياح الموسمية بعد عشرة أيام أخر ، وكان عليهم إذا أرادوا النجاح أن يبذلوا جهداً جهيداً حثيثاً .

وألقوا بأنفسهم فى الأسبوع التالى على الجبل يتسلقونه فى براعة لم يشهد لها العالم نظيراً من قبل . وكانت الخطة أن يتسلقوا الجبل فوجاً بعد فوج ، وكل فوج رجلان ، وبين السابق والتالى يومٌ كامل ، وكان عليهم أن يقيموا مخيماً سادساً أقرب مايكون إلى القمة بقدر مايدخل فى طوق الحمالين .

واختير مالورى وبروس للمحاولة الأولى ، حتى إذا بلغا ارتفاع ٢٥٫٣٠٠ قدم اشتد البرد فى الليل وبلغ درجة الصفر ، وعصفت الريح عاتية ، فلم يقوَ الحمالون على المضى فى سبيلهم ، ولم يُجْدِ فيهم أى إغراء يحملهم على التصعيد فى الجبل ، واضطر مالورى وبروس إلى النزول معهم وهما يتميزان من الغيظ .

وكانت الجماعة الثانية المؤلفة من نورتن وسمرفيل قد بدأت تصعد فى الجبل لمن نورث كول وفقاً للخطة الموضوعة ، ومرا

بالجماعة الأولى وهى نازلة . وجهدت الجماعة خطوة خطوة فى التصعيد حتى جمدت أطرافهم وثقلت أقدامهم وكادوا يختنقون لقلة الهواء . وأخيراً استطاعوا أن يقيموا المخيم السادس على ارتفاع ٢٦٫٨٠٠ قدم فلما فرغوا من مهمتهم نزل الحمالون .

ونام نورتن وسمرڤيل تلك الليلة فى خيمة صغيرة ، ثم واصلا التصعيد عند شروق الشمس ، وكان البرد قارساً ، فجعل الرجلان يسعلان ويشهقان فى الهواء الرقيق المتجمد ، ولم يكن فى استطاعتهما أن يسيرا اثنا عشر خطوة متتالية دون أن يقفا ليستريحا . وكانا يتنفسان من أربعة أنفاس إلى عشرة أنفاس فى كل خطوة يخطوانها أثناء مسيرهما ، على أنهما واصلا السير خمس ساعات حتى بلغا ارتفاع ٢٧٫٠٠٠ قدم ، ثم ٢٧٫٥٠٠ قدم ثم ٢٨٫٠٠٠ قدم .

وعند الظهر أخذت سمرڤيل نوبة من السعال ، وأشار بيديه إلى رفيقه أن يواصل السير وحده .

وبعد مسيرة ساعة بلغ نورتن حفرة يملؤها ثلج ناعم متفكك ، فلو زلت فيها قدمه لتردى ١٠٫٠٠٠ قدم حتى ينتهى إلى ثلاجة رونجبوك . فعبرها نورتن سالماً ، ولكنه علم وهو متعلق بيديه إلى الحافة أن الرجاء قد انقطع ، فقد أخذ الصداع رأسه وجعل قلبه يخفق بشدة ، حتى خيل إليه أنهما سينفجران فى أية لحظة . وأشنع من ذلك أن بدأ يرى الشىء الواحد شيئين ، ولم يعد يقوى على جرقدميه المتثاقلتين إلى حيث يريد أن يمضى بهما ، ولم يكن للتصعيد أكثر من ذلك غاية سوى الموت المحتوم .

وقف نورتن بضع لحظات جامداً بلا حراك ، وقد بلغ ارتفاع ٢٨٫١٢٦ قدماً ولم يبق على الهرم الذى تنتهى به قمة إفرست سوى بضع ياردات من فوقه ، ونحو ألف قدم من الصخر المنحدر الخالى تقريباً من الجليد ، تناديه وتدعوه إلى القمة الباذخة والهدف المتلألىء .

هبط نورتن وسمرڤيل من تلك المنحدرات الهائلة سالمين وتولاهما رفقاؤهما بالعناية ، بعد أن بذلا كل ما يطيقانه من جهد .

عزم مالورى وقد أمضه الألم لإخفاق محاولته الأولى ، أن يحاول مرة أخرى . نعم ، إن جبل إفرست كان قريع مالورى وحده دون الناس جميعاً . فقد راد الطريق إليه ومهدت قدماه السبيل إلى شعفاته العليا ، وكانت روحه المتأججة هى القوة الدافعة النافذة فى كل محاولة ، وكان غزو قمته هو حلم حياته العظيم .

واندفع مالورى إلى الأمام قدما بسرعته المعهودة ، وبدأ هو وأندرو إرڤين ، أحد

أفراد فرقة التجذيف بجامعة أكسفورد ، يصعّدان فى الجبل من نورث كول ، فبلغا المخيم السادس فى الليلة الثانية ، وقررا أن يستعملا جهازات الأوكسيجين فى المرحلة الأخيرة . وروى آخر الحمالين الذين نزلوا من أعلى مخيم فى تلك الليلة ، أن مالورى وإرفن كانا على خير حال يفيضان أملا فى النجاح .

وقيض لرجل واحـد أن يرى مالورى وإرفن فى آخر العهد بهما .

ففى الثامن من شهر يونيو همّ ن . ا . أودل عالم طبقات الأرض المرافق للجماعة ، وكان قد قضى ليلته وحيداً بالمخيم الخامس ، فانطلق يريد المخيم السادس ومعه حقيبة فيها شىء من المؤونة ، وكانت مسالك الجبـل العليا قد غشيها ضباب أدكن خفيف ، ولم يستطع أودل أن يستبين مما فوقه إلا القليل . فلما تسلق فجوة صغيرة على ارتفاع ٢٦٫٠٠٠ قدم ، انقشع الضباب هنيهة وبدت القمة فى جلالها الرائع ، ورأى فوقها شبحين صغيرين ارتسما على صفحة السماء وليس بينهما وبين ذروة القمة الباذخة أكثر من ٨٠٠ قدم . ظل يرقب الشبحين وهما يصعدان رويداً رويداً إلى القمة ، ثم أطبق عليهما الضباب مرة أخرى وغابا عن ناظريه .

وقد أتى أودل فى الثمانى والأربعين ساعة التالية بمعجزة فى الصبر والجَـلَـد ، فقد بلغ المخيم السادس بكيس المؤن الذى يحمله ، ثم صعّـد فى الجبـل أعلى من ذلك وهو يرقب وينتظر ، بيد أن قمة الجبل ظلت محجبة فى الضباب ولم تبـد بادرة تنبىء عن عودة المتسلقين . وفى صباح اليوم التالى صعّـد ثانية فى الجبل من المخيم السادس باحثاً منادياً بأقصى ما يطيق البشر ، ولكن ما من مجيب إلا عويل الرياح ، وبدت الذروة الشماء شامخة بأسرارها المحجّبة وجلالها المنيع ، متلفعة بصمت الدهور ووحشتها . وأخيراً ضاع كل رجاء ، ونزل أودل إلى أعلى مخيم وطـيّر نبأ الفاجعة إلى من كانوا يترقبون عند السفح .

لقد ثوى جثمان مالورى وإرفن فى مكان ما من تلك البيـداء الموحشـة من الصخر والجليد التى تحرس قمة العالم ، أما أين وكيف دهمهما الموت ، وهل ظفرا بالنصر قبل النهاية فشىء لم يُحِـطْ بعلمه إنسان .

إنى لأنزل عن كل شهرتى وفنى ، إذا وجدت امرأة لا تزال مشغولة البال بى إذا تأخرت عن موعد العشاء .

[ترجنيف ، القصصى الروسى]

إمبراطور رومانى يبطل كهانة عراف بليلة قصف وعنف لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

كاليجولا المجنون — يلهو

روبرت جريفز*

مختصرة من كتابه " أنا، كلوديوس "

صور من التاريخ

كان من خبر كاليجولا الذى صار فيما بعد من أشهر أباطرة الرومان فى القرن الأول من ميلاد المسيح ، أن عرافاً أنبأه فى ريعان صباه ، أنه يستحيل أن يصير إمبراطوراً كما يستحيل عليه أن يعبر خليج نابلى على متن جواد . فلما صار إمبراطوراً عقد عزمه على أن يبطل الشطر الثانى من تكهن العراف . فأمر رؤساء النواتى فى إيطاليا وصقلية جميعاً أن يأخذوا ' اريق على جميع السفن الكبيرة، وينزلوا حمولتها ويخزنوها، ثم يوجهوا السفن إلى خليج نابلى محروسة ببوارج الحرب . فاجتمع هناك نحو ٤٠٠٠ سفينة ، منها ألف بنيت خاصة لذلك الغرض ، وألقت مراسيها جميعاً فى عرض الخليج . ثم جعلوا السفن صفين متوازيين يمتدان من ميناء « بتيولى » إلى دارته (ڤيلا) فى « باولى » . فكانت أعجاز السفن ناتئة تفسد عليه ما يريد ، فما هو إلا أن أمر بأن تسوى حتى تصير سطحاً منبسطاً ، فنشروا منها جميعاً الجزء الناتىء عند مقدم السفن ومؤخرها . ثم غطى السفن بألواح الخشب ، وألقى على الألواح التراب ، ورش التراب بالماء ثم دك حتى استوى ، فصارت مهاداً منبسطاً عريضاً يبلغ طوله نحو خمسة أميال ونصف ميل .

ثم أمر كاليجولا أن يقام صف من الدكاكين على طول جسر السفن الممدود ، وأن توضع فيها السلع ويتولاها العمال ، فيما لا يزيد على عشرة أيام استعداداً للاحتفال الذى أعده ليوم عبور هذا الجسر . فلما جاءت سفن أخرى عائدة من رحلاتها فى الشرق، شد بعضها إلى بعض حتى صارت

---

* روبرت جريفز ، شاعر إنجليزى وناقد ممتاز نال شهرة ذائعة بكتبه الثلاثة عن الإمبراطورية الرومانية : « أنا كلوديوس » و « كلوديوس الإله » و « كونت بليزاريوس » .

على شكل خمس جزائر متصلة بذلك الطريق الممدود . وجعلت هذه الجزائر كأنها قُرَى، تُرفع إليها الماء وأقيمت فيها الحدائق .

وأخيراً صار كل شيء على أتم الأهبة ، ولبس كاليجولا عباءة من الحرير أرجوانية اللون مطرّزة بالجواهر ، ووضع على رأسه إكليلاً من أوراق البلوط ، ثم قرّب قرباناً إلى إله البحر (نبتيـون) ، وقرباناً آخر إلى إله الحسد خوفاً من أن يحسده إله من الآلهة، أو كما قال . وبعدئذ اعتلى متن جواده وانطلق يركض على الجسر، وتبعته حاشية فرسانه جميعاً ، ثم فرسان على أثرهم جاء بهم من فرنسا، يتبعهم ٢٠٠٠٠٠ راجل. فلما بلغ الجزيرة الأخيرة على مقربة من بُتْيولى ، أمر نافخي الأبواق أن ينفخوا ، واقتحم المدينـــة اقتحاماً ، كأنه يطارد عدوًّا فارًّا .

وقضى الليلة واليوم التالى فى بُتْيولى كأنما يستريح من عناء المعركة . فلما أقبل المساء عاد أدراجه قاطعاً الجسر فى مركبة النصر الذهبية ، وسارت على أثره صف من العربات محملة بغنائم المعركة — من أثاث وتماثيل وحُلى مما نهبوه من بيوت التجار والأثرياء فى بتيولى . وأخذ الرهائن من العبيد الأجانب حيثما ثقفهم ، عليهم ثيابهم التى يلبسونها فى بلادهم، ومطوّقين بالسلاسل الثقيلة . أما أصدقاؤه فقد ساروا على أثره فى مركباتهم المزخرفة ، وعليهم الحُلل الموشّاة ، وهم ينشدون الأناشيد فى الثناء عليه ومَدْحه . ثم تبعهم الجيش ، ومن ورائه ٢٠٠٠٠٠ نسمة فى ملابس يوم الزينة . وأوقدت النيران على قمم التلال المحيطة بالخليج ، وحمل كل من شهد يوم الحفل مشعلاً فى يده .

فلما ألقى عصاهُ واستقر فى « باولى » مرة ثانية ، ترجّل عن جواده وأمر أن يحمل إليه صولجانه ، وهو رُمْح له ثلاثة نصال من الذهب ، فحمله فى يده ونزل إلى أحد زوارق القصف واللهو ، وسار به الزورق إلى أوسط الجزر الخمس ، يتبعه أكثر جيشه فى سفن الحرب . ثم نزل من زورقه وارتقى منصّةً مكسوّة بالحرير ، وخطب الجموع المحتشدة وهى تمر على الجسر الممدود . ثم أعلن أنه سوف يعطى كل جندى قطعتين من الذهب ينفقهما فى لهوه وشرابه ، وأنه سيعطى كل من شهد الجمع خمس قطع من الفضة . فظل هتاف الجماهير يشقّ الجو نحو نصف ساعة ، حتى أمرهم كاليجولا أن يكفوا ، ودفع لهم ما وعدهم به. فاصطف الجمع صفوفاً، وجاءت حقائب المال وأفرغ ما فيها واحدة بعد أخرى ، فما مضت ساعتان حتى نفد المال كله . فما كان من

كاليجولا إلا أن أذن للمتخلفين اللاحقين أن يأخذوا بثأرهم من السابقين الذين أسرع بهم طمعهم وجشعهم . وبذلك احتدمت بينهم معركة حامية .

ثم جاء الليل فكانت أروع ليلة عرفها الناس من ليالى الشراب والغناء والصراع والقصف . وكان كاليجولا إذا شرب ساءت أخلاقه ، فخرج على رأس حراسه يطوف بالجزيرة وبصف الدكاكين ، ويقذف بمن يلقاه فى اليم . وكان البحر ساجياً ساكناً ، فلم يكن يعجز عن أن ينجو بنفسه إلا السكران المنزوف ، أو الهرم المحطم ، أو الطفل العاجز . وكذلك لم يغرق ليلتئذ أكثر من ٢٠٠ نسمة أو ٣٠٠ نسمة .

فلما انتصف الليل أغار كاليجولا بسفنه على إحدى الجزر الصغيرة ، فحطم جانبي الجسر ، وجعل يصك سفن الجزيرة واحدة بعد أخرى حتى لم يكن لركابها الذين عزلهم بدٌّ من أن يحتشدوا فى رقعة صغيرة فى وسط كل سفينة . وبقيت الغارة الأخيرة لكاليجولا نفسه فى سفينته ، فجاءت به وهو واقف فى بُرْجها وفى يده صَوْلجان يُلوّح به إليهم، ثم انقضّ على البقية المذعورة وأغرقهم جميعاً فى جوف البحر .

فلما انصرم اليومان — يوما الترفيه — كان خزانة ماله قد نفد كل ما فيها . وشرٌّ من ذلك أن كاليجولا لم يأمر بردّ السفن إلى أصحابها ونواتيها ، بل أمر أن تُرمّم الفجوات والثُّلَم ، ثم عادَ أدراجَه إلى رومة، وشغلته عن الفكر فى أمرها أعماله الأخرى . وجاءت عاصفة عاتية وأغرقت ألف سفينة على المكان . وقد استطاع بحارة ألفي سفينة أن ينزعوا مراسيها ويفلتوا بها من غوائل العاصفة ، إلا أن الخسارة أحدثت نقصاً عظيماً فى السفن التى تحمل القمح والميرة من مصر وإفريقية ، وكان من جراء ذلك أن قلّ الطعام فى رومة قلّةً تنذر بالخطر المستطير . وكذلك انتهى أروع مشهد من المشاهد التى عرفتها الدنيا — وأخلاها أيضاً من الغرض والمعنى .

·oOOo·⇐·oOOo·

نزاع للحياة

فى كل صباح حين أخرج من دارى أقول لنفسى : « سوف ألقى اليوم رجلاً وقحاً ، أو منكراً للجميل ، أو ثرثاراً . وهذا شيء طبيعى ولا مفرّ منه ، فلا تلق إليه بالاً . »

[ماركوس أوريليوس]

ميلوا عن طريق الحرب

وليم هارد و اندريه فيسون

نحن في الأمم المتحدة نعالج المنازعات الدولية منفردة ، ولكنا نأبى أن ننظر إلى الخيط الذى يصل ما بينها ، وهذا الخيط هو بحث كلٍّ من الدول الكبرى الثلاث عن « أمنها » الخاص .

وليس فى وسع الأمم المتحدة أن تخرج ابتداءً ، شيئاً من ذات نفسها ، فإنها ليست إلا وكالة حكومات ، فليس فى مقدورها أن تخرج إلا ماتغذّيها به الحكومات . والحكومات الآن تغذّيها بحوارٍ فى السلم والسلوك ، لن يختلف فى شىء لو أنها رأت أن الحرب لا مفرّ منها .

إن الاتحاد السوفيتى يأخذ كل غلام ويشرع فى تدريبه فى مدرسته للخدمة الإجبارية فى الجيش الأحمر ، وهو يحتفظ بقوة لهذا الجيش تبلغ ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ ، وقد شرع يبنى أسطولاً من الطراز الأول لم يكن للقياصرة مثله . وهو يعلن بلسان ستالين أن الجيش الأحمر والأسطول الأحمر سيرفعان فن الحرب إلى مراتب أعلى فأعلى ، من الكفاية والقدرة على التدمير .

والبريطانيون يتشبثون على قدر مايدخل فى طاقتهم بكل « حصن للإمبراطورية » ، من جبل طارق على أرض أسبانيا إلى هونج كونج على أرض الصين ، ويحتفظون بالتجنيد الإجبارى ، ويجعلون الأسطول الملكى مستعداً أبداً للوقوف فى وجه أية عاصفة دولية .

والولايات المتحدة لا تقترح وسيلة لمنع الأمم المتحدة من أن تصبح إحدى وخمسين داراً للصنعة تصنع السلاح للدفاع المزعوم والعدوان المحتمل . فما هو مقصدها ؟ إنها لا تحاول أن تخرج أعضاء الأمم المتحدة الخمسين معاً عن النهج القديم ، وإنما تنضم إليهم فيه ، وتنوى أن تنشىء جيشاً لم يسبق له مثيل فى قوته ، وأن تدرّب له الشباب الأمريكى تدريباً تامًّا ، وأن تبنى أسطولا أكبر بمقدار خمسين فى المئة من الأساطيل المجتمعة لبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى ، وأن تكون لها أعظم قوة جوية فى العالم ، وهى تصنع قنابل ذرية أكبر وأشد هولاً ، ومقذوفات مدمرة بعيدة المدى تطلق بالنفث أو على هيئة الصواريخ ، أكبر وأقوى من مثيلاتها .

وأخيراً تنوى أن تنافس إلى النهاية بريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وقد شرعت

فعلا فى ذلك ، بالمطالبة بقواعد قصية ، وبإيقاع الضغط على الدول الأجنبية لتقوم فيها « حكومات صديقة » ، وبإرسال « بعثات عسكرية » إلى هذه « الحكومات الصديقة » لتعزيز فن الحرب ونشره ، وبالاحتفاظ بقلم مخابرات يستخدم جواسيس يدخلون فى كل البلاد الأجنبية ليحصلوا على المعلومات العسكرية والاقتصادية بأية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة .

على أن الدول الكبرى الثلاث كلها ينبغى أن تدرك هذا العبث المحض الذى ينطوى عليه تنافسها فى نشدان « أمن » قومى بحت إذا هى أرادت أن تتّقى الكارثة الدولية .

ولننظر فى وجوه « الأمن » البريطانى والأمريكى والسوفييتى . إن بريطانيا بفضل ما حققته قديماً فى باب الاستعمار من الأعمال التى بدأت فى عهد قرصان الملكة إليزابيث ، تستطيع اليوم أن تبدو أقل الجميع نزوعاً إلى العدوان . وقد ظل جبل طارق بريطانياً منذ عام ١٧٠٤ ، وهونج كونج منذ عام ١٨٤٢ ، والموقف البريطانى هو :

إن كل الدول ارتكبت فى الماضى أعمال عدوان ، فإذا أردت أن نردّ مظالم هذه الاعتداءات السابقة فإن عليك مثلا أن تقول للروسيين :

« آبار الزيت الغنية هذه التى تملكونها حول باكو على بحر قزوين ، لقد أخذتموها من فارس (إيران) بالقوة فى عام ١٨٠٦ فالآن ردّوها إلى الفرس ! » .

مثل هذا القول مستحيل فيما يرى البريطانيون، فإنه يقتلع نظام العالم من جذوره . وخير ما يمكن أن يُصنع هو منع العدوان فى المستقبل . ويقول البريطانيون إنهم يستطيعون من قبيل العمل الودى ، أن ينزلوا عن بعض اعتداءاتهم السابقة لمجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة، ولكن تحول دون ذلك حقيقة حربية لا مصرف عنها ، فإن كل واحد من هذه الاعتداءات الماضية لا غنى عنه لبريطانيا ولأمنها اليوم .

وهذه الحجة لا تقنع الروسيين كل الإقناع ، فهم يقولون إنكم معشر البريطانيين تحاولون أن تفرقوا تفريقاً سخيفاً بين الماضى والحاضر والمستقبل ، ولكن الزمن يقبل فى أوقات مختلفة على الأمم المختلفة بحسب نشوئها التاريخى ، وطبقاً لمذهب كارل ماركس . واليوم هو زمننا نحن الروسيين ، فهل نحرم أمننا لا لسبب سوى أن أمنكم البريطانى تحقق قبل أمننا ؟

وفى سبيل أمننا الروسى منذ ١٩٣٩ ، وعلى الرغم جهاراً من مواثيق عدم الاعتداء ، استلحقنا أجزاء من بولندة وفنلندة

وكل إستونيا ولاتفيا ولتوانيا ـ وهى أراض كانت تابعة للقياصرة ، واستردنا أيضاً الامتيازات الخاصة التى كانت للقياصرة فى منشوريا ، واستحوذنا على أقاليم معينة من تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ـ وهى أراض لم تكن قط تابعة للقياصرة .

يضاف إلى ذلك أن تجربتنا فى هـذه الحرب علمتنا أنه لا يجـوز مرة أخرى ـ فى سبيل أمننا ـ أن تكون هناك فى أى مكان قريب منا حكومات غير صـديقة . ولهذا ، وبفضـل الجنود الحمر والوكلاء المحليين من الأهالى الذين يستجيبون لموسكو ، حصلنا على « حكومات صـديقة » الآن فى رومانيا ، وبلغاريا ، وبولندة ، ويوغوسلافيا ، وألبانيا . وخليق بنا أن نشعر بأننا آمن إذا كانت لنا « حكومات صديقة » فى إيران وتركيا أيضاً .

ومتى صرنا فى أمن تام ، فإننا نصبح مسالمين كل المسالمة ، وهـذا هو السبب فى أننا نزعنا بروسيا الشرقية من ألمانيا ، وجزر كوريل من اليابان ، منتهكين بذلك ميثاق الأطلسى الذى يقضى بعدم ضم بلاد أخرى ، والذى انضممنا إليه بصفتنا عضواً فى الأمم المتحدة فى أول يناير سنة ١٩٤٢ .

على أن هذا كله يا أصدقاءنا البريطانيين الأعزاء ليس إلا مقدمة . فقد أرتنا سيرتكم أن الدولة لا تكون آمنة إلا إذا كانت لها قواعد على مسافات بعيدة جداً من أرضها . وهذه سنغافورة مثلا تقع منكم على الجانب الآخر من العالم ، على أننا لن نتطلع إلى مثل هذا المطمح فى البداية ، وكل ما نطلبه هو قواعد فى البحرين الأبيض المتوسط والأحمر ، وهما قريبان جداً منا فى الحقيقة : فى جزر الدوديكانيز القريبة من قاعدتكم فى قبرص ، وفى طرابلس التى كانت إيطالية فيما مضى ، على كثب من قاعدتكم فى مالطة ، وفى إريتريا الإيطالية سابقاً قرب قاعدتكم فى عدن . .

وأنتم تعترضون بشدة وتقولون إن هذه القواعد ستهدد أمنكم و « خطوط الحياة » لكم ، فلنسألكم :

هل أنتم منفردون بالحق فى أن تكون لكم خطوط حياة ؟ ونحب أن نقول لكم فى صراحة إننا ننوى أن تكون لنا خطوط حياة آمنة كخطوطكم ، مهما بلغ من عنف مقاومتكم .

وهذه هى التقدمة البريطانية والروسية لفكرة « الأمن » ، وهى فكرة لا يسمح بها إلا للدول الكبرى . وما من أحد يرى أن دولة صغيرة ضعيفة كسويسرا تحتاج إلى الاستيلاء على أى أرض جـديدة فى سبيل أمنها ، ولو أن سويسرا طالبت بأرض من إيطاليا وفرنسا وألمانيا والنمسا لتعزيز أمنها

لضحك العالم ، فهى الدول الكبرى القوية وحدها التى يجب أن تصبح أكبر وأقوى لتكون آمنة ! ثم تتصادم مناطق أمنها فتصبح مناطق نزاع وصراع ، وتتداخل خطوط حياتها وتصبح خطوط حرب * .

ونحن الأمريكيين نهمّ أن نشترك فى هذا الصراع وأن نجعله يشمل الكرة الأرضية كلها.

وفى وسعنا أن نقول بحق للروسيين :

إنكم تبغون قواعد جديدة فى النصف الشمالى وحده من الكرة ، فيالها من تجربة ! ونحن نبغى قواعد فى النصفين الشمالى والجنوبى جميعاً . وإنكم لتبغون القواعد الجديدة فى ناحيتكم فقط من نصف الكرة الشرقى فيالها من قناعة ! أما نحن فنبغيها فى نصف الكرة الغربى الذى نحن فيه وفى النصف الشرقى الذى أنتم فيه أيضاً .

ففى المحيط الهادى تريد الولايات المتحدة قواعد فى جزر مارشال وماريانا ، وكذلك فى إيوجيما وأوكيناوا ، وهذه المطالب التى يستدعيها الأمن مناقضة للتعهد فى ميثاق الأطلسى بعدم الضم ، ولكنها تبغى أن تشعر بالأمن ، ولكى تكون آمنة يجب أن تكون قريبة من الصين .

وقد حصل الاتحاد السوفيتى بموافقة رئيس للولايات المتحدة على قاعدة بحرية فى أرض صينية هى بورت آرثر بمنشوريا . وبمساعدة رئيس أمريكى آخر ، يجب على الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً للوقاية من شر هذه القاعدة ! وقد وافق مجلس النواب على مشروع قانون يخول الرئيس ترومان أن يهب الصين ٢٧١ سفينة حربية صغيرة ، وأن يعيرها مئة ضابط بحرى أمريكى لتعليم الصين كيف يقاتلون فى البحر ، وقد قام ضباط الجيش الأمريكى بالشىء الكثير لتعليمهم القتال فى البر ، والأرجح أنهم سيفعلون ما هو أكثر.

وفى عالم « دولى » لا يمكن أن يتجاوز التدريب على القتال الحد ، أو تزيد القواعد التى تنطلق منها القاذفات على مقدار الحاجة . فمن أوكيناوا تستطيع الولايات المتحدة بسهولة أن ترسل القاذفات على بورت آرثر أو على ميناء فلادفستوك الروسى ، ومع ذلك لا شك أن الولايات المتحدة خليقة أن تعترض بشدة على وجود قاعدة روسية فى جزيرة كلبرتون الفرنسية تجاه المكسيك ، وهى تبعد من سان فرنسسكو مثل بعد أوكيناوا من فلادفستوك تقريباً .

ومثل هذا يصدق على المحيط الكبير الآخر ــ الأطلسى .

فقد أخذت الولايات المتحدة فيه القواعد

* راجع مقال « هل ضللنا طريق السلام ؟ » المختار : نوفمبر ١٩٤٤ ص ١

المتسع الجديدة من البريطانيين فى وقت محنتهم ، وأعطتهم فى مقابلتها خمسين مدمرة قديمة . وترمق الولايات المتحدة أيضاً قواعد فى البرازيل وفى الجزر الخالدات البرتغالية .

على أن الولايات المتحدة تبغى المزيد ، فإن المنطقة المتجمدة الشمالية هى مركز العالم فى عصر الطيران الجديد ، ومن أجل هذا تلح فى اتخاذ قواعد فى جرينلند وأيسلند .

وللروسيين اهتمام خاص بقاعدة أيسلند ، فإن الطائرة التى تقوم من نيويورك إلى موسكو تمر فوق أيسلند وتكون عندئذ قد قطعت ثلثى المسافة إلى موسكو . وهذا هو السبب فى أن القاذفات الأمريكية ينبغى أن تكون قادرة على القيام من أيسلند .

ولا شك أن طائرة تقوم من موسكو وتتجه مباشرة إلى نيويورك تمر فوق لابرادور ، وتكون حينئذ قد قطعت ثلثى المسافة إلى نيويورك ، ولكن هذا هو السبب فى أنه لا ينبغى أن تكون هناك قاعدة روسية فى لابرادور .

غير أن الشعب الروسى نزّاع بطبعه إلى مقابلة الفعل بمثله ، وهو ينشىء استحكامات جديدة على سواحله القطبية ، ولا ينكر النبأ القائل أنه يفكر فى مطالبة النرويج بقواعد على جزيرتى سبتز برجن وجان ماين ، وجزيرة جان ماين لا تبعد أميالاً كثيرة من أيسلند ، فإذا مضت الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفييتى على نهجها الحاضر ، فإنها لا تلبث أن تحيط القطب الشمالى بحلقة من القواعد تنذر بحرب .

أفلا نستطيع أن نرى أن كل خطوة تخطوها أمة من أجل أمن جديد معناها ثغرة فى الأمن القديم لأمة أخرى ؟ ألا نستطيع أن نرى أننا حين نقوم بحركة جديدة من حركات « الدفاع » على مقربة من أمة أخرى ، فإن الأمر يبدو لهذه الأمة الأخرى فى صورة حركة « هجوم » ؟ ألا نستطيع أن نرى أننا حين نمنح أنفسنا قوة جديدة فى منطقة نائية ، فإننا نوحى إلى أمة من الأمم فى تلك المنطقة أن تلتمس لنفسها قوة جديدة تقابل بها قوتنا ؟ ألا نستطيع أن نرى أن نتيجة الاستزادة المستمرة من الأمن لكل أمة هى زيادة انتفاء الأمن للأمم جميعاً ؟ هل حدث قط فى التاريخ من جانب الدول الكبرى لغط أكثر وسعى أعظم فى سبيل أمنها ؟ وهل هبت على الأرض كلها من قبل ريح خوف وجزع أسود من هذه ؟

ألم يئن أن يوضع برنامج نافع يجعل هذا السعى الكاذب للأمن سعياً صادقاً فى سبيل السلام ؟ قال بيرنز وزير الخارجية الأمريكية منذ عهد قريب : « إنى مقتنع

بإمكان الوصول إلى حلول مرضية إذا انقطعت كل هذه المداورات فى سبيل المزايا الحربية » . ونحن هنا نعرض برنامجاً لإخراج هذه الفكرة إلى حيز العمل .

ولنفرض أن الولايات المتحدة قالت للروسيين :

إننا سنكف عن محاولة الحصول على قاعدة محصنة فى أيسلند ، إذا كففتم أيضاً عن محاولة الحصول على قواعد حصينة فى سبتزبرجن وجان ماين ، وسنمتنع عن تحصين جزر ألوشيان التى تؤدى رأساً إلى جزر كوريل ، إذا امتنعتم عن تحصين جزر كوريل التى تؤدى رأساً إلى جزر ألوشيان .

أفتشعر أى دولة من الدولتين حينئذ بأنها أقل أمناً ؟ ألا تحس كل منهما أنها أكثر أمناً ؟

ولنفرض أن الولايات المتحدة قالت للروسيين والبريطانيين :

إن الحرب العالمية الثانية إنما بدأت فى الحقيقة حين غزا اليابانيون الصين فى عام ١٩٣١ ، وقد قضى الحلفاء المنتصرون الآن على قدرة اليابانيين العسكرية على الغزو ، والدول الكبرى القريبة الآن من الصين هى روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة ، ونحن الأمريكيين سنحرص على عدم تحصين أيوجيما وأوكيناوا إذا حرصتم أنتم الروسيين على عدم تحصين بورت أرثر وفلادفستوك ، وإذا تركتم أنتم معشر الإنجليز هونج كونج غير محصنة .

أفتصبح أية دولة من الدول الكبرى الثلاث فى هذه الحالة أقل أمناً ؟ ثم ألا تكون الصين أكثر أمناً وأقل حاجة إلى استعدادات عسكرية وبحرية ؟

ولكن لنفرض أن الولايات المتحدة مضت إلى ما هو أبعد من ذلك ، ولنفرض أن ساسة الدولة الكبرى الثلاث بذلوا مجهوداً أدبياً هائلا وراضوا أنفسهم على تصديق ماوقعوه ، حين قبلوا الأحكام الخاصة بنظام الوصاية وبمجلس الوصاية فى ميثاق الأمم المتحدة . ولنفرض أنهم بعد أن وقعوا برنامجاً دوليًّا للبلاد التى تشملها الوصاية يحرصون على التزامه ، ولنفرض أنهم اتفقوا على ما يأتى :

تسلم الولايات المتحدة كل الجزر اليابانية السابقة والجزر التى كان لليابان انتداب عليها ، كأمانة إلى مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة لإدارتها .

ويوافق الروسيون على أن تتولى إدارة القواعد فى طرابلس وإريتريا الإيطاليتين سابقاً ، أية هيئة يختارها مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة .

ويسلم البريطانيون لمجلس الوصاية كل المستعمرات التى عهـدت عصبة الأمم فى الانتداب عليها إلى بريطانيا ، ويوافقون على أن لا تكون بريطانيا هى الوصية التى يعينها مجلس الوصاية .

فما ينبغى أن تتولى دولة كبرى إدارة أى أرض موكولة إلى مجلس الوصاية ، بل ينبغى أن تتولى إدارة هذه الأراضى كلها دول صغيرة لا يمكن أن يخشى أن تكون لها مآرب استعمارية مثل الدنمرك والسويد والنرويج وسويسرا . فما من شىء أحق بأن ينمى الشعور بالاخاء العالمى من رؤية أقاليم عظيمة تدار أمورها إدارة دولية حقاً لا استعمارية ، فى سبيل الخير العام للعالم .

وبعد ذلك نفرغ الصبغة الدولية على كل المساعى الملحة التى تبـذلها الدول الكبرى من أجل إنشاء « الحكومات الصديقة » .

فإذا كان الاتحاد السوفيتى وعدة نفوسه ١٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ يظن أن رومانيا التى ليس فيها سوى ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس عدوّ له وخطر عليه ، فليطرح الحقائق أمام مجلس الأمن التابع للأمم المتحـدة وليطلب النجدة .

ولتقترح بريطانيا هـذا على الاتحاد السوفيتى ، ولتمهد لتقديم هذا الاقتراح بأن تكف عن اتباع الضغط على الدول العربية لعقد معاهدات معها تتضمن نصوصاً « ودية » تؤتيها مركزاً عسكرياً بريطانياً فيها .

ولتنفض الولايات المتحدة يديها أولا ، ثم تخاطب الاتحـاد السوفيتى وبريطانيا جميعاً ، ولتكف الولايات المتحـدة عن استخدام قوتها لإكراه الأرجنتين أو غيرها من دول أمريكا اللاتينية على إقامة الحكومة التى ترى الولايات المتحدة أنه ينبغى أن تقوم . وإذا كان للولايات المتحدة أى شكوى من أية دولة أمريكية لاتينية فلتبسطها أولا لجامعة الدول الأمريكية ولتطرحها بعد ذلك إذا احتاج الأمر على الأمم المتحدة .

وفى هذا الباب نستطيع أن ننتفع بالمجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة ، فإن من أسـباب الضغط القوية فى سبيل إنشاء الحكومات الصديقة ، طلب الوصول إلى موارد البترول مثلا . وقد استغل البريطانيون والهولنديون والأمريكيون والفرنسيون — دون الروسيين — موارد الشرق الأوسط الهائلة من البترول .

وهذا الظلم كان يمكن رفعه بعمل يتخذه مجلس الاقتصاد والاجتماع دون أية حاجة إلى ضغط يوقعه الاتحاد السوفيتى على إيران ، لإقامة « حكومة صديقة » . وهذا المجلس نفسه يستطيع أن يجيب ما تطالب به روسيا من الحصول على « موانىء دافئة » بأن يحول

السفن الروسية الحق فى استخدام ميناء على الخليج الفارسى باعتباره « ميناء حراً » مع حظر إنشاء قواعد سوفيتية فى تلك المنطقة.

والآن فلنفرغ الصبغة الدولية على « البعثات العسكرية » . لقد أرسلت الولايات المتحدة بعثات عسكرية إلى ١٦ دولة أمريكية لاتينية لتعلم حكوماتها كيف ترقى مواهبها وتزيد براعتها المحلية فى القتل. والكونجرس يدرس الآن تشريعاً يخول الولايات المتحدة أن ترسل بعثات عسكرية إلى سورية والدولة العربية السعودية واليمن وغيرها من البلاد الواقعة بين فكى النزاع السوفيتى البريطانى فى الشرق الأوسط. فهل نحن نعتقد حقاً أن التوسع فى التعليم العسكرى هو ما يحتاج إليه الشرق الأوسط ليهدأ ويسكن ؟ إن على الحلفاء أن يقلعوا عن إيجاد مدارس لتلقين دروس فى الذبح . وعلينا أن نضع حداً للتنافس بين الدول الكبرى الثلاث فى سبيل حصول كل منها بواسطة البعثات العسكرية على أكبر عدد من الدول الصغيرة تضيفه إلى أتباعها فى الحرب.

ثم دعونا نفرغ الصبغة الدولية — فى أوقات السلم — على أقلام المخابرات فى العالم ، ونعنى بها فى صراحة نظم التجسس . فإنه يحدث دائماً أن يفتضح أمر بعض الجواسيس ، فيقبض عليهم من جراء أعمال تعد انتهاكاً لحرمة الضيافة الدولية . وقد كشف حديثاً عن أعمال من هذا القبيل قام بها وكلاء الحكومة السوفيتية فى كندا ، وسمموا بها العلاقات بين كندا والاتحاد السوفيتى .

وسيكون للأمم المتحدة قريباً ، وهى تسعى لحظر استعمال القنبلة الذرية ، مكتب تفتيش ، وهذا المكتب الذى سيعمل فيه علماء وجنود ، سيكون عليه أن يجوب كل البلاد ليمنع صنع القنبلة الذرية . وهو إذ يفعل ذلك سيكون مضطراً أن يجعل عينه على جميع الاستعدادات والمنشئات العسكرية من أى نوع — وكل ما يحتاج إلى العلم به أى قلم مخابرات مشروع . وفى هذه الحالة لا يكون وجود قلم مخابرات وطنى إلا استثارة لا مسوغ لها ، ودعوة متعمدة إلى مقابلة الفعل بمثله . فلتكن أقلام المخابرات الوطنية خاضعة تماماً للرقابة الدولية .

والآن نجىء إلى أصعب عمل فى سبيل إفراغ الصبغة الدولية على ما بين الأمم ، ولكنه على عسره يجب أن يتم ، إذا كانت الدول الكبرى الثلاث تروم أن تبث روح السلام فى الأمم المتحدة وتظفر بحقيقة السلام من هذه الأداة .

إن الصحفيين الذين شهدوا مؤتمر نزع

السلاح فى عصبة الأمم فى جنيف لا يسعهم إلا أن يتذكروا النداءات القوية التى كان ماكسيم ليتفينوف مرة بعد مرة يتحدى بها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، أن تقبل مع الاتحاد السوفيتى مبدأ نزع السلاح نزعاً تاماً . ومن حق مندوبى الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة أن يقولوا الآن :

يا رجال الاتحاد السوفيتى ، إننا نعود بكم إلى تلك الأيام التى كنتم فيها مثاليين ، وكنتم تعدلون عن الامتيازات القيصرية الخاصة القديمة فى البلاد الأجنبية ، وحين كنتم مستعدين لنزع السلاح . أفلا تستطيعون أن تعودوا كما كنتم فى تلك الأيام ؟ أم تراكم أنتم أيضاً قد أصبحتم دولة كبرى أخرى ليس إلا ؟ .

إن الصعوبات الفنية فى وضع مشروع اتفاق دولى للتدرج فى خفض السلاح فى العالم ، هائلة ، غير أن الإخفاق فى التغلب عليها يؤدى لا محالة إلى التسابق فى التسلح . فلماذا لا نوسع اختصاصات لجنة الأمم المتحدة الخاصة بالأسلحة الذرية ، بحيث تشمل كل الأسلحة ؟ أم ترانا نظن أن من الفظاعة أن تدمر مدينة فى لحظة ، ولكنه ليس من الفظاعة أن تدمر تدميراً بطيئاً وجانباً بعد جانب ؟

فالعدول عن الاستحواذ على قواعد بعيدة ، وعن تلفيق « حكومات صديقة » ، وعن إرسال بعثات عسكرية ، وعن الاحتفاظ بأقلام مخابرات ، والسعى إلى إفراغ الصبغة الدولية على كل هذه الأمور ، ووضع حد دولى للسلاح والقوات المسلحة — ألا يمكن أن تكون هذه الخطوات هى الدرجات الأولى فى سلم السلام الصاعد الواضح لمن يريد أن يراه ؟

إن الأمم لا يسعها أن تمضى فى التعامل بروح الحرب ، ثم تحقق السلام بأن تجلس من حين إلى حين فى غرفة واحدة . إن السلام يتطلب الإيمان ، ولكن الإيمان يموت إذا لم تؤيده الأعمال . والذى يفتقر إليه العالم هو أن يرى الدول الثلاث الكبرى تقوم ببعض أعمال السلام — السلام النافع الذى يسير بالأمم فى طريق التقدم .

تلقى خطب المآدب فى اليابان قبل تناول الطعام ، فذلك يخفف من قلق الخطيب ويحدُّ أيضاً من طول الخطبة ، لأن تقديم الطعام يقطع إطناب الخطيب الثرثار .

تعلموا أن تعيشوا مع أبنائكم

دوروثي كانفيلد فيشر

من كتاب "الأمهات والأبناء"

أذكر حتى يومي هذا ، ما كان
مني يوم كانت ابنتي الأولى لاتزال طفلة صغيرة ، فقد حزمت أمرى وعزمت بكل ما فى الأم المتعلمة من رغبة صادقة فى تنشئة طفلها على خير وجه ، على أن أفعل ذلك أو أموت . فذهبت إلى الطبيب وألححت عليه أن يزوّدنى بقاعدة صحية أجرى عليها ، فقلت : « يقول لى بعض النسوة إن الطفلة ستصاب حتما بالإسهال وتموت إذا أنا لم ألفّها بالصوف ، وبعضهن يقول : إن جلدها الغضّ سيتنفّط بالبثور المؤلمة إن لم أكسها بأرقّ الكتّان . فأى الفريقين على صواب ؟ »

فنظر إلىّ الطبيب كالمستغرب وقال : « دعينى أقل لك شيئاً واحداً يكتمه الأطباء عادة عن الوالدات : إن الطفل السليم ينمو نمواً صحيحاً ، مهما يكن الوهم الغالب على ذهن أمه . وسواء كسوت ابنتك بالكتان أو القطن أو الصوف ، فإنك لن تستطيعى مهما بلغ منك الهمّ والقلق أن تحولى دون نموّها ، مادام بدنها دافئاً نظيفاً غير مبتلّ ، وما دمت توفرين لها أسباب الراحة » .

وقد ظننتُ يومئذ أن قول الطبيب حكم عامٌّ مبهم يحاول أن يتهرّب به من الجواب ، ولكننى تعلمت منذ ذلك اليوم أن أبتسم كما يبتسم طبيبى الحكيم ، حين أرى ماتتكبده من عناءٍ لاحاجة إليه ، فى عزمنا الصادق على أن ننهض بما نراه واجباً على الأمهات لامحيص منه . وإننا لندهش حقاً ، حين نرى الأسر المعروفة بالصحة والسلامة والبشاشة ، تنجب جميعاً جيلاً من الناس متصفاً بالصحة والسلامة أيضاً .

فإذا ما أتيح للأطفال قدر كافٍ من النوم ومن الطعام المغذّى ، وحظٌّ معقول من التعليم ، وقسطٌ عظيم من الحبّ والحنان ، وشىء من التأنيب الرقيق ، نجوا من دور فى حياتهم تكثر فيه متاعبهم ، ويشتد صخبهم ، وتؤلمنا نقائصهم ، وإذا هم رجال ونساء لهم نفع فى جماعتهم ، وبهم حرص على القيام بما تطلبه الجماعة منهم . ونحن لانجنى شيئاً حين يأخذنا القلق عليهم ، ويشقينا ما نتصوّره من مصير كلّ عيب من عيوبهم ، سوى أن نسكب المرارة على بضع ساعات من حياتهم كانت خليقة أن تكون حلوة عذبة . ونحن نستكبر كلّ حادث صغير يحدث لهم ، بما يساورنا من

ألم الجزع على مصيرهم ، ثم يتعاظم الألم حتى يصير كالمرض ، فنتصور الحادث التافه أزمة خطيرة . ثم لا نزال نتأمل ما تنطوى عليه كلّ خليقة من خلائق الطفل من شقاء وبؤس ، حتى ندمر قسطاً وافراً من سعادة الساعة التى هو فيها .

ننظر فى حياة فتى من الفتيان فلا نرجو منه خيراً لعيب فيــه هو « الاستخفاف وعدم المبـالاة » ، وليس يجدى معهُ أن تهدّدهُ أو تغريه بالمكافأة ، أو تحضّهُ على أن يحفظ حجرته حسنة الترتيب ، أو أن يكفّ عن ترك دراجته فى المطر طوال الليل . ونحن حين نحثّهُ على أن يحسّن سيرته ، ونحاول أن نصلح من أمره ، نتلفت فى قلق وجزع إلى العالم الزاخر الذى تشتدّ فيه المنافسة دون هوادة أو رحمة ، فنحكم بأن مصيره إلى الإخفاق حتماً . ولكن حين يشبّ الفتى دون أن يفسده ما حرصنا عليه من إصلاحه ، تراه قد صار شاباً يفتن القلوب ، وعلى أنه لا يزال كما كان مستخفاً قليل المبالاة ، إلاّ أنه سديد الرأى مستقيم حسن السيرة ، أى أنه أصاب نجاحاً عظيماً ، وهو ليس ذلك الضرب من النجاح الذى كنا نريدهُ لهُ . وهو لم يصب من النجاح ما كان خليقاً أن يصيبه لو استطاع أن يجمع بين فضائل كثيرة متناقضة ، كالدقة والإحكام وحسن الترتيب ، وأن يكون فى الوقت نفسه رجلا سمحاً كريماً حسن المعشر . ومهما يكن من أمر ، فإنه صار فتى نفاخر به ، وقد كان خليقاً بنا أن نبدأ منذ زمن بعيد نستمتع بشخصيته وما تفيضه من الضياء والمرح على من حوله .

ومن أسهل السهل على الآباء أن يقعوا فى الخطـأ وسوء التقدير ، وأن يأخذهم الظنُّ بأن كلّ الفضائل التى حاولوا أن يرسخوها فى نفوس الصغار قد انهارت وقامت فى مكانها عيوبهم الأصيلة . فهذا فتى سوف يفضى به كسله إلى أن يصير أفّاقاً ، وهذه فتاة تدأب على الكذب ، وهذه أخرى تستبدّ بها الأثرة ، وهذا فتى آخر لاهمّ لهُ إلا اللجاجة .

وعسى أن يجىء شابٌّ من أهل قرابتك الذين يطلبون العلم فى الجامعة ليزورك فى يوم من الأيام ، وإنه لشابٌّ يفورُ شباباً وفتوة . وقد يكون من بواعث دهشتك أن ترى كيف يكون وجوده ومرحه حافزاً لصغارك ، فيغير حالهم تغييراً عجزت عنه أنت بكل ما بذلته من سعى لحملهم على الخير ، وإذا جوّ دارك قد تغير ، فحلّ الضيـاء محلّ القتام ، والاهتمام محلّ قلة المبالاة ، وإذا الفتى الكسول قد انقلب متوقداً متوفّزاً ، وإذا الفتاة الكذابة تنصرف عن الكذب ،

وإذا الفتاة ذات الأثرة تنسى نفسها فيما تصنعه لغيرها ، وإذا الفتى اللجوج قد زالت لجاجته فصارت دَماثة ورقة . هذا وقريبك الشابُّ لم يفه بنصح أو إرشاد ، ولا نطق بكلمة فى التنديد بعيوب الصغار ، ولا بكلمة فى الثناء على فضائلهم ، بل لم يكن قدوة حسنة لهم ، فكان يجلس مسترخياً فى مقعده ، وينفض رماد سيجارته حيث يكون ، ولكنّ اقتناعهُ الحيّ غير الواعى ، بأن أعظم مَسلاة فى الدنيا هى أن تكون حياً ، وأن متعة الحياة جديرة بكل مايبذل لها ، كان كالهواءِ البارد المنعش الذى يهبُّ على حين فجأة فيقشع غمام يوم قاتم يثقل على الصدور . والصغار الذين نتعهدهم بكل مايساورنا من قلق على مستقبلهم واهتمام بعيوبهم ، هم كالنبات الذى يذويه الجوُّ الذى لايوائمه ، فإذا هبت الريح المنعشة وغمره ضياء الشمس ، رأيته اهتز واستوى على سوقه ، ورأيت ماء الحياة يترقرق فى أفنانه وأوراقه .

ومع ذلك فهذا الشاب الذى جاءك من الجامعة ، لايملك من أسباب الغبطة والبهجة والثقة بالحياة بعض ماتملكين . فنحن الآباء الذين لايزال صغارهم تحت أجنحتهم ، نجتاز بهم اليوم خير مَرْحلة فى أسفار الحياة . فنحن أوفر صلة بالحياة ، ونحن طريق يجتازهُ أكبر عدد من أسباب الرجاءِ والعناية ، ونحن اليوم أكبر حظاً من الحبّ والحنان والبهجة من كل يوم سابق أو لاحق ، ولن يأتى علينا يوم نستطيع أن نستمتع فيه بما نستمتع به اليوم من آيات الحياة الوافرة الزاخرة ، ولا يوم ندنو فيه كما ندنو اليوم من صفاءِ الطهر فى الصغار ، أو نلمس فيه غبطة الحياة كما نلمسها فى وجودهم . ومع ذلك ترانا نكدّر إشراق هذه المسرّات العابرة عبوراً سريعاً ، فإن أقصى جهدنا لن يجعل الصغار صغاراً لاعيب فيهم ، ونحن لا ندع لمبدأ النموّ العجيب أمر الكشف عن قوى النفس كشفاً أتمَّ كثيراً مما نستطيعه نحن ، ثم إننا نواجه المستقبل مواجهة الوَجِل العاجز .

ولقد يساورنا خوف على عادات فى صغارنا نعلم حق العلم أنها لن تدوم على السنين بعد تمام نموّهم ، إذا كان ذلك النمو قوياً سليماً . ونحن نعلم أننا اجتزنا فى صغرنا مراحل لاتبشر بخير ، وأن إخواننا وأزواجنا وأبناء عمومتنا كانوا أحداثاً دأبهم قلة المبالاة والكسل وقلة الشعور بالتبعة ، فصاروا رجالاً دأبهم العمل والسعى واحتمال التبعات ، أو آباء يحسنون القيام على شئون أسرهم . وكثيراً مانرى فتيات من الغافلات اللاهيات قد صرن أمهات

محسنات ، ولكننا نبسط القتام فى سماء أولادنا بما نستشعره من خوف عليهم ، ظناً منا أن قانون النموّ لايسرى عليهم ، وانهم سيمضون يمصّون أصابعهم كالأطفال حين يطلبون العلم فى الجامعات ، وأنهم فى كبرهم سيظلون كما كانوا ، ينسون أحياناً أن يغسلوا وجوههم إذا هبّوا من النوم .

وفى طوقنا أن نعين صغارنا أن يتغلبوا على عيوبهم ، إذا أذنّا لأنفسنا أن نصدق ما نعلم أنه حقيقة لامراء فيها ، وهو أنهم فى نموّهم سوف يخرجون من هذه العيوب.

وفى طوقنا أن نسدى إليهم عوناً أعظم إذا نحن صرفنا بصرنا عن التحديق فى احتمال إخفاقهم . وفى طوقنا أن نبلغهم رسالة عظيمة القدر بالغة الأثر ، هى أن يؤمنوا بأن الحياة خيرٌ ونعمة سابغة مباركة .

حكمة المجالس

شبت منذ سنوات نار حاصدة فى مدينة صغيرة فى بنسلفانيا ، فعجز رجال المطافىء عن مكافحتها ، لأن الماء كان متجمداً فى حنفيات المطافىء . فاجتمع مجلس المدينة ليبحث فى الوسائل التى ينبغى له أن يقررها لكى يوقّى المدينة مثل هذه الكارثة .

وبعد ساعات من المناقشة العنيفة هب رجل واقفاً وصاح : « أقترح أن تمتحن حنفيات المطافىء ثلاثة أيام قبل كل نار تشبّ » !

وإذا عضو آخر قد هم واقفاً وأيّد الاقتراح ، فوافق عليه المجلس .

[إيفا يوتينس]

اجتمع أحد مجالس التعليم المحلية فى ولاية ماريلند وقرر أن المنطقة فى حاجة إلى مدرسة جديدة ، وبعد البحث وافق أعضاؤه على هذا القرار :

تقرر أن تشيد مدرسة جديدة فى هذه المنطقة ، وتقرر أن تشيد بمواد البناء التى شيدت بها المدرسة القائمة الآن لغلاء مواد البناء ، ثم تقرر أن يستمر الانتفاع بمبنى المدرسة القائمة إلى أن يصير مبنى المدرسة الجديدة صالحاً للاستعمال ، حتى لا تتعطل الدراسة .

[وليم مورجن ماكلان]

مكان عجيب حيث يتولى العلماء توليد ضروب جديدة من الحيوان والنبات تجدى على الفلاح وتزيد موارد الطعام

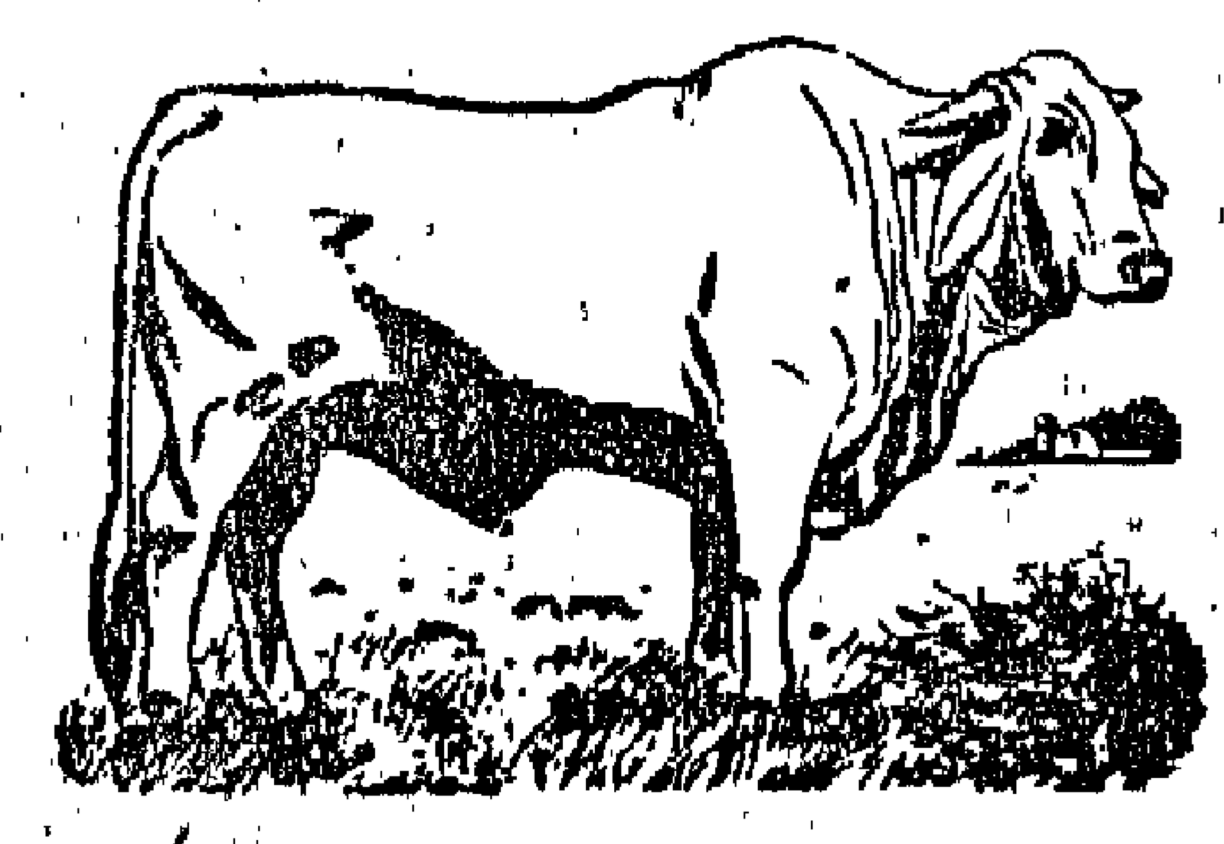
بقر ودجاج ممتاز

فردريك ج. براونل • مختصرة من "ذى أميريكان مجازين"

كنت منذ عهد قريب أصف لصاحب لى فى وزارة الزراعة ، تلك السيارات الجديدة العجيبة المنتظرة فى المستقبل القريب فقلت : « سوف تكون ممشوقة مجهزة بأدوات تكييف الهواء ، لايضرُّ بها التآكل أو الاصطدام . وسوف تبلغ من خفة الوزن مبلغاً يمكنك من أن تدفعها بيدٍ واحدة ، وتقطع بجالون واحد من البنزين ضعف المسافة التى كانت تقطعها به من قبل ، وسوف تصنع هياكلها وفقاً لحاجتك ومطالبك الخاص » .

فقال صاحبي : « ليس فيما تقولهُ شيء جديد، فقد أدخلنا كلَّ ضرب من ضروب الإصلاح التى ذكرتها على الأحياء فى وزارة الزراعة . ونحن اليوم ننتج ديكة رومية ممشوقة القوام ، وخساً يحتمل اختلاف البرد والحرّ ، ونبات طماطم لايذوى ولايفسد ، وبطيخاً كأنه قُدَّ خاصة ليوضع فى البرّادات . وقد ولّدْنا أنعاماً تعطينا من اللحم المقدَّد مقداراً يزيد ضعفين على المقدار الذى كانت تعطينا إياه ، مقابل نفس المقدار من الطعام الذى تأكله . ونحن ننتج غنما مختلف الأوصاف يوافق طلب كل طالب من الفلاحين الذين يقطنون الجبال أو الأودية أو الصحارى . أما إذا أردت أن ترى مايدهشك حقاً من العجائب ، فعليك أن ترى أحدث ما صنعناه » .

وعلى مقربة من وشنطن أنشأت وزارة الزراعة حقلا للتجارب فى النبات والحيوان، وقد ظللت أسبوعا كاملا أرتاد هذه المنطقة العجيبة التى مساحتها ١١٠٠٠ فدان ، فدخلت معامل رأيت فيها علماء الوراثة مكبين على تغيير طبائع الأحياءِ ، وتجوّلت فى أروقة عُلّقت على جدرانها نباتات لم تر



بقرة بعضها من سلالة أبردين أنجوس وبعضها من سلالة بقر الهند المقدس

من قبل ، وحدّقت فى حيوانات لم يكن لها مثيل فى فلك نوح ، رُكبت فيها خواص جديدة مرغوب فيها .

وهذا الحقل هو أكبر مركز من طائفة من مراكز التجارب ، تجد فيها علماء وزارة الزراعة مكبين على التوسل بوسائل التربية العلمية ، ليخلقوا ضروباً جديدة من النبات والحيوان . ويضاف إليها مراكز للتجارب تتعهدها حكومات الولايات ، ترى فيها العلماء يولدون ضروباً جديدة من المحاصيل ، وأنواعاً جديدة من الماشية سوف ترتع فى حقول الفلاحين فى الغد القريب . وقد عدتُ لساعتى من رحلة طوّفت خلالها بهذه المعامل العجيبة التى يتولى رجالها الأحياء ، كما يتولى المهندس الدور والجسور . وقد رأيت بصلا لا تدمع منه عين السيدة وهى تخرّطه ، وخوخاً ليس على جلدته زَغب ، وعشرات من هذه المعجزات العلمية . بيد أن أكبر ما راعنى من العجائب وجدته فى زرائب الماشية وأقفاص الدجاج والحقول الخضر .

فهذه بقرة ضخمة الجثة ، وثيقة التركيب ، تشبه بقرة هولشتين ، ولكنها تختلف عنها قليلا . وقد ذكر لى الراعى الذى يتعهدها أنها من نِتاج المزاوجة بين سلالتين ، وأنها ستكون رأس سلالة جديدة . وقد عرضت فى معرض زراعى فظفرت بجائزة الجمال ، أما مقدار ما تدرّه من اللبن ، فحدّث عنه ولا حرج . وقد أدرّت فى السنة الماضية ١٥ ألف كوارت (نحو ١٥ ألف لتر) ، أما ما يحتويه لبنها من الزُّبد فيفوق حدود التصوُّر ، فقد بلغ ألف رطل ، وهو يزيد ثلاثة أضعاف على معدّل الزُّبد فى لبن البقرة التى تقتنى للحلب . وهذه البقرة وديعة قوية البنية ، ويغلب أن تكون طويلة العمر .

وعلى مقربة من مكان البقرة ، رأيت عجول المستقبل التى تتخذ للحومها ، والعجل منها ضخم الجثة يكاد يكون مربعاً كالصناديق التى يشحن فيها لحمه ، فهو معمل حىّ متحرك يصنع اللحم الغضّ المرىء للقلى أو الشىّ . ووجدت فى حقل قريب ضرباً جديداً من الماشية يقتنى لغرضين مختلفين ، فالبقر يدرّ مقداراً كبيراً من اللبن يكثر فيه الزُّبد فتضارع بقرة جرسى الخالصة ، والعجول تذبح فيكون لحمها طيباً للأكل . وترى رعاة البقر يطالبون اليوم بعجول لا يستغرق زمن بلوغها وتمامها من أربع سنوات إلى ست سنوات ، بل يمكن أن تربّى حتى تكون صالحة للذبح وهى لم تكد تتعدّى سنة ونصف سنة من عمرها ، فيباع لحمها الغض بأثمان باهظة . ثم ترى بعض

الفلاحين قد أدركوا أن القطيع الواحد من الماشية قد يجدي عليهم محصولين : اللبن واللحم ، فطالبوا بذلك ، فإذا العلماء قد وجدوا الحلّ الذي تتطلبه الطائفتان جميعاً .

وقد أراد رعاة المواشى ، فى منطقة خليج المكسيك ، أن تكون لهم عجول تستطيع أن تحتمل عوادى الإقليم وآفات الحشرات ، فحلّ علماء وزارة الزراعة هذه المشكلة بأن ولدوا حيوانا غريب المنظر محدودب الظهر ، فلما وقعت عينى عليه قال صاحبى :

« إن اسمه مكدونلد سنغ ، بعضه من سلالة إبردين أنجوس وبعضه الآخر من بقر الهند المقدس عند البراهمة . فشعره الأسود يقيه وقدة الشمس ، والزيت الذى يفرزه جلده يذود الحشرات عنه » . وقد رأيت سائر المواشى مستلقية فى الظل تلهث من شدة الحرّ ، ولكن مكدونلد سنغ ظلّ يرعى غير عابىء به ، فيزداد وزنه ازدياداً مطرداً ، ثم يتحوّل مالاً فى جيب صاحبه ، وشرائح من اللحم الممتاز على مائدتك .

أما الفلاحون فى أمريكا الجنوبية فقد طلبوا نوعاً جديداً من البقر الحلوب ، ذلك بأن بقرهم يدرّ مقداراً يسيراً من اللبن ، والبقر الحلوب الذى يستورد من الولايات المتحدة لا يستطيع أن يحتمل عوادىَ الإقليم الاستوائى . وسكان الجزائر فى جنوب المحيط الهادى يحتاجون إلى بقر حلوب لا تؤثر فيه حرارة الجوّ ، ولا أمراض المناطق الاستوائية . وقد قيل لى إن العلماء قد أشرفوا على تحقيق مايطلبه الفلاحون فى الحالين .

أما فى أقفاص الدجاج ، فقد وجدت فراخ الغد قد قطعت نصف الطريق إلى الغاية المطلوبة .

قال الرجل الذى يتعهدها : « انظر فيما حولك . هذا سرب من الدجاج متفوق فى بيضه ، فكل دجاجة منه تبيض من ٢٦٠ بيضة إلى ٢٩٠ ، وهو ضعف العدد المألوف فى الدجاج البيوض . وترى هناك دجاجاً يبيض بيضاً فى حجم ليمونة اليوسف افندى . وأما السرب فى هذا القفص فقد اختص ببيض يصلح للطبخ على وجه معين ، وهو فى الوقت نفسه خير بيض للتخزين .

« أترى ذلك السرب من الفراخ ؟ فلحمها يكاد يكون كله لحماً أبيض طرياً لذيذاً . وهذه الفراخ الصغيرة التى ترى على أجنحتها خطوطاً سوداً هى ديكة صغار ، فقد طلب مربو الفراخ علامة خاصة يميزون بها الديكة ، ليعتمدوا عليها فى فرز الديكة الصالحة لتلقيح الأنثى البيوض ، فولّد خبراؤنا هذا الخط الأسود فى الذكور ليكون علامة مميزة » .

وما تمّ على أيدى علماء تربية الحيوان فى توليد أصناف وضروب من البقر والفراخ تمّ مثلهُ فى الحبوب ، وقد كانت الذرة المهجينة أول مثل على الظفر الذى أحرزوه.*

وقد غزا الحقول عدوٌّ ختّالٌ هوَ ضرب من الدود الصغار لونه كلون البشرة يطلق عليه اسم « ثاقب الذرة » . وقد نزلت آفته أولاً فى الولايات الشمالية الشرقية بالولايات المتحدة ، ثم انتشر انتشاراً سريعاً إلى الغرب والجنوب برغم الاحتياط والحجر. وتبين الباحثون أن السمّ لايتغلغل إلى مخابىء هذا الدود فى جوف العيدان ، ولايدلُّ على وجوده إلا ما تراه من نوّار ذابل وكيزان فارغة . ومع ذلك فقد رأيت حقلا زرع ذرة ، فرأيت نوّاره يخفق فى الهواء ، وليس فيما مساحته فدان دودة واحدة من هذا الدود الختال . فعلماء الوراثة قد وَلَّدُوا ذرة لها عودٌ لايقربه الدود . وقد وزعت بذور هذا الضرب الجديد من الذرة للبذر فى مساحات واسعة خلال سنة ١٩٤٦ .

وثمة حبوب أخرى لمستها يد الساحر العلمى . فقد وقفت بين حقلين زرع فيهما الشوفان ، وكان الشوفان فى أحدهما ضاجعاً على الأرض وقد فتك به مرض «الصدأ» ، وكان فى الآخر مستوياً مستقيما ، كأن آفة مرض الصدأ لاوجود لها فيما حوله من الأرض . وتربية النبات تربية علميـة ، هى التى وَلّدَت هذا الضرب من الشوفان الذى يسخر بالمرض ، ثم إن محصول الشوفان الجديد يزيد ١٠ ٪ على الشوفان القديم ، فدانا بفدان .

وقد رأيت حبوباً وَلّدَها العلماء فركبوا فيها خواص معينة طلبت منهم ، فأعانت الأمة على ما أصيبت به من قلة اليد العاملة فى المزارع خلال الحرب . ففى منطقة السهول العظيمة يبلغ ارتفاع الذرة طول الإنسان أو يزيد ، فينبغى أن تجمع عيدانها باليد لابالحصادات ، وهذا عمل طويل بطىء شاق . فقال الفلاحون : « هاتوا ضرباً من الذرة نستطيع أن نحصد عيدانه بحصادات القمح » ، فأكبّ علماء الوراثة على النبات ، وفككوه كما تفكك آلة ، ثم ولدُوا ضرباً جديداً منه لايزيد ارتفاعه على متر واحد .

وقد رأيت نوعاً جديداً من القمح صَمُولاً صلب المراس ، فهو لايبالى بمرض الصدأ الذى فتك بمئة مليون بوشل فى الحرب العالمية الأولى ، كانت الحاجة إليها ماسة . وهذا القمح لا يتأثر أيضا بصدأ

* « انقلاب فى زراعة الذرة » . المختار : نوفمبر ١٩٤٥ ص ٢٧

الأوراق ، ولا بمرض اليرقان . وقد بلغ من قوة احتماله أنه لايتأثر بالبرد إذا بلغ درجة خمسين تحت الصفر. وبذلك يتاح لفلاحي ألاسكا أن يزرعوه في مناطق لم تزل وقفاً على نبات الطحلب وشجر الصنوبر الهزيل .

وقد تمكن علماء الوراثة من أن يعيدوا تركيب الأحياء بأساليب أخرى رائعة ، فقد ولدوا نحلاً أنيساً لطيفاً ، وقطناً يوافق الآلة التي صنعت لجنيه، وضروباً من الفاصوليا والكرنب فيها من الفيتامين ضعف ما تجده في أصنافها المعروفة ، وخساً يظل رخصاً غضاً في أشد الأجواء حرارة ، وبطاطس يقاوم الحشرات والآفات .

إن النباتات والحيوانات التي نقلت من أوربة وآسية إلى أمريكا كانت أساساً لخير ما فيها من سلالات النبات والحيوان . ففي وسعها اليوم أن تردّ الأمانة بما تقدمه من السلالات التي ولّدها العلماء ، لكي تعمر بعض الأرض التي دمرتها جوائح الحرب .

محرر صيني يرد مقالاً

يا أخا الشمس والقمر

هذا خادمك ساجداً تحت قدميك ! وإنني لأركع بين يديك وأتوسّل إليك أن تأذن لي أن أتكلم وأظلّ حيًّا . إن مقالكم المكرّم قد تنازل فألقى عليّ سناه الجليل ، فتصفحته في نشوة من الفرح . وأقسم بعظام أسلافي أني لم أقرأ من قبل مثل هذه الآيات الزاخرة بالخاطرة السريعة والعاطفة النبيلة والفكر السامي . وأنا أعيدُه إليك جزعاً ، فلو أنا نشرت هذه الذخيرة التي أتحفتني بها ، لأمر الإمبراطور أن تتخذ مثلا يحتذى ، وأن لاينشر شيء إلا أن يكون في مثل روعته وبراعته . أما وأنا أعرف الأدب حق المعرفة ، وأعرف أن الإتيان بمثل مقالك لن يتاح قبل عشرة آلاف سنة ، فإني لأعيدهُ إليك مع خدم يتولون حراسته .

وإنني لأستميحك عذراً عشرة آلاف مرة .

انظر . هذا رأسي تحت قدميك ، وما أنا إلا حَفْنة من تراب .

خادم خادمك

وانج شن ، المحرّر

« صحيفة جعلت همها أن تكفل للصحافة حرية الرأى والتعبير عنه »

صوت "الرعّاد"



جورج كنت

نقلاً عن صحيفة "كريستيان سينس مونيتور"

تلقت جريدة « التايمز » الإنجليزية من الألمان فى الحرب العالمية الثانية ، أعظم تحية تلقتها قط جريدة. ففى الغارة الجوية التى شُنت على لندن فى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٠ أصيبت دار التايمز بقنبلة ، فأعلن الراديو الألمانى إعلان المظفَّر ، أن « صوت إنجلترا » قد أُسكت ، ولكن الألمان أخطأوا الحساب ، فقد صدرت الجريدة فى موعدها ، ولم تتوقف عن الصدور أبداً طوال الحرب .

والحوادث التى من هذا القبيل لم تكن نادرة فى تاريخ هذه الصحيفة المديد ، ففى أثناء الإضراب العام فى بريطانيا سنة ١٩٢٦ ، تدفق البنزين إلى حجرة المطابع فى دارها واشتعلت فيه النار ، ولكن الجريدة ظلت تصدر ، وإن بقيت فترة ما تصدر على قدر نشرة صغيرة ، والحقيقة أن « التايمز » كانت يوم احتفت بصدور عددها المرقوم ٥٠,٠٠٠ منذ بضعة أشهر ، قد قطعت مئة وستين سنة تصدر كلّ يومٍ ما عدا أيام الأحد فى عهدها الأول ، ويومى عيد الميلاد والجمعة الكبيرة أيضاً فى عهدها الحديث .

بيد أن صدورها فى الموعد المحدَّد بغير استثناء ، ليس كل ما فى جريدة التايمز . وقصتها هى قصة جريدة كافحت فى سبيل حرية القول وحققتها ، ثم تذرَّعت بهذه الحرية لتسدى الخير إلى أهل إنجلترا . وتحريرها القائم على الجرأة والاستقامة ، جعلها أعظم الصحف نفوذاً على سطح الأرض ، يحبها الناس ويكرهونها ، ولكنهم مجمعون على احترامها .

وإنّ منافساتها ليعترفن لها بالمنزلة الأولى . ففى إنجلترا الضيقة ، تستطيع أن ترى أية صحيفة تصدر فى لندن ملقاة على مائدة الفطور فى كلّ بيت فى طول البلاد وعرضها ، وما يوزَّع من التايمز قليلٌ — لا يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ نسخة إلا قليلا — ولكن نسخها تلقى على المئتى ألف مائدة ثمّن

لأصحابها شأن خطير فى البلاد . وقد أقامت التايمز الوزارات وأسقطتها ، ورفعت الملوك ورؤساء الوزراء فى البلاد الأجنبية وخفضتهم. وهى تحاول دائماً أن تجرى على شرعة الإنصاف كما تراها ، فلذلك تجدها قد ألهبت بسوطها أصحاب المصانع وجماعات العمال على السواء ، يوم رأتهم يستحقون ذلك . ولم تخش فى يوم من أيامها تنكر الجماهير لها .

فى الحرب العالمية الأولى هاجمت لورد كتشنر التخبط المضطرب ، وكان يومئذ قائداً عاماً للجيش البريطانى ، وبطلا عند البريطانيين ، فهلل الناس يوم علموا أن نسخة من التايمز قد أشعلت فيها النار فى باحة البورصة فى لندن ، ولكن الجريدة ظفرت بما تريد ، فقد صار لويد جورج رئيساً للوزارة ، وأنشئت هيئة أركان الحرب ، فعززت بذلك وسيلة الظفر فى الحرب ، وثبت صدق نظر التايمز .

إن إقدامها على مواجهة الرأى العام المعارض لرأيها حين ترى نفسها على حق ، صفة من الصفات التى تميز هذه الصحيفة اللندنية العريقة. وتستطيع أن تردّ عشرات من مشروعات الإصلاح الاجتماعى والبرلمانى إلى ما تبديه من الرأى فى مقالاتها الافتتاحية . وقد بدأت منذ سنواتها الأولى تكافح من أجل نشر الأخبار والتعليق عليها تعليقاً حرًّا دون تدخل من الحكومة ، فاقتضى ذلك منها نضالا عنيفاً مع رجال من أمثال «وليم بت» ، ومع مصالح فى الحكومة مثل مصلحة البريد .

فالصحف الأولى كانت تعتمد على إعانة الحكومة وعلى أجور خاصة تنالها من أجل أن تنشر بعض الأخبار ، وأن تحبس أخباراً أخرى . وقد جرى جون والتر منشىء التايمز على هذا النهج ، ولكنهُ كان برماً به ، وكان يخرج عليه فى الحين بعد الحين فيسدد سهامهُ إلى رجال الحكم . وقد حكم عليه مرة بأن يقيّد ويعرّض ساعة لاحتقار الناس ، وأن يسجن ستة عشر شهراً ، فلما خرج كان أدنى إلى الحذر والعزم جميعاً . وقد حوكم ابنهُ من بعدهُ لأنهُ تحدّى ما كان للحكومة من سلطان على الصحافة .

وقد توسلت الحكومة بقوانين الضرائب واللوائح والرخص لكى تخضع التايمز لإرادتها ، وصارت مصلحة البريد ترجىء تسليم مراسلاتها ، وهدّدتها بإلغاء حقها فى أن ترسل الرسائل بالبريد ، ولكن النصر عقد للتايمز فى آخر الأمر ، فجعل نصرها مبدأ حرية الصحافة مبدأ قائماً على الزمن .

وقد اهتمت التايمز بألوان أخرى من الكفاح . ففى سنة ١٨٤٠ مثلا أنفقت مالا

جزيلاً فى كشف حلقة من المجرمين الدوليين كانوا قد دأبوا على تزوير رسائل الاعتماد التى تصدرها المصارف ، فنهبوا من المصارف وشركات التأمين ألوفاً من الجنيهات ، فوقع هـذا العمل أحسن وقع عنـد تجار لندن ، ففرضـوا أن يوفوها المال الذى أنفقته ، فلما اعتذرت عن القبول ، جُعل المال جوائز توزَّع باسم صحيفة التايمز على طلاب العلم من ذوى الإملاق .

وقد أطلق على صحيفـة التايمز لقب « الرعّاد » ، لأنها تبرق وترعد فى كل كلة على أسـلات كتابها دفاعاً عن مصلحة قرائها . وقد منحتها حكومة بريطانيا فى سنة ١٩٢٩ ترساً كالترس التى تمنحها للنبـلاء ، وهى الصحيفة الوحيدة التى شرفت هذا التشريف ، وعلى الترس صـورة ذراع تتقاذفُ منها الصواعق .

وأنت إذا تصفحت عـدداً من التايمز راعك ما ترى . فالصفحة الأولى كالقفر الجافى ، ممتلئة بالإعلانات المبوَّبة ــ إعلانات الوفاة وطلب العمل والرسائل الخاصـة ، وكلها مطبوعة بحروف دقيقة . ولست تقع على الأنباء والمقالات الخطيرة ، حتى تبلغ الصفحة الرابعة ، فتجدها تحت عنـوانات لا تستوقف نظرك ، وليس بينها عنوان يزيد اتساعه على نهرين . وقد رأت صحف إنجلترا فى أثناء الحرب العالميـة الثانية أن تنقص عـدد صفحاتها وتزيد عـدد نسخها لقلة الورق ، أما التايمز فظلت تصدر فى ست صفحات ولكنها خفضت عدد ما يوزع منها من النسخ إلى ثلثين .

والقائمون على تحريرها يفرضـون أن قارئها رجلٌ جادٌّ رشيد مهذب ، يعنى عناية كافية بقراءة جميع الأخبار من أول الصحيفة إلى آخرها . وهم لا يعمدون إلى تلخيص الخبر فى فقرات مثيرة تستهل بها المقالة ، بل يكتبونها بلغة مُرْسلةٍ رزينةٍ .

وقد استهلت التايمز ذات مرة رواية مصرع ملك من ملوك البلقان ، بمختصر عن أسرة دراجاڤتش استغرق ٣٠٠ كلة ، ولم تشر إلى مصرع الملك بكلمة قبل منتصف العمود الأول .

وليس فى الصحيفة رسوم كاريكاتورية ، وتكاد جميع مقالاتها تكون غفلاً من الإمضاء وليس عندها كتّاب يتوفرون على كتابة مقالات خاصة بأسمائهم . وهى تعهد إلى أربع المحامين فى كتابة أنباء المحاكم ، فيفعلون ذلك على أدق وجه وأحكمه ، فتنزل المحاكم ما يكتبونه منزلة السجل الرسمى نفسه .

والصحيفة لم تزل من الناحية المالية غير مستقرة على حال من القلق ، ولكنها أحسن

حالا فى العهد الأخير . ودارها فى لندن لا تملأ عيناً ، فتراها خاشعة كالمستحى إلى جانب الدور الشوامخ التى شيّدتها زميلاتها فى « فليت ستريت » . وفيها مصعد قديم يتسع لثلاثة وحسب لم يزل يتحرك كالمصدور بين أدوارها الثلاثة . وقد حدث يوم كان جفرى داوسون رئيساً للتحرير أن تعطل به المصعد ساعتين بين الطابقين ، وكان موعد طبع الصحيفة قد دنا ، فدليت إليه تجارب المقالات الافتتاحية فراجعها، وصدر « الرعّاد » فى موعده .

وأنت تجد وراء مظهر التايمز هيئة قادرة متوثبة من الصحفيين ، شقت الطريق فى كل ميدان من ميادين الصحافة . وقد كانت أول من استعمل آلات البخار للطباعة ، وكذلك المطابع الدوّارة وإرسال الأخبار بالراديو . وكانت أول من عمد إلى الإعراب عن الرأى فى صفحة خاصة ، وصنعت أول نسخة مصغرة فى الحرب البروسية الفرنسية يوم صغرت بالتصوير صحيفتين من التايمز حتى صارتا فى حجم طابعى البريد ، وهرّبتهما إلى باريس التى حاصرتها جيوش بسمارك ، وهناك كبرتا وقرئتا بواسطة الفانوس السحرى . وقد ظلت جماعة من أطباء العيون تجرب التجارب ثلاث سنوات لكى تضمن للتايمز حروفاً تسهل قراءتها ، فإذا هى حروف تعد مثالا فى وضوحها .

وقد دأبت التايمز منذ نشأتها على التفوق فى جمع الأخبار الصحيحة على أسرع وجه ، فتوسلت بالسفن والجواسيس وحمام الزاجل قبل زمن بوليتزر وهرست بزمن طويل ، فتمت لها معجزات فى سرعة نقل الأخبار إلى قرائها . وتفننها فى ذلك لا مثيل له فى سائر الصحف ، وكانت هى السابقة فى كثير من هذا الباب .

كان أول مراسل حربى مراسل التايمز المعروف باسم وليم هورد رسل ، وهو رجل إرلندى جرىء طلق اللسان لا يعبأ بشىء . وكانت الحرب التى ذهب إليها رسل ليوافى صحيفته بأخبارها هى حرب القرم ، فتنكر له الجيش فى الميدان ، وجاء بخيمته وضربها فطواها الجيش ، وقد ظل معظم الوقت يستبدّ به البرد والسهاد والجوع ، ولكن هذه المشاق لم تلن له قناةً ، فمضى ينبىء الشعب البريطانى بما فى جيشه من مساوىء ، وأن ضباطه أهل غطرسة لا يصلحون لما تولوه ، وأن الجنود لا يصيبون كفايتهم من الطعام ، ومعظم طعامهم ملوث، وتعوزهم الأحذية والأغطية، فإذا ما مرضوا أو جرحوا ماتوا من الإهمال

وقلة العناية . وقال إنه سوف تحلُّ بالجيش كارثة إن لم يسارعوا إلى إصلاحه .

فأثارت رسائلهُ النفوس ، وكذبت الحكومة ما جاء فيها ، ولكنَّ رسل مضى قدماً يورد الحقائق كأنها سيل متدفق ، وأيدهُ رئيس تحرير صلب المراس . فهبَّ الناس في إنجلترا وجعلوا يكتتبون بالمال من أجل الجنـود ، وأنشأت فلورنس نايتنجيل بالمال الذي اكتتب به في التايمز مستشفيات في الميدان ، وأدخلت وسائل لحفظ الصحة لم تكن قد جرِّبت من قبل . وأخيراً هوت الوزارة البريطانيـة تحت ضربات « الرَّعاد » وقامت وزارة جديدة أصلحت الجيش ونالت النصر .

ولا يزال الناس يرسـلون مالا إلى « الرَّعاد » حين يقرأون أخباراً تستثير نفوسهم . وقد أنفق مليون ريال مما جمعتهُ الصحيفة لترميم كنيسة وستمنستر ، ومليون آخر لترميم كاتدرائية سانت بول ، وفي سنة ١٩٢٤ جمعت مليوناً أيضاً لتشترى به قدراً من الراديوم للمستشفيات البريطانية ، وقد تلقت خلال الحرب العالمية الثانية اكتتابات يزيد مجموعها على ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

وفي سنة ١٨٧٠ كان للتايمز في باريس مراسل عجيب المنظر له سوالف تتدلى على عارضيه ، يدعى هنرى ده بلويتز ، وكان يلبس قبعة عاليـة ويحمل في يده عصاً ، ولكنه كان علياً بالأخبار — وكانت له ذاكرة خارقة . وقد ذهب يوماً مع رئيس التحرير إلى مجلس النواب فاستمع إلى خطبة ألقاها تييرس رئيس الوزراء ، فأعرب رئيس التحرير عن أسفهِ أن لم يأت بمراسل يحسن الاختزال لتدوين الخطبة ، فلم يفُـهْ بلويتز ببنت شفة ، بل عاد إلى مكتبه وكتب بياناً دقيقاً عن الخطبـة ملأ ثلاثة أعمدة في التايمز — معتمداً على ذاكرته .

وأما آية بلويتز فكانت في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، الذي اجتمع ليضع معاهدة الصلح في ختام الحرب البروسية الفرنسية . وكان له بين أعضاء المؤتمر صـديق كان يدسُّ في قبعتهِ مذكرات عما يحدث كلَّ يوم ، ثم يذهب إلى مطعم معين للعشاء ، فاقتنى بلويتز قبعة تشبه قبعة صاحبه تماماً ، وجعل دأبهُ أن يذهب إلى هـذا المطعم ، ويعلق قبعته قرب قبعة صاحبه ، ثم يتعشى كلٌّ منهما على حدة دون أن يحيي أحدهما الآخر ، فإذا فرغ بلويتز غادر المطعم وعلى رأسه قبعة صاحبه ، وفيها المذكرات . وقد برم بسمارك برماً شـديداً بما كانت التايمز تنشرهُ من بيانات مفصلة عن مؤتمر سرى ، حتى عمد في أحد الأيام إلى غطاء مائدة

المؤتمر فرفعه قليلا ونظر تحت المائدة وقال محنقاً : « أردت أن أستوثق من أن مراسل التايمز ليس مختبئاً تحتها » .

وقد ظفر بلويتز بنسخة من المعاهدة ، ولكنهُ لم يظفر باستهلالها ، وكان أهمّ ما فيها ، وأبى صاحبه أن يعطيه نصها ، إلا أنهُ قبل أن يتلوها على صاحبهِ الصحفي ، فكان هذا كل ما يطلبه بلويتز . ولم يكد يفرغ من الإصغاء إلى نصها حتى استقلّ قطاراً ، وأملى النصّ على كاتم سرّهِ ، ثم خاط الورق داخل البطانة فى معطف كاتم سرّهِ الذى سافر بالقطار . وأما بلويتز فقد عاد إلى برلين ذرًّا للرماد فى عيون منافسيهِ من الصحفيين . وأما كاتم سرّهِ فقد أبرق النص من بروكسل فى اليوم التالى فأصدرت التايمز ملحقاً خاصًّا ، وكذلك قرأ أهل لندن نصوص المعاهدة قبل أن يجفّ حبر توقيعها .

والركن الركين الذى تقوم عليه منزلة التايمز فى رواية الأخبار ، هو اهتمامها برواية أنباء الاقتصاد والسياسة والثقافة رواية وافية . وهى لا تدخر وسعاً حتى تسبق منافساتها ، ولكنها لا تحجم عن نشر خبر حادث مضى عليه أسبوع . ومحرّرو الأخبار فى التايمز صحفيون من أهل العلم ، فهم يحققون كل اسم وكلّ موقع جغرافى يرد لهُ ذكرٌ . فإذا دأبت على قراءة التايمز ظفرت بحسن الاطلاع ، فهى تروى كل شىء ذى شأن وتتوخى الدقة فى الرواية .

وفريق من مراسليها فى الخارج رجال ذوو ثراء ، ويعرفون البلد الذى يقيمون فيه معرفة دقيقة كما يعرفون وطنهم . وقد مضت سنوات على السر ويلموت لويس مراسلا للتايمز فى وشنطن ، وهو يعرف باسم « سفير بريطانيا غير الرسمى » ، وكثيراً ما يُدعى إلى البيت الأبيض التماساً لمشورته . وأعضاء المجلسين النيابيين فى وشنطن يقرأون رسائله باهتمام عظيم . وأما فى إنجلترا فكنت تجد بين كتّاب التايمز رجالا من أمثال ديكنز وثاكرى وهازليت وكارليل .

والتايمز تعنى بباب « رسائل إلى المحرر » عناية كبيرة . وكتاب هذه الرسائل ينتقدون سياسة بريطانيا انتقاداً شديداً ، أو يوجهون نداءً إلى أصحاب المخازن حتى ينشروا ظللهم فى أيام المطر لينتفع بها الناس ، أو يروون نوادر عن غرائب الطبيعة وعجائب المخلوقات .

وتجد فى صفحتها الأولى باباً مشهوراً اسمه « باب الألم » ، ينتفع به الذين لا سبيل لهم إلى مراسلة من يريدون أن يراسلوهم . وبعض ما ينشر فيه يدل على روح الفكاهة البريطانية ، مثلا : « ضابط طريح الفراش

يطلب أن يؤجر مزماراً . الغرض هو الأخذ بالثأر » . وبعضه يدل على أدب المداهنة البريطاني ، مثلا : « إلى سائق السيارة الذى كان خليقاً أن يدوسنى فى كنجز رود مساء السبت ، أقدم شكرى » .

إن التايمز لا تنتمى إلى حزب سياسى ، ويغلب فى مقالاتها الافتتاحية أن تؤيد الحكومة ، ولكنها لا تتوانى عن مهاجمتها إذا حادت عن النهج الذى ترى « الرعّاد » أنه هو النهج القويم . وقد كان توماس بارنز رئيس تحريرها الأول ، أول من جعل المقال الافتتاحى سلاحاً ماضياً ، حتى صار رجال الحكومة يأخذون رأيه قبل أن يبتّوا الرأى فى قرار .

فلما تولى رئاسة تحريرها جورج إرل بكل حاربت التايمز مشروع قانون الاستقلال الذاتى لإرلندة الذى وضعه جلادستون ، فارتكبت فى حربها هذه أحد الأخطاء القليلة التى ارتكبتها فى تاريخها . فقد نشرت سلسلة من الرسائل كان يظن أن پارنل الزعيم الإرلندى قد كتبها يحث بها أهل إرلندة على التذرع بالعنف . ثم ثبت فى المحاكم أن الرسائل مزيفة ، فأمرت المحكمة « الرعّاد » بأن تدفع ٥٠٠٠ جنيه تعويضاً ، فمس شهرة الصحيفة أذى بليغ .

وفى سنة ١٨٩٨ أنقذ أمريكيان صحيفة التايمز من كارثة مالية ، ذلك بأن هوراس إفريت هوبر، ووليم مونتجمرى جاكسون، كانا قد ذهبا إلى لندن لينشئا فيها مكتباً للإعلان على الطريقة الأمريكية ، فعثرا خلال بحثهما على ألواح الطبعة التاسعة من دائرة المعارف البريطانية التى نفدت ، وعلما أيضاً أن التايمز تعانى أزمة مالية ، فاقترحا أن يصدرا طبعة جديدة من دائرة المعارف مختومة بخاتم التايمز ، وتتولى الإعلان عنها مجاناً ، وتتقاضى عمولة عن كل مجموعة من مجلداتها تباع فى بريطانيا .

وروّج الرجلان للدائرة ترويجاً عجيباً ، فاشترى البريطانيون ألوفاً من مجموعاتها ومن الصناديق التى صنعت من خشب السنديان لحفظ كلّ منها . فبلغ دخل هوبر وجاكسون فى إنجلترا ٣،٠٠٠،٠٠٠ ريال — فكفى نصيب التايمز لإنقاذها يومئذ .

أما هوبر فكان يودّ لو اشترى « الرعّاد » نفسها ، ولكنّ أصحابها خشوا أن يدخل عليها الأساليب الأمريكية المثيرة فى عرض الأنباء — ومن يدرى فربما نشر عناوين الأنباء على صفحتها الأولى ! وأدرك هوبر ذلك فأقنع لورد نورثكليف بشرائها ، فلما توفى نورثكليف كانت التايمز فى الطليعة مرة أخرى ، وحالتها المالية على خير ما يرام .

وفى سنة ١٩٢٢ اشترى جميع أسهمها

جون والتر الحفيد الأكبر لمؤسسها ، والكولونيل جون آستور .

وصحيفة الرعّاد هي الصحيفة الوحيدة التي تعدُّ مؤسسة قومية ، وقد أراد صاحباها اليوم أن يضمنا « أن لا تكون في المستقبل سلعةً تباع لأكبر مزايدٍ ، وأن لا تقع في أيدٍ غير صالحة » ، فألفا لجنة وجعلا لها حق منع بيعها إذا رأت ذلك . ومن أعضاء هذه اللجنة قاضي القضاة ورئيس الجمعية الملكية ومدير مصرف إنجلترا . وقد ألقت التايمز على الناس دروساً كثيرة ، وهذه الخطة التي وضعت لكي تضمن استقلال جريدة عظيمة بإقامة وصاية شعبية عليها ، ليست أقلَّ هذه الدروس شأناً وخطراً .

غلب برنارد شو على أمره

روى س . ج . ولف الرسّام الأمريكي : قيل لي في لندن إنه أمر مستحيل أن يأذن لي برناردشــو بأن أصوره ، فلم يثنِ عزمي فكتبت إليه :

« عزيزي مستر شو : لقد قلت منذ سنين أن السبب الوحيد الذي حملك على أن تأذن لرودان أن يصنع تمثالا لك ، هو أنك وجدت التمثال خير وسيلة لتخليد شهرتك . وهذا يصدق على أوربة ، أما في أمريكا فأقول لك بمثل ما أثر عنك من الوداعة : إنك لن تخلد فيها حتى يتاح لك أن أرسمك . واعلم أن ذلك لن يستغرق أكثر من نصف ساعة من وقتك ، وهذا يسير جداً »

فجاءني الردُّ : « لي تجربة وافية بمايطلبه المصورون والمثالون ممن يرضى أن يكون نموذجاً لهم ، ولكن شرطي هو — نحو ٣٧٥٠ ريالا لكل ساعة — وهو أجر باهظ . ثم إنني لاأستطيع أن أتحلل من أشغالي قبل سنة » .

فأحسست أن الرد المناسب الآن كفيل بأن يجدي ، فلما وافى يوم ٤ يوليو (عيد الاستقلال الأمريكي) كتبت الرسالة التالية : « قبلت شرطك . وأما ما أتقاضاه أنا عن الرسم فهو ٣٧٥٠ ريالا لكل ساعة ، ولا ينبغي لك أن تتحلل من أشغالك وأنا أرسمك . فمتى أحضر ؟ إذا كان في وسعك أن تجلس لي وأن توقع الصورة بعد ظهر اليوم ، ظفر الشعب الأمريكي بوثيقتين خطيرتين وقعتا يوم ٤ يوليو » . فتلقيت بعد الظهر دعوة شو بالتليفون .

أظهر العيوب التى يتبينها كلا الزوجين فى رفيقه ، كما دل عليها استفتاء تم من عهد قريب

عيوب الزوجات والأزواج

وليم ا. ليدجيت • مختصرة من مجلة "رد بوك"

كانت عيوب الأزواج والزوجات ونقائصهم موضوع بحث مستفيض جرى منذ عهد قريب . فقد سئلت الزوجات أن يذكرن أهم عيوب الأزواج . وطلب إلى الرجال أن يبينوا عيوب الزوجات . ونتائج هذا البحث خليقة أن تدل المتزوجين على ما ينبغى أن يتحاشوه إذا أرادوا أن يعيشوا عيشة سعيدة مديدة .

عشرة عيوب فى الزوجات :

١ — النقار : وهذا يفضى إلى المسألة الآتية : ترى أيكون نقار الزوجات هو العلة الدافعة لأزواجهن إلى عادة شرب الخمر إذ تبين أن شرب الخمر هو فى رأى النساء عيب الرجال الأكبر . ولقد قال فيلسوف مغمور مجهول مرة إن طريق النجاح يزخر بنساء يَسُقنَ أزواجهن سَوْقاً بين أيديهن . بيد أننا لم نعثر على رجل واحد بين آلاف الأزواج الذين تحدثنا إليهم ، ينسب أى شطر من نجاحه إلى نقار زوجته.

٢ — الإسراف : « إنهن يردن أن يعرفن كل مايملك الرجل ليجارين جاراتهن فى معيشتهن » ، « وهن لايدركن ما يبذله الرجل من جهد فى سبيل التقدم والنجاح ، بل يَعُقْنَهُ ، ويبدّدن كل مليم جمعه » .

٣ — سوء القيام على شؤون البيت : « إن زوجتى لاتعنى بنظافة منزلنا » ، « إن الزوجات فى هذا الزمن لايحضرن الفطور لأزواجهن بأنفسهن » ، « وهن يؤدين أعمال البيت كما يتفق ، ثم يخرجن للهو واللعب » .

٤ — الاختلاف إلى ملاهى الليل ، وشرب الخمر : « يألفن الحانات ويهملن أطفالهن » . « إن زوجتى تريد أن تجرنى كل ليلة تقريباً إلى المراقص » .

٥ — القيل والقال : « لاتنقطع لهن ثرثرة » ، « يطلن الحديث فى التليفون » ، « إن مايبتدعنه من القصص عن صاحباتهن ليقف له شعر الرأس » ، « لزوجتى براعة هائلة فى تحريف مايقوله الناس ، وتبديله عن وجهه » ، « ينبغى أن تكون النساء خيراً من الرجال فى تأليف الروايات، فإنهن يبتكرن القصص كل يوم » .

٦ — الأثرة : « لاهمّ لهنّ إلا هات هات طوال الوقت » ، « إن زوجتى تستغرق وقتاً طويلا فى التزين للخروج وهى دائماً

تتأخر عن المواعيد ! » ، « إنها لاتفكر فى راحتى بل فى راحتها » .

٧ — كثرة الخروج : « أندية الخياطة وأندية الأدب ، وأندية لعب الورق، وأندية الشاى ، لقد جنت النساء بالأندية ! » ، « يشغلهن إسداء الخير والبر للناس ، حتى صرفهن ذلك عن البر بأزواجهن » .

٨ — الرغبة فى السيطرة : « إنها تدير أمر المنزل وتدير لى أمورى وتنصح للجيران عما ينبغى لهم فعله ، وهى الآن وأيم الله تريد أن تدير أمور البلاد . فهى تقضى اليوم كله تحدثنى فيما ينبغى للحكومة أن تعمله » ، « يردن أن يدبرن أعمال الرجال وأعمالهن معاً ، فيخفقن فيهما جميعاً » .

٩ — إهمال الملبس والهندام : إن قائمة الإتهامات فى هذا الموضوع تطفح بحكم ساخرة وردت على لسان الرجال : « خلقت المرأة لتتزوج وتسمن وتترهل ! » ، « لقد نفضت زوجتى يدها من كل حيلة تجعل بها نفسها جذابة » .

١٠ — وعاشر عيب فى الزوجات هو اهتمامهن برجال كثيرين آخرين .

هذه هى أهم مايوجهه الرجال إلى النساء من النقد ، على أن عصر النخوة والمروءة لم ينصرم بعد ، ولم يزل فى الرجال من ينزه المرأة عن العيوب . فإن ٨ ٪ من الذين أدلوا برأيهم قالوا إن ليس فى الزوجات عيوب . وقال رجل منهم « إذا كانت النساء كزوجتى فقد بلغن أوج الكمال . » وقال آخر « إن زوجتى تجهد نفسها كثيراً فى العمل ، وهذا عيبها الوحيد ، بارك الله فيها . » ويلوح أن ١٤ ٪ أضناهم « جهد الصراع » حتى عجزوا عن الإجابة .

عشرة عيوب فى الرجال :

١ — شرب الخمر : لقد بزّ هذا العيب كل عيوب الرجال فى هذا الاستفتاء . والعجيب أنه تبين من استفتاء مماثل منذ عشر سنين أن الشرب لم يكن مشكلة ذات بال إلا عند قلة قليلة من الزوجات .

٢ — قلة المبالاة والاهتمام : « كلما علت بهم السن قلت رعايتهم وانتباههم لزوجاتهم فلا يمدون إليهن يد المساعدة كما كانوا يفعلون » ، « يقل اعتناؤهم بهندامهم . لايفكرون البتة فيما يخلقونه من عمل لزوجاتهم إذا هم مسحوا القذر فى المناشف أو إذا دخلوا البيت وأحذيتهم غائصة فى الطين أو إذا تركوا صحفهم ملقاة على الأرض ، أو إذا لم يعلقوا ملابسهم » ، « عدم المبالاة بالأشياء الصغيرة . هذا هو عيبهم » .

٣ — الأثرة : « يريدون إذا صحت أبدانهم أن يكونوا ملوكا ، وإذا مرضوا أن يكونوا أطفالا » ، « يجىء زوجى ساعة الأكل متأخراً ،

فإذا تأخرت أنا هب" فى" وثار » . « يعمل دائماً ما يحب فقط ولا يفكر البتة فى الآخرين » .

٤ — شدة التحكم : « يريدون أن يكون لهم الرأى الأعلى دائماً ، ولا يتصورون أن ثمـــة أحداً يعرف شيئاً سواهم » ، «الرجل الآمر الناهى يضجر النساء » .

٥ — التقلب : كان هذا العيب موضوعاً للكتب والمسرحيات منذ قرون، ولكنه ليس فى مقدمة العيوب التى تشكو منها الزوجات .

٦ — التقتير : « لا يدرك الأزواج بتاتاً ما يتكلفه المنزل هذه الأيام » ، « ويبدد الرجال المال على أنفسهم ولكنهم يجادلون فى كل مليم تنفقه الزوجة » .

٧ — قلة شغفهم بالبيوت : « تعتقد النساء ان إدارة المنزل لا ينبغى أن تكون من أعمال المرأة وحدها وتريد أن يشاركها الرجل تبعاته . يترك الأزواج تربية الأطفال للزوجة » ، « إن زوجى لا يساعد فى رش مدخل المنزل أو إصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح فيه ، ولا يقوم بنصيبه فى كتابة الرسائل إلى الأهل والأصدقاء » .

٨ — « إن الأزواج ينظرون إلى الزوجة كأنها مسألة مفروغ منها بمجرد أن يضعوا خاتم الخطبة فى إصبعها » ، « وأنهم يصرفون كل اهتمامهم إلى عملهم حتى ليكادون ينصرفون عن زوجاتهم » ، « وإن المرأة لا تهمها خدمة المنزل المرهقة إذا كان زوجها يفاجئها بين الفينة والفينة بشىء تطيب له نفسها أو يثنى عليها أو يغازلها أو يدعوها إلى مطعم أو مسرح » ، « لا يلبث الزوج أن يكف عن إبداء حبه وعطفه لزوجته » .

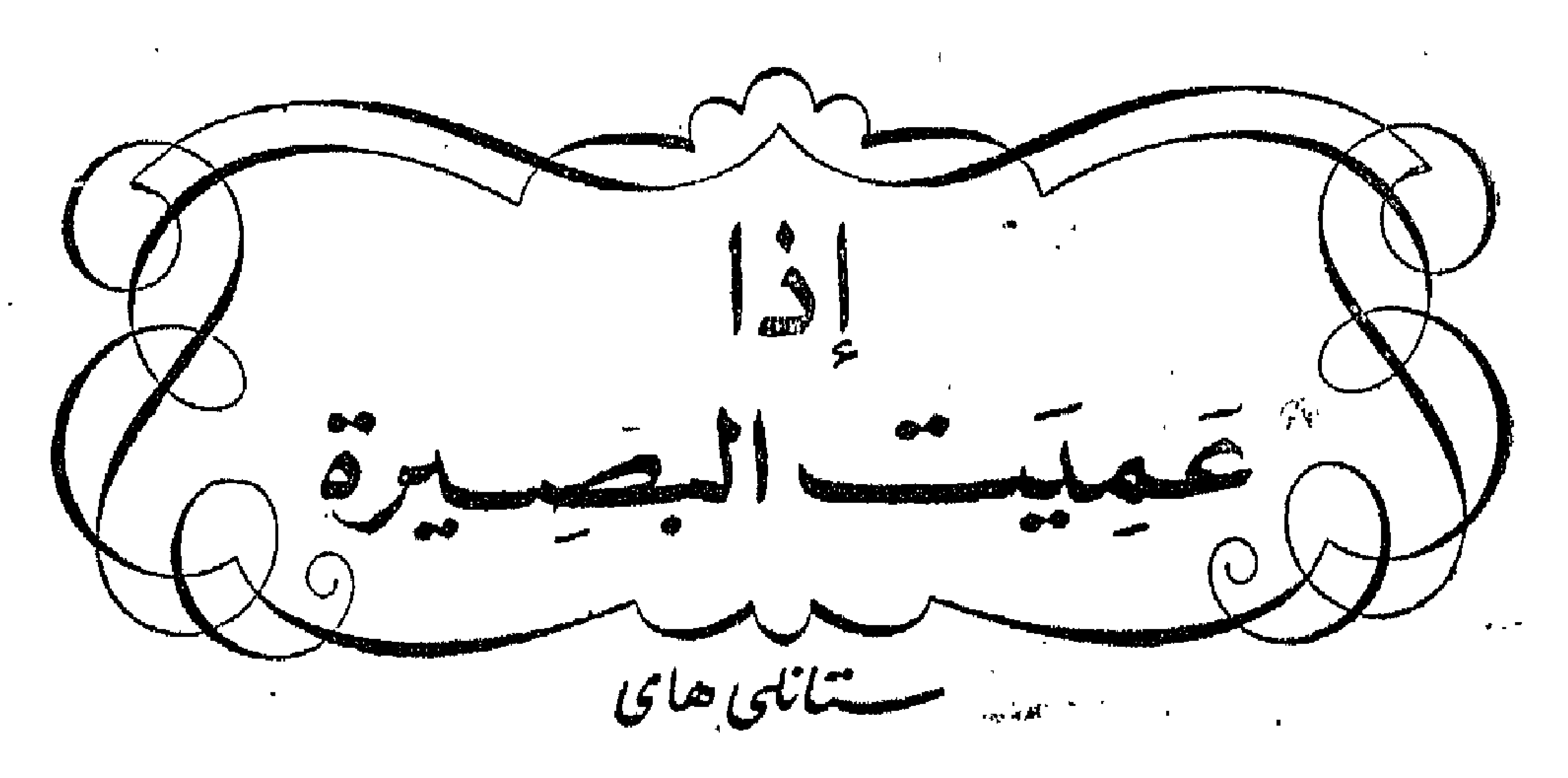
٩ — « لا يكتفى الرجل بمبادرته إلى الكف عن إبداء حبه لزوجته ، بل تكثر شكواه وسخطه » .

١٠ — وآخر عيب فى الأزواج هو القمار والتدخين : « يملأون البيت رائحة خبيثة من أثر تدخينهم » ، « إن زوجى لا ينفك يلقى رماد لفافته على بساط الغرفة » . « يخسر زوجى كل ماله فى لعب القمار » .

هذا أيها الرجال ما تظنه المرأة فيكم إذا سألها عنكم سائل غير متحيز . أفليس هناك من يظن أن الأزواج على خلق عظيم ؟ بلى وهن قلائل ، فإن ٤ ./. من النساء اللاتى اشتركن فى الاستفتاء ذكرن أن « الأزواج لا عيب فيهم » وأمسك ٨ ./. عن الكلام .

وقد أماط هذا الاستفتاء اللثام عن حقيقـة واحدة هى أن أهل الزراعة هم أسعد الرجال جميعاً وأرضاهم عن زوجاتهم فلم يذكر زارع واحد عيب سوء القيام على شؤون البيت . وقال كثيرون منهم « لا عيب فى المرأة » . ويبدو أن ثمة شىء فى حياة الريف يؤدى إلى العيشة الراضية بين الزوجين .

هل تصبح الغاية مرة أخرى : « السلام بأى ثمن » ؟



إذا عميت البصيرة

ستانلى هاى

يقول جيمس بيرنز وزير الخارجية الأمريكية: إن « الغاية هى السلام الدائم » .

وجاء فى رسالة لرجال الدين : « لقد أتاحت مشيئة الله فرصة لأهل الأرض أن يقيموا عالماً لا حرب فيه » .

وأنا أقول : إن « السلام الدائم » ليس الغاية الأولى ، وإن « عالماً لا حرب فيه » ليس أسمى ما هيأته مشيئة الله للناس .

وأذهب إلى أن السلام باعتباره غاية الديمقراطية مصيره البوار الآن كما كان مصيره فى ميونيخ ، وأن النهج المتبع فى سبيله بعد الحرب ينذر بسلسلة من نظائر ميونيخ ، وأنه إذا لم تعن الأمم الديمقراطية بأن تهتدى إلى وسيلة دفاع ، تعلنها وتهيئها ، عن هدف أعظم تتوخاه ، فإن الأمم المتحدة ستسير على الدرب الذى سارت عليه عصبة الأمم ، وأن الشرور التى حارب الحلفاء ليقضوا عليها ستولد مرة أخرى ، وأن عالمنا سيواجه كارثة كالتى واجهها العالم فى عهد ميونيخ .

قال ألكسندر هملتون : « إن الحكومة يجب أن تكون ذات مبدأ فعّال » والسلام لا هو فعّال ولا هو مبدأ ، والمعجم يعرفه بأنه « حال أو موقف ليس فيه حرب » . وليس من الضرورى أن يكون موقفاً حسناً ، فإنه يمكن أن يكون شراً لا يطاق . وتاريخ الجهاد الحديث من أجل الحرية ، من زمن الماجنا كارتا إلى ميثاق الأطلسى ، يثبت أن السلام يمكن أن يكون شراً أعظم من شر الحرب .

وكون السلام خيراً أو شراً رهن من كل وجه بالمبادىء التى أثمرته واحتفظت به ، وهل هى خير أو شر . وتقديم السلام على المبدأ هو تقديم للمسبَّب على السبب ، وتعريضهما كليهما للخطر .

والسلام الصالح لا السلام بمجرّده هو الذى يستحق أن يكون الغاية ، والمبادىء التى يمكن أن يصاغ منها سلام صالح —

لا السلام بمجرّده — هي التي ترفع لأبصار شعوب العالم الحرة غاية تسعى لها .

وقد حاولنا ذلك من غير طريقه .

إن النزاع الذي كان بين الحلفاء وهتلر لم يكن على السلام ، فقد كان هتلر يبغي السلام، ووعد أمته بألف عام منه، ولكنه كان ينشد سلاماً يثمره توسيع نطاق مبادئه الجائرة وتوطيدها .

وكانت الديمقراطيات هي الحنطة لطاحونه، ولم يكن لها ما يماثل قوة معتقداته وحرارتها، فكان أهلها عُزْلاً من الوجهة الأدبية أكثر مما كانوا من الوجهة المادية .

كان « السلام » غاية الديمقراطية ، وكان دور ساستها هو دور « الموفِّق » ، وكانت غاية السياسة الديمقراطية « توطيد السلام» ، فلم يكن ثم شيء أوفق من هذا لمقاصد المحور .

وسنحت سبع فرص على الأقل كان يسع الديمقراطيات فيها على الأرجح أن تحول دون الحرب، لو أن المبادىء لا السلام كانت غايتها المقدمة على سواها . ففي سبتمبر ١٩٣١ استولى اليابانيون على منشوريا ، وكان هذا تحدياً أدبياً أكثر مما كان تحدياً عسكرياً . ولو أن الديمقراطيات احترمت ما تعهدت به وأقسمت على الوفاء له من مقاومة العدوان وانضمت إليها روسيا السوفيتية كما كانت خليقة أن تفعل — لوسعهم ما هو أكثر من إنقاذ الصين . إذن لأبقوا على أنفسهم وكرامتها ، ولتعلموا كيف يعملون معاً بطريقة فعالة لتأييد مبادئهم ، ولكانوا قد رفعوا قِبَل العيون تحذيراً بالغاً لكل معتدٍ آخر في المستقبل يدله على أنهم سيعملون معاً مرة أخرى لا محالة على هذا النحو .

ولكنهم لم يحترموا تعهداتهم، وإنما فاضوا عليها « بالسلام » ، وكانت تلك تجارة باهظة عجلت بانحطاط الروح الأدبي للديمقراطية ، ومهدت السبيل لتضحية أخرى بالمبدأ .

وفي ١٦ مارس ١٩٣٥ نقض هتلر الأحكام الخاصة بنزع السلاح في معاهدة فرساي ، وفي ٣ أكتوبر ١٩٣٥ غزا موسوليني الحبشة ، وفي ٧ مارس ١٩٣٦ زحف هتلر على أرض الرين ، وفي يوليه ١٩٣٧ جدد اليابانيون عدوانهم على الصين ، وفي ١٢ مارس ١٩٣٨ استولى النازيون على النمسا، وفي ١٩ سبتمبر ١٩٣٨ بعثوا ببلاغهم النهائي إلى تشيكوسلوفاكيا .

وكل أزمة من هذه الأزمات المتتالية انتهكت حرمة مبادىء كانت الأمم الديمقراطية ملزمة من الوجهة الأدبية بصونها والدفاع عنها ، فلم تفعل، وآثرت صون «السلام» .

وصار التقهقر بعد ذلك عن الاقتناع إلى الإذعان والتنازل ، اندحاراً ، إبطار

تشمبرلن ثلاث مرات إلى ألمانيا، وأخيراً عاد من ميونيخ وهو مغتبط «بالسلام فى زماننا» .

قال تشرشل : « لقد كان على بريطانيا وفرنسا أن تختارا الحرب أو العار ، وقد اختارتا العار ، وستصليان بنار الحرب» .

وإن المرء ليرقب الرواية الحاضرة وهى تنكشف له عن مناظرها الكئيبة ، فيحس بما يجعله يقول: «هذا ما وقع لى» . والمناظر مختلفة ، والأشخاص قد تغيروا ، ولكن الموقف مألوف يغرى بالتشاؤم .

قال الشيخ أرثر فاندنبرج بعد عودته من اجتماع مجلس الأمن الأول فى لندن : « لقد افتقدت الشعور بالغيرة القوية التى تسمو بالنفس ، على قضية أدبية عظيمة جديرة بالجهاد فى سبيلها » .

لم يكن نقد الشيخ موجَّهاً إلى الروس ، فإن غيرتهم على ما هو فى نظرهم « قضية أدبية عظيمة جديرة بالجهاد فى سبيلها » هددت أول اجتماع لمجلس الأمن وكادت تودى بالاجتماع الثانى . وهذا على الرغم من أن الهيئة الشيوعية الدولية تبدو « جانحة للسلام » ، والصحف الشيوعية هى بلا مراء أعلى صحف العالم صوتاً بدعوة «السلام» — وأشدها حرباً على تثبيت المبادىء الديمقراطية التى هى أهم من السلام . وقد كان أنصار الشيوعيين الذين حضروا خطب تشرشل الأخيرة فى نيويورك يرفعون أعلام «سلام» تذكرنا بالأيام التى كانت فيها صفوف الحزب تدعو إلى السلام بأى ثمن مع هتلر : « نريد السلام . تشرشل يريد الحرب . لا دماء ولا عرق ولا دموع بعد الآن » .

إن النزاع بين الديمقراطية والشيوعية ليس على السلام ، بل على نوع السلام ، فإن الشيوعيين لا يقنعون بأن يقوم سلام من أى ضرب كان ، وإنما يبغون فى صراحة تامة سلاماً قائماً على توسيع نطاق مبادئهم وتوطيدها ، وهم يعتقدون أن هذه الغاية أهم من السلام وأنها هى الضمان الوحيد له .

وهذا الاعتقاد حق لهم ، فإذا كان ينطوى على خطر فتبعتنا كتبعتهم . إن العبارات الجليلة فى ميثاق الأطلسى ، كالعبارات الجليلة فى ميثاق عصبة الأمم ، كان المفروض أنها إعلان لمبادىء هى فى رأى الديمقراطيات أعظم قيمة من السلام .

« لا توسع » ، « لا تغيير فى حدود الدول لا يتفق والرغبة الحرة للشعوب التى يعنيها الأمر » ، « حق كل الأمم فى اختيار نوع الحكومة التى تعيش فى ظلها » ، « تمكين الأمم جميعاً من وسائل الحياة فى أمان داخل حدودها الخاصة ... وأن يحيا جميع الناس فى الدنيا متحررين من الخوف والعوز » .

كانت هذه مبادىء سلام صالح ، ولكننا

لم نؤيدها تأييداً كافياً ، وإنما قايضنا عليها « بالسلام » . وهذا ما يوشك أن يصبح تجارة باهظة الكلفة .

ولا يكاد يكون من الإنصاف لوم الشيوعيين الذين يقدّمون المبادىء إذا استغلوا الواقع، وهو أن الديمقراطيات تتجرد من سلاحها الأدبى، وسعوا لإبقائنا «جانحين للسلام » ، وإذا أوقعوا الضغط علينا لنفسح لمبادئهم بالتضحية بمبادئنا من أجل «السلام» .

إنه لم يعد هناك جدال يذكر فيما بيننا على الأداة والوسائل اللازمة لإقامة نظام عالمى أفضل ، فنحن متفقون على أن الأمم المتحدة لا غنى عنها ، وأن العلاقات بين الأمم يجب أن يطرد تنظيمها بالقانون لا بالمعاهدات ، وأن السيادة القومية المطلقة يجب أن تعدل تدريجاً .

وشكنا مرجعه إلى العوامل الأدبية ، وليست الأداة هى علته . وإذا كانت الأمم المتحدة ضعيفة فليس ذلك لفساد فى الأداة ، بل لأن بناتها ومسيّريها لم يقرروا الصبغة الأدبية للثمرة التى ينتظر أن تنتجها الأداة، وليس من المنتظر تعديل السيادة القومية والحد منها، مالم تتقرر القيم الأدبية التى تنتفع بهذا الحد على وجه حاسم .

وقد لا يكون ثم أمل قريب فى إجماع الأمم على هذه للمسائل الأدبية ، غير أن هذا أقل استدعاء للتشاؤم من احتمال عجز الأمم الديمقراطية عن تقرير اتفاقها وتأييده .

قال مكاتب أمريكى فى إذاعة حديثة من باريس: «فى أوربا كلها يعرب الديمقراطيون «الهيّابون » عن مخاوفهم من الشيوعية . ومنذ قرن ونصف قرن كانت الديمقراطية خطراً رائعاً فى كل مكان ، فكيف أصبحت ولا خطر منها إلا على نفسها ؟ »

لماذا ؟ لأن الديمقراطية فقدت الشعور بدعوتها، وفقد الديمقراطيون حماسة الدعوة، وقد انطفأت شعلة الإيمان الذى كان يدفع إلى الجهاد ، والذى كان يجعل الديمقراطية « خطراً رائعاً » ، والديمقراطيون الآن « هيّابون » « بكاءون » من جراء ما يساورهم من الشك الأدبى والروحى .

ولا يتطلب محو هذا الشك أى تعهد جديد من الأمم الديمقراطية ، وإنما يتطلب أولاً تصميماً جديداً ، على أن تعمل داخل حدودها وفق المبادىء التى هى مرتبطة بها. ويتطلب ، ثانياً ، الاقتناع المجدد بأن تقدّم الفكرة الديمقراطية لا يتأتى إلا بالإقناع وبالقدوة ، وأن محاولة بثها بسياسة القوة أو بالإكراه المباشر أو غير المباشر نقض للفكرة الديمقراطية من شأنه أن يهزمها .

إن الديمقراطية لم تشق طريقها فى العالم بالوعظ أو الضغط بل بفضل القدوة وتأثيرها.

وقد وعدت بما هو أكثر وأحسن مما وعد به أى مذهب منافس لها ، ووفت بما وعدت .

ولا شك أن الأمم الديمقراطية تستطيع بما لها من قوة أن « تملى على العالم » ، ولكن فرصتها هى أن « تعرض على العالم » . وعليها لكى تفوز على المنافسة العدوانيسة الحاضرة أن تثبت إيمانها بأقطع حجة ، وذلك بأعمالها حيال الشعوب التابعسة لها ، والأقليات ، والجماعات المتخلفة ، وفى كل موقف يزعم الديمقراطيون فيه أن عندهم الجواب عنسه لرفع مسستوى الحياة الإنسانية . ذلك أن تثبيت الديمقراطية يكون بالابتداء بالنفس كما هو شأن كل عقيدة يدعو لها الإنسان .

وهكذا تستطيع الأمم الديمقراطية ، وهى فى مركز يزداد مناعة ، أن تذيع مبادئها على العالم ، وأن تصرّ على أن تكون لكل شعب فرصة حرة غير مقيدة لاختيار هذه المبادىء والحياة فى ظلها .

وهذا التقرير والإصرار — مستندين إلى الدليل على أن هذه الأمم تنوى أن تعمل بما تدعو إليه — ليس من شأنهما أن يقضيا على أداة الأمم المتحدة ، بل إن ذلك خليق أن يجعل من هسذه الأداة قوة أدبية ، بل هو على الأرجح يجعل منها — لفرط عمق الرغبة فى نظام عالمى أفضل — قوة أدبية لا سبيل إلى مقاومتها .

قال الرئيس ترومان حديثاً : « ألا من لنا بمن يبرىء هـذا العالم السقيم مرة أخرى وينبهه إلى تبعاته الأدبية » .

وقد يبطىء على الدنيا ظهور هذا الرجل ، والعالم لا يكاد يقوى على الصبر والانتظار ، ولا حاجة بأمم العالم المحبسة للحرية إلى الانتظار ، فإن فى وسعها أن توقظ نفسها — عالمة أن قوة الديمقراطية وانتشارها رهن بأن يعود الناس فرداً فرداً فيعرفوا ما تعد به الديمقراطية ، وأن يصح عزم الجماعات واحدة واحدة على الوفاء بهذا الوعد .

قال الشيخ فاندنبرج فى ختسام تقريره إلى مجلس شيوخ الولايات المتحدة عن اجتماع الأمم المتحدة بلندن : « قد تقولون لى إنى أتحدث عن العصر السعيد المأمول ، فأجيبكم بالكلمة القديمة : إذا عميت البصيرة هلك الناس » .

إن الذى يجعل المستقبل حافلا بالنذر ليس النقص فى العدة السياسسية أو الاقتصادية أو الدبلوماسية ، بل هو ما ينقص الشعوب المحبة للحرية من خيال وبصيرة وحرص على تحقيق مراميهما فى كل أعمالها يوماً بعد يوم .



« لكى تنجو مما يؤذى عينك أو يضعف بصرك — كن حريصاً فى اختيار ... »

نظارات الشمس

أجورج و. كسكر
مختصرة من مجلة "هايجيا"

فى كل عام ملايين من النظارات تباع الملونة ، يطلبها الناس لراحة العين ووقايتها . ومع ذلك يكثر الذين يشكون صيفاً من احتقان العين أو تورمها أو التهابها ، وغير قليل منهم يرى أمام عينه نكتة سوداء ، لا يبصر من خلالها شيئاً . ويقول طبيب مشهور : « إن الراحة التى تتيحها النظارات القاتمة راحة خداعة ، والوقاية فى معظم الأحيان مستحيلة أو ممتنعة »

إن إشعاع الشمس مؤلف من أشعة شتى ، وإذا استثنينا أشعة الضوء التى ترى ، وجدنا أشعة لا تراها العين ، كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء (أشعة الحرارة) . والنظارات الملونة الرخيصة ، هى كأية قطعة من زجاج معتم أو ملون ، تحجب بعض الأشعة التى ترى وتخفف وهج الضوء ، ولكنها لا تحجب التى لا تراها العين كل الحجب ، وقد تكون سبباً فى إيذائها . إن إنسان العين يضيق عادة حين يكون الضوء وهاجاً ، فلا ينفذ فيه من أشعة الضوء إلا القدر اللازم لتصوير الجسم المرئى على شبكية العين التى فى مؤخر المقلة . ولكن النظارات المعتمة تقلل الضوء المرئى ، فيتسع إنسان العين ، فيتعرض باطنها الحساس للأشعة الأخرى .

والعين تستطيع بطبيعتها أن تحتمل قدراً معتدلاً من الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، بل يرى بعض الأطباء أن هذا القدر المعتدل قد يكون نافعاً . بيد أن تعرض العين لقدر كبير من الأشعة فوق البنفسجية قد يحدث التهاباً فى الملتحمة ، وقد تنفذ بعض أمواجها الطويلة إلى القرنية وتصل إلى العدسة ، فتتألق تألقاً يزيغ البصر .

أما الأشعة تحت الحمراء فقد تكون أبلغ ضرراً . فإذا حدقت فى الشمس ثم حولت بصرك عنها ، فربما رأيت بقعة سوداء تدوم قليلا وإن أغمضت عينك . وذلك السواد هو شبح قرص الشمس الذى طبعته أشعة الحرارة على شبكية العين طبعاً خفيفاً ، ثم لا يلبث حتى يزول ، ولكنك إذا أطلت التحديق فى الشمس وإن كنت لابساً نظارة معتمة ، فإن البقعة السوداء قد تدوم فتفسد البصر الصحيح ، لأن عدسة العين قد جمعت ، رغم نظارتك المعتمة (وبمعونتها) قدراً من الأشعة تحت الحمراء على رقعة صغيرة من غشاء باطن العين ، وتحرق بقعة منه .

ولما كان الزجاج العادى الشفاف يحجب بعض أمواج الأشعة فوق البنفسجية ،

فكل نوع تقريباً من النظارات المعتمة يقى العين بعض الوقاية من أثرها ، ولكنّ النظارات المعتمة الشائعة الرخيصة غير كافية للوقاية فيما يرى الأطباء ، فزجاجها مصنوع على الأكثر من زجاج عادى دخل فى تركيبه موادّ من أكسيد المعادن من أجل تلوينه .

ويقول الدكتور أرنو تاون مساعد أستاذ طب العيون فى جامعة نيويورك : « إن خير نظارات تقى من الشمس هى التى تمتصُّ الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، وتمتصُّ أيضاً بعض الامتصاص ألوان طيف الشمس ، فيظلُّ من يلبسها يرى الأشياء كأنْ لا نظارات على عينيه » .

ومثل هذه النظارات يمكن شراؤها من كاكين النظارات بأسعار متفاوتة ، وقد صنعت نظارات جيّدة من زجاج بصرىّ مصقول يحجب الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، ويخفف قوة الضوء المرئىّ حتى تحتمله العين .

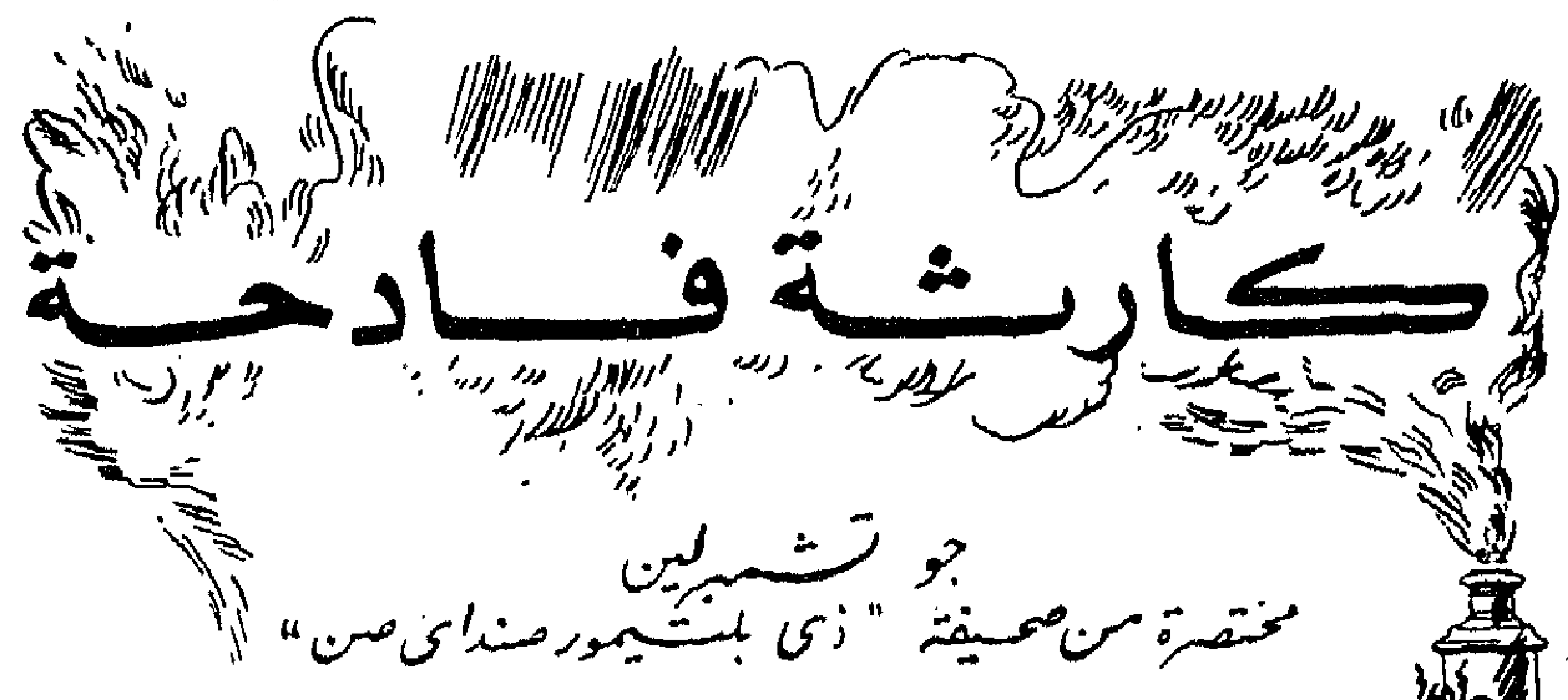
أما العدسات المستقطبة المستعملة فى نظارات الشمس ، فتحتوى على غشاء بين طبقتين من الزجاج ، فيحجب عن العين معظم وهج الضوء المنعكس عن سطح الماء أو الأرصفة المرشوشة مثلا . ويرى بعض أطباء العيون أن هذه المزية يغضّ منها أن النظارات المستقطبة مسطحة لا محدّبة ، وأنها لذلك تعكس بعض الضوء إلى العين ، وهم يؤثرون أن تكون النظارات مستقطبة محدّبة ، وسوف تتاح للناس بعد قليل .

أما لون نظارات الشمس ، فقد قرر أهل الرأى فى سلاح الطيران الأمريكى ، أن اللون الأخضر المصفرّ هو خير لون ، لأنه لا يشوّه الألوان الطبيعية . وهذا أمر ذو بال لمن يلبس النظارات وهو يسوق سيارته ، لأن اللون الكهرمانى القاتم يجعلك لا تميز ما بين الأحمر والأخضر المتخذ لإشارات المرور . ويرى علماء مصلحة المقاييس الأمريكية أن اللون الأصفر الضارب إلى الخضرة ، أو الأخضر الضارب إلى الصفرة ، هو أقل الألوان تشويهاً للألوان الطبيعية .

وقد استقصى الدكتور تاون آراء جماعة من أطباء العيون فى أمر نظارات الشمس ، فوجدهم مجمعين على أن النظارات التى صنعت عدساتها من زجاج مصقول ، هى وحدها التى ينبغى أن تلبس ، وأن يمتنع الناس عن لبسها إلا فى الضوء الوهّاج . ويرى خمسون فى المئة من هؤلاء الأطباء أنها إذا استعملت لغرض آخر كانت ضارّة .

قد يكلفك الحصول على هذا الضرب من النظارات ، أكثر مما يكلفك شراء نظارات رخيصة ، ولكن هذا وحده الذى يكفل لك سلامة عينيك وبصرك .

منذ أربعين سنة هوت هذه النكبة على مدينة سان فرنسسكو



كارثة فادحة

جو تشمبرلين

مختصرة من صحيفة "ذى بلتيمور صنداى صن"

لم تُصِب مدينة سان فرنسسكو منذ أنشئت رخاء كمثل رخائها فى إبريل ١٩٠٦. فقد كانت مخازنها مزدحمة بالمشترين، ومسارحها غاصة بالناس، وفنادقها تردّ الوافدين. فهذه المدينة التى ناهز سكانها ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، كانت يومئذ فى أوج ما أثر عنها من مرح ونشاط، سواء فى ذلك قصور الأغنياء وأكواخ الفقراء المكتظة بأهلها.

وأنشد أنريكو كاروزو أوبرا كارمن فى دار الأوبرا الكبيرة مساء الثلاثاء ١٧ إبريل، فما كاد الذين أطالوا السهر من سكانها يأوون إلى مضاجعهم حتى قُذِفوا منها قذفاً عنيفاً، ومادَتْ المنازل وهَوَت المداخن وتحطم الأثاث وتنزّت الأرض نفسها كأنما نالها مسٌّ من عذاب أليم، وتفلقت الشوارع عن الأخاديد.

فهذا أدهى زلزال حدث فى الولايات المتحدة، قد صكّ سان فرنسسكو بهدير مروّع فى الساعة ٥ والدقيقة ١٣ من يوم الأربعاء ١٨ إبريل. وقد استغرقت أعنف هزاته نحو ٤٨ ثانية، بدت كأنها دهر طويل، وتلتها هزات أخفّ توالت طوال اليوم، فهدمت المبانى، وقطعت أسلاك الكهرباء وأنابيب الغاز وقلبت عربات السكة الحديدية.

وقد أصيبت مدن أخرى فى كاليفورنيا



بأدى ، فبلغ طول المنطقة التى أصيبت ٣٠٠ ميل على الساحل الأمريكى الغربى شمال سان فرنسسكو وجنوبها ، وبلغ عرضها فى بعض المواقع ٤٠ ميلا ، على محاذاة شق قديم فى قشرة الأرض يعرف بشق سان أندرياس . وقد تزحزحت الأرض من مكانها تزحزحاً عمودياً بلغ ارتفاعه فى بعض الأماكن أربع أقدام ، وبلغ متوسط تزحزحها الأفقى تسع أقدام . وكان من أثر التزحزح أنْ انفلقت جذوع بواسق أشجار السيكويا القائمة فوق الشق ، كما ينشق عود الثقاب ، وأما البيوت والمخازن والطرق العامة فقد انفتق ما بينها وتباعد بعضها عن بعض . وكانت السفينة آرجو قرب رأس مندسينو على ٢٠٠ ميل من المدينة ، فارتجت من مقدمها إلى مؤخرها .

أما مبانى سان فرنسسكو المشيدة بهيا كل من الصلب ، والقائمة على أسس راسخة ، فقد مادت ذات اليمين وذات اليسار ، ولكنها لم تهو إلى الأرض . وكذلك كان شأن المبانى المشيدة بالآبرق . أما الدور الواهية فقد تقوضت فى بضع ثوان ، وتهدمت دار المجلس البلدى التى أنفق على بنائها سبعة ملايين ريال ، وأصيبت دار العدل التى تضم سجن المدينة بضرر جسيم ، فظن السجناء أن أحدهم يحاول نسف السجن بالديناميت عسى أن يطلق سراح قاتل محكوم عليه بالموت .

وحين حدثت الهزات الأولى ، كان أحد الطباعين فى الطبقة العليا فى دار للطباعة ، فهرول على السلم عسى أن يبلغ الشارع . وقد بلغت الهزة مبلغاً عنيفاً ، فهوت المطابع من خلال السقف الذى أوهنه الزلزال فوصل الطباع والمطابع إلى الأرض فى وقت معاً .

وقتل مئة من المجانين فى مستشفى ضعيف البنيان بقرب سان جوزيه ، وزاد الطين بلة أن المجانين الخطرين انطلقوا فى أرض المستشفى يصخبون ، أو يقاتلون حراسهم المغلوبين على أمرهم لقتلهم .

وكان أنريكو كاروزو فى فندق بالاس فقال بعد أن نجا : « استيقظت يميد بى سريرى كأننى على ظهر سفينة فى بحر مائج . ونظرت من النافذة فرأيت المبانى تترنح ، وكتلا كبيرة من حجارتها تهوى إلى الأرض ، وسمعت صراخ الرجال والنساء والأطفال .

« وجعل بلاط السقف فى غرفتى يتساقط كالمطر فعدوت إلى الشارع ، وخيل إلى بعد قليل أن المدينة قد صارت شعلة من نار . فهمت على وجهى طول النهار ، ولكن الجنود كانوا لا يسمحون لأحد بالمرور . فنمت فى تلك الليلة على الأرض ، ولا أزال أجد فى ساقىّ ألم ذلك المضجع النابى » .

وفى اليوم التالى استأجر غلام كاروزو مركبة بثلثمئة ريال لتنقلهما ها وأمتعتهما إلى زورق يحملهما إلى مدينـة أوكلند حيث يستقلان قطاراً إلى شرق أمريكا .

وكان فى سان فرنسسكو يومئذ جون باريمور الممثل ، وكان على وشك أن يركب سفينة تقله إلى أستراليا ليمثل فيها بعض رواياته . وقد روى مترجمه « جين فاولر » أن جون كان قد حضر حفلة كاروزو ، وتعرف إلى سيدة فاتنـة كانت جالسة إلى جواره . وفى الساعة العاشرة من صباح الأربعاء ذهب باريمور إلى ميدان « يونيون » ، وكان لايزال مرتدياً ثياب السهرة ، فكان رابط الجأش غير عابىء بشىء ، فنصح له مدير أعماله أن يعود إلى الفندق ويستبدل حلته بحلة تصلح للنهار ، فذهب وعاد لابساً بذلة من الجوخ . ثم تذكر أنه ترك فى جيب ثياب السهرة كل نقده ، وهو ٣٠٠ ريال كان قد اقترضها ، فهرع إلى الفندق ليأتى بها فوجدها طعمة للنار .

وقد أذيع فى أول الأمر أن باريمور فى عداد المفقودين ، غير أنه أقنع أحد الصحفيين بأن يضمن برقيته إلى نيويورك رسالة إلى شقيقته إثيل ، وقد أملى باريمور نص الرسالة مستوحياً خياله ، فقال إن الزلزلة قذفت به من سريره ، وأنه هام على وجهه فى الشارع لايكاد يعى شيئاً ، حتى لقيه جندى فوضع فى يده مجرفة وأرغمه على العمل فى الأنقاض ٢٤ ساعة . وقرأت إثيل باريمور هذه القصة الخيالية الرائعة على خالها جون درو وسألته أيصدق ماجاء فيها ، فقال : « أصدق كل كلمة . لم يكن ثمة بد من زلزلة لتزحزحه من سريره ، ومن سطوة الجيش كله لكى ترغمه على أن يعمل » .

تلقى أهل سان فرنسسكو بلاء الزلزلة بالصبر والتسليم ، ولكن الكارثة الحقة وقعت بعد الزلزال . فقد شبت النيران من جراء تقطع أنابيب الغاز وتماس الأسلاك الكهربائية وانقلاب المواقد . فلما وصل رجال المطافىء خراطيمهم بالحنفيات راعهم أن لا يجدوا ماء فيها ، فقد حطمت الزلزلة أنابيب الماء . وكانت تسعة أعشار بيوت المدينة مصنوعة من الخشب ، فاشتعلت كأنها حطب . واتصلت النيران المتفرقة بعضها ببعض فصارت ناراً واحدة مستعرة .

واندفع الناس يبذلون غاية الجهد ليخرجوا المصابين من المبانى المتقوضة قبل أن تدركهم النار ، وقد وقعت الأنقاض على أحدهم فسمر فى مكانه لايرجى له خلاص ، فتوسل إلى من يحاولون إنقاذه أن يرموه بالرصاص قبل أن تكتنفه النار . ولكنهم لم يكفوا عن السعى إلى إنقاذه إلا بعد أن

آذتهم النار أذى شديداً فقطعوا الرجاء ، فرموه برصاصة قتلته .

وقد التهمت النيران الحى المزدحم جنوب شارع « ماركيت » ، ثم سرت لا يردُّها رادٌّ إلى أحياء التجارة والملاهى والفنادق ، وزال من الوجود حىُّ الأوباش وحىُّ الصينيين ، وهو أكبر الأحياء الصينية فى أمريكا . وخلت بؤر المخدرات من مرتاديها ، وهو مالم يقع منذ عهد طويل . وكسر الإيطاليون دنان النبيذ وغمسوا فيها الأكياس ليكافحوا بها الجمر المتساقط على سطوح بيوتهم .

وظلت النار تتأجج وتهدر طوال نهار الأربعاء وليله ، ونهار الخميس وليله أيضاً ، فما وافى يوم الجمعة حتى كانت النار قد التهمت معظم المدينة القديمة ، والنار لا تزال مستعرة ،

بيد أن حياً كبيراً من أحياء السكن فى غرب المدينة سلم من النار ، فعزم مكافحو النار الذين أضناهم الإعياء ، أن يقفوا فيه وقفتهم الأخيرة . فنسفوا صفاً من الدور طوله ميل وحولوه أنقاضاً ، وعلقوا أملهم على أن تبلغه النار ولا تتعداه ، ورفعوا بالمضخات الماء الملح من الخليج ، وغطى الرجال رؤوسهم بالأغطية المبلولة ، ووجهوا خرطوم الماء إلى الأنقاض ساعة سرت فيها النار ، وسدد خرطوم آخر إلى الرجال المكافحين ، وإلى عربات المطافئ لتبريدها فعجزت النار عن أن تتخطى هذا الحاجز .

وقد دارت معركة أخرى حاسمة على محاذاة رصيف الميناء عند نهاية شارع «ماركيت» ، خاضها فريق من الجنود والبحارة ومشاة البحرية والمتطوعين ، فأنقذوا محطة زوارق التعدية والأحواض والأرصفة ، فاستطاعت الزوارق أن تمضى فى عملها : تنقل إلى المدينة المنكوبة الطعام واللباس والأدوية ، وتخرج منها المصابين والمنكوبين .

ونفرَ سكان المدينة كأنهم جيش فارٌّ مدحور ، وقد اتخذوا المركبات والعربات وعربات الأطفال وكلّ ماتصل إليه أيديهم وسائل لينقذوا أمتعة من بيوت قائمة فى طريق النار ، وكثير مما أنقذوه كان يبعث على الاستغراب . هذا كنار ، وهذه ساعة أو آلة خياطة ، أو صورة أو زهرية . وقد أنقذت أرملة سيف زوجها الراحل . وقد عزم رجل أن لايدع الذعر يطير عقله ، وكانت النار متأججة فى البيوت المجاورة لبيته ، فتأنّى فى ملبسه وتأنق ، وحلق ذقنه وسرّح شعره ، وحزم أمتعته فى حقيبته . فلما أبعد قليلا عن بيته نبهه أحدهم إلى أنه نسى أن يلبس سراويله !

وضربت معظم الأسر التى احترقت بيوتها خيامها فى حديقة «جولدن جيت» وميدان

« برزيديو » ، وكانت تطبخ طعامها وتنام في العراء . وأتيح لبعض الذين كانوا أسعد حظاً من هؤلاء ، أن يظفروا بخيام ومؤن من الجيش . وقد ولد في ليـلة واحدة عشرون طفلا في حديقة «جولدن جيت» .

وطارت في الجو أغرب الإشاعات : أن موجة عارمة طغت على مدينة نيويورك ساعة زلزلت الأرض في سان فرنسسكو ، وأن مدينة شيكاغو قد غابت في بحيرة مشيجن ، وأن الزلزلة قد أطلقت حيوانات حديقـة الحيوان فجعلت تفترس المنكوبين في حديقة « جولدن جيت » .

ورُويت روايات فظيعـة عن رجال وُجدوا وفي جيوبهم أصابع سيدات ، كأن وقتهم لم يتسع لنزع الخواتم منها ، والحقيقة أن لم يقع حادث قط من حـوادث النهب والسلب . وقد قتل اثنان خطأ على الأرجح ، وأطلق بعض الذين أقاموا أنفسهم حرّاساً على الأمن ، رصاصاً على رجل فقتلوه .

وقد حرص القوم حرصاً شديداً على أن يسرعوا إلى تجديد بناء مدينتهم . ومما روى أن أحدهم احترقت أصابعه من مس القرميد الحامي ، وهو يحاول أن يستخرج الطوب الذي يصلح للبناء من أنقاض داره المتهدمة .

وعادت الصحف إلى الظهـور ، وعاون الوف من المتطوعين على تنظيف المدينـة ورفع الأنقاض ، وأقام التجار متاجرهم في الخيام والأكواخ أو على قارعة الطريق . وكان شعارهم جميعاً : « دع ذكر الزلزلة ، واصرف حديثك إلى شئون العمل »

على أن أروج الأعمال في المدينة لم يكن بيع الملابس أو ضرورات الحياة ، بل كان بيع البطاقات التي صورت عليها مشاهد النار . وقد بيعت النقود المصهورة والأشيـاء التي مستها النار وغيرها مما يحفظ للذكرى ، بأثمان غالية .

وكان جانيني قد أنشـأ مصرفاً (بنك إيطاليا) منذ سنتين ، فحمل مال المصرف وودائعـه في عربة وغطاها بالخضر وقطع ٢٠ ميلا إلى سـان ماتيو حيث خبأها في بيته ، فكان عمله غاية في الحكمة وبعـد النظر ، لأن النار التهمت بناء المصرف . فلما عاد إلى سـان فرنسسكو أنشأ لساعته مصرفاً عنــد رصيف الميناء ، وبدأ يعقد قروضاً ، قبل أن تخمد النار للذين يريدون أن يجددوا بناء بيوتهم . وقد عقد هـذه القروض دون ضمان سوى ما يتوسمه في طالب القرض من خلق قويم ، وقد رُدّت إليه الديون جميعها ، ومصرف جانيني اليوم من أكبر المصارف في الدنيا .

وقد نكب التاجر « رفايل ويل » نكبة شديدة ، فقال متهلل الأسارير : «أنا شيخ ،

ولكننا بنينا سان فرنسسكو من قبل ، وهذا مالى لتجديد بنائها الآن » ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فوهب ٥٠٠٠ ثوب لنساء كن فى حاجة ماسة إليها .

وعينت لجان ، وعهد إليها تنسيق أعمال البر وجمع المال والبناء والنقل . وتقدمت مدن أخرى وأمم أخرى ومجالس الأمة والأفراد بمساعدات جزيلة . ثم ثبت أن عدد القتلى كان يسيراً هو ٤٥٢ ، وجرح بضع مئات ، وقدرت خسارة الأملاك بنحو ٥٠٠ مليون ريال ، رُدَّ ١٥ فى المئة منها إلى الزلزال و ٨٥ فى المئة إلى النار ، فقد كانت أفتك نار عرفها الناس ، وأفدح كارثة فى التاريخ . فقد أكلت النار ما مساحته خمسة أميال مربعة من أرض المدينة و ٢٨٠٠٠ بيت ، فصار مئتا ألف من أهل المدينة بغير مأوى .

وقد سار تجديد بناء المدينة سيراً حثيثاً فأعاد القوم تصميم موارد الماء وجددوا بناءها . وفصلوا الموارد التى ينتفع بها الناس عن الموارد التى ينتفع بها فى مكافحة النار . فإذا تقطعت أنابيب المياه فى المستقبل ، بقى للمدينة أنابيب تصلح للمطافىء ، ووضع لها نظام خاص من الصمامات . وأنشئت صهاريج الماء فى مواقع مختارة حول المدينة ، وأقيمت مضخات لرفع الماء من الخليج عند الحاجة ، وعمد أصحاب بعض المبانى إلى بناء صهاريج وإقامة مضخات وحفر آبار عميقة فى أرض مبانيهم .

وقد اضطرت شركات التأمين فى أوربة وأمريكا إلى أخذ مبالغ من مالها الاحتياطى لكى تسدد المبالغ المؤمن عليها عندها ، وقد عجز بعضها عن الوفاء . وكان من أثر الزلزال والنار أن غيرت شركات التأمين نصوص عقود التأمين ، إذ لم يكن بدٌّ من أن تحسب حساباً لكارثة أخرى كمثل هذه الكارثة ، وذلك بأن تحدّد عدد العقود التى تقبلها شركة ما فى منطقة بعينها ، وأن تؤمن فى شركات أخرى لكى تكون الخسارة موزعة عليهم جميعاً .

وبينما كانت النار تلتهم مدينة سان فرنسسكو ، جلس ول إروين . أحد أبنائها فى مكتب صحيفة نيويورك سن فى نيويورك ، ولازمه ثمانية أيام متوالية ، فكتب كتاباً عن هذه الكارثة مستعيناً بنشرات الأخبار وبما يعرفه عن مدينته ، وجعل عنوان بعضه « المدينة البائدة » ، فكان ظفراً صحفياً فى الطبقة الأولى ، وراج الكتاب رواجاً عظيماً . ولم تكد تنقضى ثلاث سنوات حتى صار أهل المدينة يذكرونها مزهوّين فيقولون : « المدينة القائمة » ، فقد تمّ بناء معظمها وصارت فى طريقها إلى مستقبل أزهر من ماضيها الأوّل وأعظم .

شاهد عيان يحدثنا عن آيات من الجرأة والإخلاص فى حياة أمهات الطير والحيوان .

أمهات الحيوان

أرشيبولد رتيلدج ،
مختصرة من مجلة " الحقل والجدول "

كان من عادتى إذا جاء زمن الفيضان وطغى نهر « سانتى » الذى يمرّ بأرضى فى كارولينا الجنوبية ، أن أقضى وقتاً طويلاً على ظهر الماء أستنقذ ما عندى من الماشية وحيوان الصيد من غائلة الخطر . وفى إحدى هذه الرحلات رأيت بعينى مالم أرَ مثله قط ، من سلوك أمٍّ من أرقّ أمهات الحيوان خلقاً ، وأبشعها منظراً .

كانت خنزيرة برّية مشطوبة الظهر ، خلقت كأنها ضبع ضخمة ، ولها خَطْم طويل محدّد الطرف ، فما تكاد تراها حتى تشعر بأنها حيوان شديد الضراوة . كنت فى قاربى حين رأيتها حبيسة على جذع ضخم من الخشب قد علق بفرع متدلٍّ من شجرة بلوط ، وقد اكتنفتها من جوانبها تسعة خنانيص صغار من أولادها . ولاشك فى أنها كانت تعلم علماً ليس بالظنّ أن الماء الطامى لن يلبث حتى يكتسح الجذْع الذى اعتصمت به . وكان من السهل عليها أن تنجو بنفسها ، فالخنازير البرية المشطوبة الظهر تستطيع أن تسبح أميالاً ، بيد أنها أبت أن تدع أولادها على مَدْرجة الهلاك .

وكان فى وسط الماء ربوة قائمة على بعد نصف ميل ، فجعلت ترمقها ببصرها كأنها تقدّر ما فى السباحة إليها من المكاره والأخطار . فلما استقر عزمها ، أرسلت صوتاً تهدىء به روع صغارها ، وأقبلت إليهن ودارت عليهن بخَطْمها حتى حشدتهن معاً على ظهر الجذع . ثم ألقت بنفسها فى الماء وأخذت تسبح لتريهن أن السباحة أمر سهل ، ثم عادت أدراجها وصعدت على الجذع ، وما لبثت أن أرسلت صوتاً حنوناً تثبّت به قلوبهن ، ثم قادت صغارها على حذر حتى انغمسن فى الماء . فلما تفقدتهن ببصرها واستيقنت أنهن جميعاً معها ، سبحت على مهل مولّية وجهها شطر الربوة ، حريصة عليهن أن يكنّ قريباً منها على كلا جانبيها ، لتشق لهن طريقاً سهلا فى تيار الماء . فلو رأيت هذه المخلوقة البشعة المنظر وهى

تحنو على صغارها وتحوطها حتى تبلغ بها مأمنها لراعك ماترى من حسن تدبيرها .

بينما كنت أتتبع أثر ظبية وخِشْفها (ولدها) ، إذا بى أقف على قصة مكتوبة بلغة مواطىء الأقدام، وإذا هى تدل على ما فى قلوب أمهات الحيوان البرىّ من شجاعة . فقد لقيت هذه الظبية حَيّة فتاكة كانت خليقة أن تفتك بصغيرها ، بيد أنها استجمعت كل قواها وضمت حوافرها الأربعة حتى صارت كأنها مجموعة من رماح مُشْرَعة وانقضّت تثب على الحية مرة بعد مرة حتى مزقتها إرْباً إرْباً .

رأيت مرة سنجاباً صغيراً فى قعر مستنقع وقد وقف على غصن غضّ يقضمُ ما عليه من نُوّار ، وكان بين هذا الشقى الصغير وبين الشجرة التى سمعت أمه تناديه من عندها ، نحو ثلاثين قدماً . وعلى حين غرّة رأيت بومة تلقى بنفسها قاصدة قصد السنجاب الصغير، فصرخت الأم المفزّعة صرخة حادة، فما هو إلا كلمح البصر حتى رأيت الصغير ينقلب متعلقاً بالغصن كهيئة اللاعب المنقلب على عمود العُقْلة. وما كاد يفعل حتى مرّقت البومة منقضة على المكان الذى كانت فيه فريستها . وسبق الصغير عودتها إليه، إذ كان قد انطلق كالبرق الخاطف إلى بيت أمه التى أنجته بيقظتها وانتباهتها .

ورأيت مرّة أخرى أنثى سنجاب تثب من فنن عالٍ إلى فنن قريب منه ووقفت تنتظر وليدها أن يتبعها ، فلما همّ بأن يثب أحجم ، فقد رأى ما بين الفننين كالهوّة الواسعة . وماهو إلا قليل حتى جمع قواه ووثب، فسقط على طَرَف فنن رقيق لا يحمل ثقله . فانطلقت أمه من مكانها كالسهم واحتضنته ، وكذلك وَقَتْ صغيرها المترنح أن يسقط على الأرض فيهلك .

كلنا يعلم أن من عادة أمهات القطط إذا فاجأها خطر ، أن تحمل صغارها بين أسنانها وتفرّ بها حتى تصير بمنجاة منه ، بيد أنى رأيت طائراً يفعل كفعلها . فقد عثرت مرّة على أنثى طير من الطير المسمى بدجاجة الأرض ، فلبثت أرقبها يوماً بعد يوم وهى جاثمة على بيضاتها الخمس ، فلما انشق البيض عن فراخها ، خرجت كأنها كراتٌ عليها زَغَبٌ ، لها بطون عظيمة وعيون سودٌ ساكنة الطرف ، فمن رأى رزانتها وسكونها وتجهُّم وجهها، ظنها قضاة فى مجلس القضاء . فدنوت ذات يوم من العش ، ففزعت الأم وضمت أحد صغارها

بين قائمتيهـا ، وطارت به حتى غابت عن نظرى ، ثم عادت . وبقيت أرقبها حتى حملت فراخها جميعاً إلى مأمنها بهذه الطريقة .

تقضى ذكور الحيوان فى البَرّ كل أوقاتها فى صيد أو قتال أو كسل ، أما إناثها العاملات المجاهدات فهى التى تعلم الصغار كيف تكون الطاعة التى لاغنى عنها فى المحافظة على الحياة .

خرجت يوماً فى شهر يونيه ، فبينما أنا أجتاز أحد المروج إذا بى أسمع صرخة فزع أرسلتها إحدى إناث طيور الشُّمانى (السمان) ، ومالبثت أن رأيتها تحاول أن تجتذب بصرى إليهـا متظاهرة بأنها قد أصيبت بجراح . وما هو إلا أن لمحتُ فراخاً لها صغيرة لايزيد عمرها على يوم واحد ، ورأيتها تبذل غاية جهدها فى طاعة أمها وما تأمرها به ، وإذا كل واحد منها يحاول رابط الجأش أن يخفى نفسه ، فزحف بعضها واستخفى فى جوف الأعشـاب ، وجلس اثنان منها على العشب كأنهما حجران ثابتان ، وهما ينظران بعيون لامعة المقلة لايطرف لها جفن . فرفعت أحدهما فى يدى ، فإذا هو يحاول أن يستقرّ فى مكانه ويستخفى جهده فى راحة يدى . وظللت أنظر فى ساعتى ، فإذا أمّـهن تقضى ١٢ دقيقة كاملة وهى ترسل صوتها لتحذّر صغارها ، وإذا الصغار ساكنة فى أماكنها لاتتحرك . وأخيراً رأيت أن أرفع عن هذه الأسرة ماألقيت عليها من الفزع والمخافة ، فوليت منصرفاً عنها ، ولـكننى على يقين من أنى لو بقيت لظلت حريصةً على طاعتها وإذعانها إلى أجل غير مسمى .

خرجت ذات صباح فمررت قريبـاً من مكمن ظبية ففزعت وأجفلت ، فوقفت ساكناً ، فإذا هى لم ترنى ولم تستروح رائحتى ، ولـكنها وقفت ترتجف من الذُّعر ، فقـد كان معها خشفها الصغير وهو يذهب ويجىء مترنحاً من ضعف قوائمه الدِّقاق . وكانت الظبية تدرك أن خير وسيلة للاستخفاء هو أن تُميتَ الصوت وتبقى ساكنة بلا حراك ، بيد أن خِشْفها كان جاهلا غرًّا لم يعرف هذه الوسيلة بعد ، فطفق يرتع ويلعب حولها حتى ضاقت به ، فرفعت سـاقها الرقيقة ، ووضعتها على ظهره وأمسكته بقوة وأنامته على العشب وكأنها تقول له :

« ينبغى أن تنام ســاكناً يابنى ، حتى تنجلى عنّـا غاشية هذا الخطر » .

تظل الفراريج الرومية شهراً بعد خروجها من البيض ، وهى عاجزة عن الطـيران ، فتبقى أمهاتها معها على الأرض ملازمة لها ، وتقضى يومها كله وهى تقود صغـارها فى

حوف الغابة حريصة على سلامتها . فترى لأم أحياناً واقفة كأنها تمثال قائم ، وكأنها حارس رائع المنظر لا يمسّه نصبٌ ولا كلالٌ، قد أرهف سمعه إلى حسّ ثعلب أو هرٍّ وحشي أو ابن عُرْس ، والصغار قد ذهبت مذاهبها فى التماس أقواتها .

وفى عشية يوم من شهر مايو وقفت على مثل هذه الأسرة وهى فى مرتعها ، إذ كنت قد دنوت من شجرة فسمعت زُقاءً أرسله فرخ رقيق الصوت — والزقاء هو النغم العذب اللطيف الذى يصدر عن صغار الديكة الرومية. فلما زحفت دانياً من مكانه ، رأيت أماً قد بدأت تدرّب صغارها على الطيران حتى تتخذ مجاثمها فوق الشجر . وكانت هى وثلاثة من صغارها لا يزالون على الأرض ، أما الباقون فكانوا فى مجثمهم على الشجرة ، غير أن بعضها كان واقفاً على فنن لا يرتفع عن الأرض أكثر من ثلاث أقدام. ورأيت أيضاً فرخاً من فراخها الزُّغب قد وقف على شجيرة ملتفة وهى تميل به يمنة ويسرة . وكانت الفراخ على الأغصان واقفة تضطرب ، فصوّبت أبصارها إلى الأرض متسائلة ، وجعلت تفصح عن مخاوفها بألحان رقيقة من حلوقها ، وإذا واحد منها لم يتماسك فى موقفه وهوى على الأرض . فانطلقت الأم تنذر الضعاف منها ، ثم طارت إلى غصن دانٍ وأرسلت صوتاً تقوّى به عزائمها ، فرفرف أحد الوقوف على الأرض بجناحيه وطار إلى رأس شجيرة ، ثم عاد فطار إلى حيث كانت أمه . واستطاع الباقون أن يحملوا أنفسهم إلى ارتفاع سبع أقدام .

فاجتمعت الفراخ السبعة عشر على الغصن مع أمها ، وحاول كل منها أن ينضوى إلى جنبها . ثم حدث ما يروع الناظر ، فقد نشرت الأم جناحيها كأرحب ما تستطيع حتى يجدوا جميعاً فى ظل جناحيها أمنهم وراحتهم. فقلت لنفسى : فى مثل هذه البرية أجد قلوباً على فطرتها قد أفعمتها الأمومة بالحب والحنان ، فهذه أم تهدّد أخطارُ الليل صغارَها، فهى تحرص بادىء ذى بدء على أن تستنقذهم من مجال الخطر الذى يترصّدهم على الأرض. ثم لما رأت أنه يستحيل على جماعة الصغار أن تحتشد جميعاً فتجد الدفء فى حضنها ، بسطت عليها جناحين لا يمسُّهما كلالٌ، ونشرتهما ما استطاعت ليكونا لصغارها حصناً وملاذاً .

فلو أنت مددت يداً رفيقة حَذِرة وأزحت تلك الغلالة الرقيقة التى تفصل ما بين حياة البشر وحياة الحيوان ، لكنت خليقاً أن ترى ضروباً متشابهة من الحنان والبسالة والجمال ، وأروع ما تراه هو تفانى الأمهات فى حياطة صغارهنّ ودفع الأذى عنها .

امتحن معارفك الصحية

للدكتور تشارلز فردريك ماكيفجان
مختصرة من مجلة "بترهومز آند جاردنز"

أي حد بلغت في مسايرتك للتقدم الى الحديث في علم الصحة ، وفي معرفة مشكلاته التي لم تحلّ بعدُ ؟ هذا امتحان عرض على زائر صحي وممرضة وطبيب ، فتفاوتت درجاتهم بين ٧٦ و ٩٢ في المئة . فإذا أجبت عنها وكانت درجة نجاحك ٧٠ في المئة فقد أحسنت . ومهما يكن ، فعلى قدر قلّة درجتك يزداد ما تتعلمه من الحقائق الصحية التي كنت تجهلها بعد أن تراجع هذه الأسئلة وأجوبتها الصحيحة .

١ : في الوسع أن يحصّن جسم المرء تحصيناً موفقاً من جميع الأمراض التالية ما عدا واحداً منها . فما هو ؟

الجـدري ... ... الجديري
التيفـود ... ... الدفتريا

: أي الأمراض في مصر يحدث من الوفيات خلال السنتين الأوليين من العمر ، أكثر مما تحدثه الحصبة والدفتريا وشلل الأطفال مجتمعة ، في نفس الفترة من الزمن ؟

السعال الديكي ... ... إسهال الأطفال
الأنفلونزا ... ... التيفـود

٣ : إن البنسلين، ذلك العقار العجيب، يعدُّ :
« ا » أعظم مكتشفات مصلحة الصحة العامة الأمريكية .
«ب» اكتشاف السير ألكسندر فلمنج العالم البريطاني .
« ج» فرعاً من فروع صناعة الأسبرين .

٤ : أي مرض من الأمراض التالية لا ينتقل من شخص إلى آخر ؟

السرطان ... ... تفلطح القـدم
الجـرب ... ... النكاف الوبائي

٥ : الملاريا والحمى الصفراء والجدري وحمى التيفود ، تشترك جميعاً في خاصّة واحدة من الخواصّ التالية :
« ا » كلها تنشأ عن لسع حشرة .
«ب» كلها أمراض مميتة دائماً .
« ج» كلها يمكن توقيها .

٦ : أفتك الأمراض اليوم بالنساء بين الخامسة والثلاثين والخامسة والخمسين هو :

التهاب الكليتين ... ... النزف المخي
السرطان ... ... الحوادث العارضة

٧ : يقول الأطباء إن الكساح سببه :

قلة النـوم ... ... نقص فيتامين د
ميكروب مجهول ... ... الوراثة

٨ : أى الأمراض التالية يقتل من أطفال المدارس فى مصر أكثر من أى مرض سواه ؟
الحمى الروماتزمية ... التهاب الزائدة
التهاب غشاء الرئة ... الحمى المتموجة

٩ : دل البحث العلمى على أن أهم مصدر للسل هو :
« ا » مخالطة المصابين من البشر .
« ب » اللبن الملوث بجراثيم السل .
« ج » قلة الرياضة .

١٠ : يتولى الجيش المصرى تحصين رجاله ضد خمسة أمراض على الأقل ، فهل تستطيع أن تسمى ثلاثة منها ؟

١١ : اقرن كل اسم من أسماء العظماء التالية أسماؤهم :
١ ـ لويس باستور ٣ ـ مدام كورى
٢ ـ بيلا شيك ٤ ـ وليم رونتجن
بأحد الفتوح الطبية التالية .
« ا » اكتشاف الراديوم .
« ب » الوقاية من الكلب .
« ج » اكتشاف الأشعة السينية .
« د » اكتشاف اختبار يحدد مناعة المرء على الدفتريا .

أصحيح أم باطل ؟

١٢ : إذا طال الهم ، أفضى إلى تقرح المعدة أو ساعد عليه .
١٣ : المصدر الطبيعى الوحيد للفيتامينات هو مواد الطعام .
١٤ : لا يوجد ميكروب الكزاز (التتانوس) إلا حيث يوجد الصدأ .
١٥ : العظم هو أصلب مادة فى الجسم .
١٦ : تنتقل حمى التيفود بواسطة اللبن الملوث والماء الملوث بجراثيمهما .
١٧ : إن السن التى تحافظ على نظافتها لا تسوس .
١٨ : عدد المصابين بعمى الألوان من النساء أكبر من عدد الرجال .
١٩ : شلل الأطفال لا يصيب الرجال .

[الأجوبة الصحيحة فى ص ١٠٦]

قدر لكل جواب صحيح عن الأسئلة ١ ـ ٩ ست درجات ، ودرجتين لكل من أجزاء السؤال العاشر ، وأربع درجات لكل جواب صحيح عن الأجزاء الأربعة فى السؤال الحادى عشر ، وثلاث درجات لكل جواب صحيح عن الأسئلة ١٢ — ١٩

محـــامى الدّفـــاع

ماري ريموت شيبمان أندروز

مختصرة من كتاب "محامى الدفاع"

قص هذه القصة منذ سنوات عديدة رجل هرم جداً ، وكان شيخاً جليلاً مديدَ القامة معتدلها ، براق العينين ذا سمت يفطن إليه أقل الناس ملاحظة . وكان قد التقى برفيقه عرضاً ، وهو أمريكي ، فى فندق ببرمودة ، فجعلا يتحدثان .

وكان الشيخ الهرم يتحدث عن حوادث ورحلات ومغامرات ، ولكنه كان يتحمس لصناعته خاصة ، وهى القانون . وكانت عيناه السوداوان تومضان حين يذكر عظماء رجال القانون .

« هراء ... » ودقت يد العالم الكبيرة النحيلة ذراع الكرسى : « ذلك القول بأن القانون يجعل الناس ذوى كزازة وشح ، وأن المحامين إنما وجدوا ليجعلوا عيونهم على جيوب زبائنهم . وأنا رجل هرم جداً ، وقد رأيت أعمالا حميدة قام بها أطباء وقسيسون ، ولكن من خير ما أعرف هو مافعله محام فى أثناء القيام بمهام صناعته » .

ثم راح يروى الخبر :

وقف رئيس اللجنة الإقليمية عند باب المكتب المفتوح ، وكان المرشح لمجلس الأمة مكباً على رسالة . وجعل الرئيس وهو ينتظر ، يتأمل على مهل ذلك الوجه المقطب العاكف على الرقعة ، وكأنه هامة من جبل صخرى ، منيع ، موحش ، كالح ، غير أنه جميل بما يتفتح فيه من مونق الزهر .

وطوى المرشح الرسالة ودار فى كرسيه : « آسف ياتوم لأنى تركتك تنتظر ، وقد كنت أحاول أن أهتدى إلى طريقة يستطيع الرجل بها أن يكون فى مكانين فى وقت واحد . ويبدو لى أنى لن أستطيع إلقاء خطبتى هنا يوم الجمعة » .

« لاتستطيع إلقاء خطبتك ! إنك لاشك تمزح » .

فهز الرجل الجالس على الكرسى رأسه : « كلا » ، ونهض وجعل يتمشى فى الغرفة بخطوات طويلة بطيئة ، وكان الرئيس يتبعه بالاعتراض :

« إنك لتعلم أن كارترايت قد يهزمنا ، وليس من الحكمة تضييع فرصة — موعد الانتخابات قريب جداً » .

فوقف الرجل الضخم ، وارتسمت على فمه الكبير ابتسامة غريبة التمعت بها عيناه الحادّتان النافذتان .

كلمة سامية

لحضرة صاحب الجلالة عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية

« يسرنا أن تحمل المجلات الحديثة ، ومن أمهاتها "المختار" رسالة الفكر الحديث والتعليم الأممية ، وأن تمكن للناس في القربى ، لا قربى النسب بل قربى الثقافة والعلم والأدب ، وهي أبهج وأجمع قربى ، وإن في هذا تثقيفاً وتأليفاً ينتفع به الشرق العربي لما يحمل من كنوز القرائح ومثل الحياة العليا ومن مسرة النفس ولذة العقل . »



الإسبانية : « سيلكيونس دل ريدرز دايجست »

(توزع في جمهوريات أمريكا اللاتينية الإحدى والعشرين)

أظنُّ أني نفذت إلى سر « سيلكيونس » ، فهذه المجلة تعرف كيف تجمع جمعاً ميسَّراً جميع حوادث العالم الذى نعيش فيه . وأرى ببصيرتى ، القارىء الوسط من الناس وقد عاد إلى بيته من عمل يومه ، فأضاء المصباح وجلس إلى مكتبه ليجنى كلَّ ما يستطيع أن يجنيه من هذه الموسوعة الصغيرة النفيسة . [توماس ده لا كروز ، هافانا ، كوبا]



البرتغالية : « سيلكويز دو ريدرز دايجست »

(توزع في البرازيل وفي البرتغال والمستعمرات البرتغالية في آسية وإفريقية)

في صفحات سيلكويز نشدُّ رحالنا إلى جميع أقطار الأرض ، ونحسُّ بوقع كثير من حوادث العالم في نفوسنا ، وهى حوادث لها صلة وثيقة بشعبنا بل بالإنسانية جميعاً وإن لم تحدث في بلدنا . [لوثيا موباهاس ريوده جانيرو ، برازيل]



السويدية : « دت باستا اور ريدرز دايجست » (توزع في السويد)

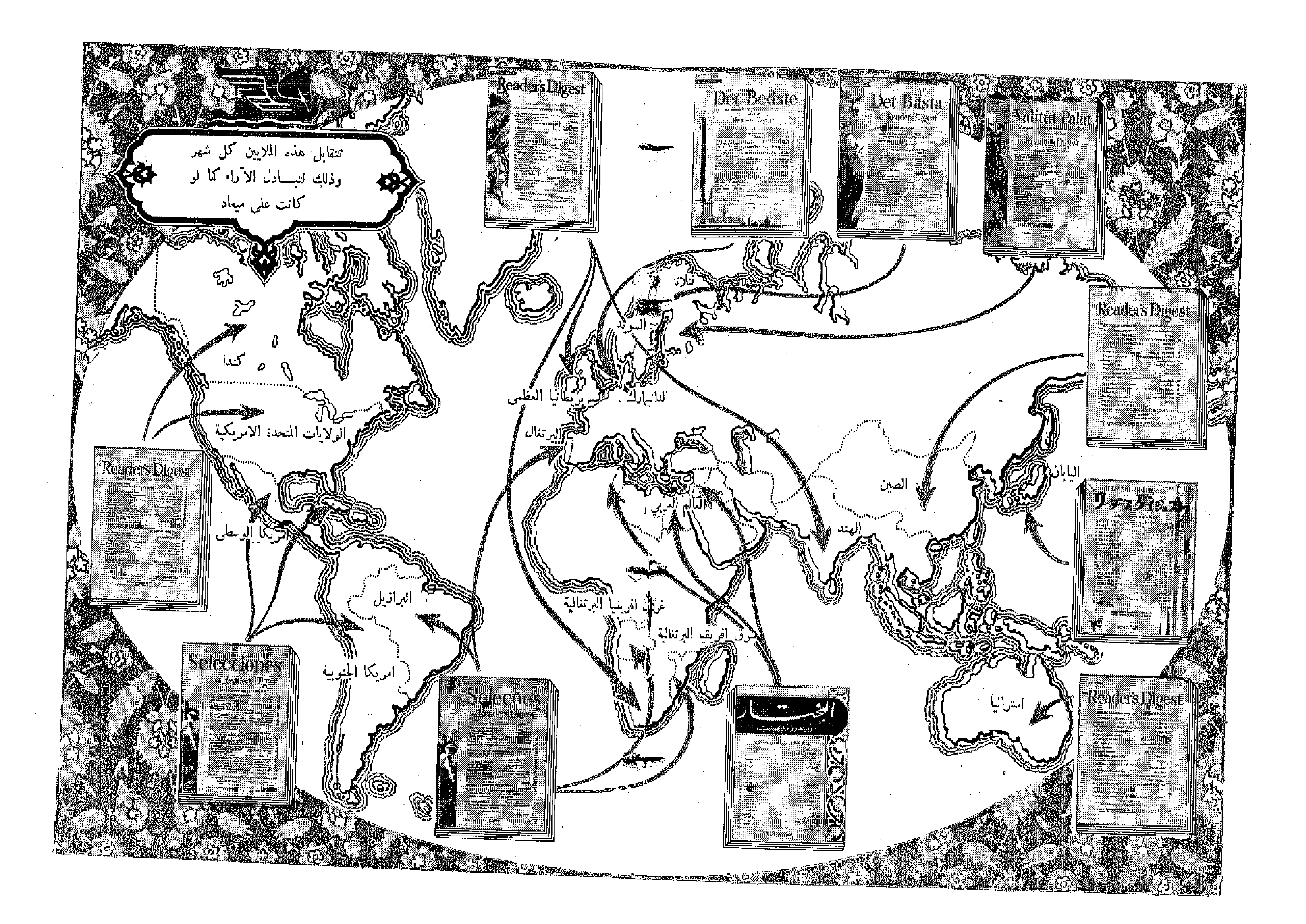
نحن الرجال والنساء الذين يقطنون أربعة أقطار المعمورة تتاح لنا فرصة عظيمة كلَّ شهر لنشبع جوعنا الفكرى ونطفىء ظمأنا العقلى بثمار مقطوفة من شجرة المعرفة الحديثة ، تعرضها علينا عرضاً مشهياً ميسراً هذه المجلة وشقيقاتها في سائر اللغات . وهذا الغذاء يعيننا على النشاط الوافر ويحرك عنايتنا بذخائر العقل الإنسانى . [هـ . إلدن ، استوكهلم ، السويد]



الفنلندية : « ڤاليتوت پالات ريدرز دايجست » (توزع في فنلندة)

يسعدنى أن أرى هذه المجلة تطبع باللغة الفنلندية لأنها تتيح لأبناء وطنى فرصة للاستمتاع بمقالاتها النفيسة المختارة من صحف بلاد كثيرة . ومن عجيب أمرها أن طالب المدرسة والأستاذ ، وبائعة المخزن والحطاب ، والمريض والرياضى العظيم ، تلقوها جميعاً بالحماسة والإعجاب .

[ألفار ڤيلسكا ، هلسنكى ، فنلندة]



تتقابل هذه الملايين كل شهر
وذلك لتبادل الآراء كما لو
كانت على ميعاد
Reader's Digest
Det Bedste
Det Bästa
Valitut Palat
كندا
الولايات المتحدة الامريكية
بريطانيا العظمى
الدانيمارك
السويد
البرتغال
الصين
اليابان
الهند
العالم العربي
امريكا الوسطى
البرازيل
امريكا الجنوبية
غرب افريقيا البرتغالية
شرق افريقيا البرتغالية
استراليا
Selecciones
Seleções
المختار

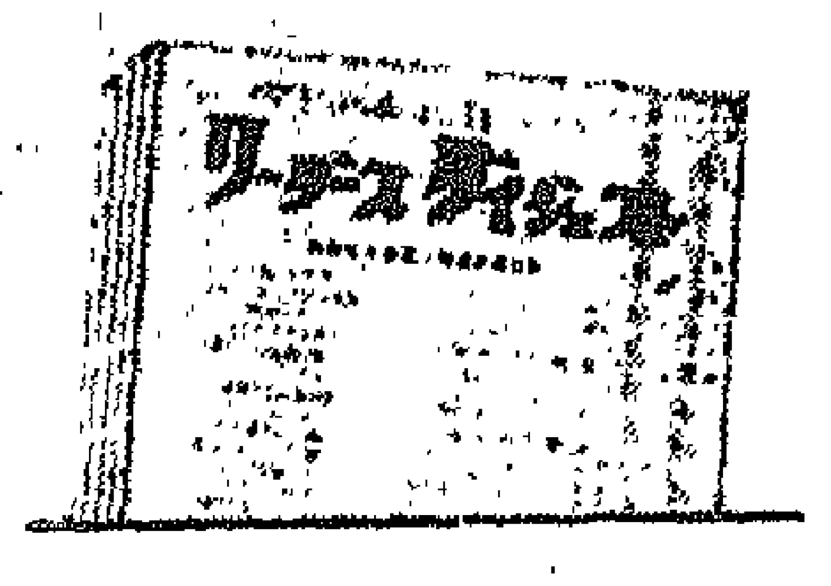
كلمة
حضرة صاحب السعادة
عبد الرحمن عزام باشا
الأمين العام للجامعة العربية

« فى سورة النهضة العربية التى تغمرنا اليوم ، وتدفعنا إلى بناء حياتنا الجديدة على ركنين من وحى تاريخنا، وتمثّل خير ما نجده فى حياة الغرب، أجد فى «المختار» وسيلة نافعة لتثقيف العقول وشحذ الهمم . فهى تيسّر للشباب ورود مناهل العلم والعمل الصادق النافع . فمن الخير أن يقبلوا عليها . ويسرّنى أنها بدأت تعنى بتعريف الشرق العربى إلى الغرب ، موثقة أواصر التعاون الفكرى بيننا وبينهم . فبغير هذا التعارف بين الشعوب لا تقوم للسلام والحضارة قائمة ، وقديماً قال على بن أبى طالب ,, الناس أعداء ما جهلوا ,, »



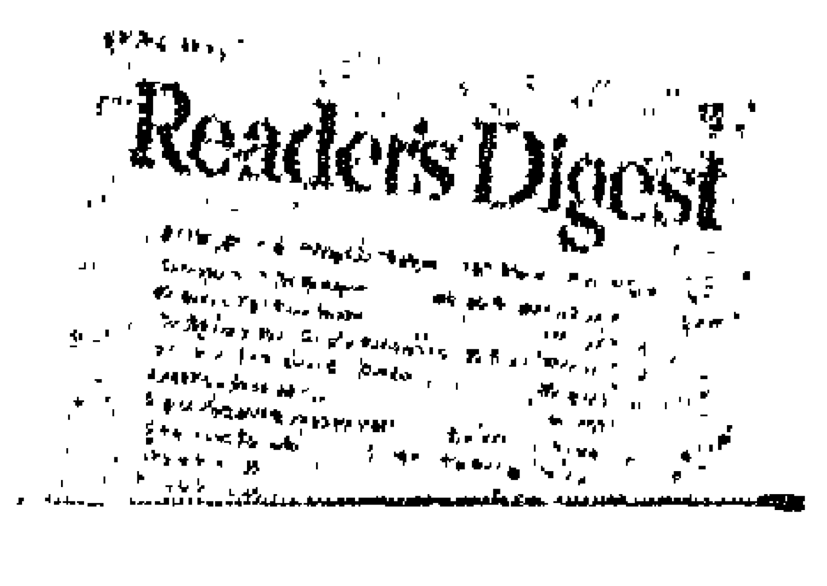
الدنمركية : « دت بيدست فرا ريدرز دايجست » « توزع فى الدنمرك »

فى عصرنا هذا يسير التطور الروحى والفنى والسياسى سيراً حثيثاً ، وترى الصلات بين الأمم تتحوّل تحولا سريعاً ، حتى لتجد الرجل من أوساط الناس لايسعه أن يطلع إلا على أيسر قدر من أخبارها . فلذلك أرى أن المختصرات التى تنشرها ده بيدست منتقاة من مجلات العالم ، هى مختصرات نافعة وتبين للقارىء أصول الحوادث الجارية ونشأتها . ثم إنها تتيح له ذخيرة من المعارف العامة يشقّ عليه أن يجمعها بنفسه . [لك فيشر ، كوبنهاجن ، الدنمرك]



اليابانية : (توزع فى اليابان)

عرتنى النشوة بعد مطالعة مجلتكم الممتازة ، لأنى أنا اليابانى أستطيع اليوم أن أقرأ الأدب العالمى، وإن « نافذتكم المطلة على العالم » لضرورية لتعزيز انبعاث اليابان . فهذه مجلة لا تجد فيها نفاية ، كلّ مقال فيها يصبح قطعة من حياتك فأنا أشكر لكم الفرصة التى أتحتموها لى لكى أتثقف بثقافة العالم . [تورايشى سيما كاوا ، طوكيو ، اليابان]



الإنجليزية : « ريدرز دايجست » (توزع فى أمريكا الشمالية واستراليا وبريطانيا والهند)

كان دخول ريدرز دايجست بريطانيا باعثاً عظيماً من بواعث غبطتى ، فهى تمكن ملايين من الناس ، ولا سيما الصغار ، أن يطلعوا على ما تفعله الأمم الأخرى وما يدور فى أذهان أهلها . وإنى لأتمنى أن يظلّ كلّ عدد منها ينتقل من يد إلى أخرى حتى يبلى غلافه ... ثم أن يظلّ ينتقل [ج . ر . روبرتسون سكوت ، لندن ، انجلترا]



العربية : « المختار من ريدرز دايجست » (توزع فى البلاد العربية)

من العلامات المبشرة بالخير أن تساهم اللغة العربية بنصيب وافٍ من هذه المائدة العالمية المشتهاة ... واشتراك الملايين فى نوع واحد من القراءة هو نفسه قرابة ذهنية تساعد على التفاهم وتقريب الأفكار ، وتقرر القواعد التى يقوم عليها اشتراك النظر والاهتمام ؛ كأنما هؤلاء الملايين على موعد واحد كلّ شهر للقاء والمحادثة ... وهذه هى الألفة الذهنية التى تمكن ، حيناً بعد حين ، بالتعوّد الذى لاعناء فيه . [عباس محمود العقاد ، القاهرة ، مصر]

(م الرغائب بمصر)

وقال : « لا أستطيع أن أفضى إليك بالسبب . وأوثر أن لا تسألنى عنه ، ولكنى لا أستطيع أن ألقى تلك الخطبة هنا يوم الجمعة » ، وانتهى الأمر بهذا .

وفى صباح الجمعة ، عند مطلع الشمس ، كان المرشح المديد القامة يخترق الشوارع الساكنة فى المدينة الغربية قبل أن يخرج من يبكرون فى القيام . وكان راجلاً فما عتّم أن خرج إلى الأرض المكشوفة يقطعها بسرعة ، وما وافت الساعة التاسعة حتى كان قد دخل بلدة فى الريف ، على مسافة عشرين ميلاً من حيث بدأ .

وكان باب المحكمة مفتوحاً على مصراعيه لاستقبال الصباح الضاحى ، وجلستها منعقدة والقاعة غاصة ، فدخل المرشح لمجلس الأمة دون أن يفطن إليه أحد وقعد فى آخر صف وكانت القاعة من الداخل ساذجة ، وجدرانها بيضاء وخشبها غير مدهون ، ومقاعدها من خشب ، وأدار المرشح فيما حوله عيناً كأنها ألفت هذا المنظر . وكانت المحكمة تنظر فى قضية سرقة ، فأرهف أذنيه وبدا عليه كأنه يدرس القاضى والمحامين ، ولم تفته كلمة مما كان يعقب به الجالسون بقربه . وانتهت القضية . ثم نهض المدعى وقدم قضية جون ويلسون متهماً بالقتل . فسرت فى القاعة حركة ، وظهر فى مدخلها مأمور الضبط يقود صبياً فى الخامسة عشرة من العمر ، فى ثياب رثة من صنع البيت ، وبين كتفيه رأس وضاء أحمر الشعر ، وكان شاحب اللون مذعوراً ، وكانت عيناه على الأرض . وواجه القاضى ، وهو شاب ، هذا المتهم ، وعهل مشفقاً ، ثم عالج أعصابه فشدها .

وسأل : « ألك محام ؟ »

فهز الصبى رأسه الذهبى المنفوش الشعر : « كلا . . . لا أعرف أحداً . . . ولا مال لى أدفعه »

« هل تحب أن تعين لك المحكمة محامياً ؟ »

وسمع فى سكون القاعة صوت حذاء يحك البلاط ، ونهض الرجل الجالس فى الصف الأخير ، وتقدم ووقف أمام القاضى .

وقال : « إنى ياصاحب السعادة محام . ويسرنى أن أكون محامى الدفاع » .

ونظر القاضى هنيهة إلى هذا الرجل الفارع الطول المتراخى الأوصال .

وسأله : « ما اسمك ؟ »

فأجاب فى هدوء : « أبراهام لنكولن » ،

وألقى بعضهم هنا وهناك نظرة أخرى على المحامى الضخم ، فإن هذا هو المرشح لمجلس الأمة ، وكان هذا كل ما دار بأخلادهم . وما كان أحد من فلاحى الحدود أو أهل الريف الذين يلبسون مايصنعون فى دورهم ،

أو النساء اللواتى يرتدين العبك وقبعـات الشمس — ما كان أحد من هؤلاء الذين سمعوا الاسم، يحلم بأنه سيكون له مكان رفيع فى التاريخ.

وأجاب القـاضى : « إنى أعرف اسمك يامستر لنكولن ، وإنه ليسرنى أن أعينك لتولى الدفاع عن السجين » .

وأخذ المحلفون أماكنهم ، وأدار لنكولن عينيـه العميقتين الفاحصتين فيهم واحداً بعد واحد، ولكنه لم يردّ أحداً منهم، وبدأ المتفرجون ينظرون إليه بصبر نافد ، وكان الشعور ضدّ السجين ، ولكنهم كانوا يودّون أن يروا شيئاً من الكفاح عنه .

وبدأ المدعى عرض القضية باسم الشعب ، وقص بإيجاز قصة القتل . وقال إن السجين كان يعمل فى مزرعة من يدعى أموس بيرى فى الخريف السابق من عام ١٨٤٥ ، وكان فى المزرعة رجل إرلندى اسمه شونسى ، وكان يطيب له أن يتسلى بمعابثـة الصبى ومضايقتـه ، فكرهه الغلام . وفى الثامن والعشرين من أكتوبر كان الغلام يسوق مركبة موقرة بالدريس إلى الضيعة المجاورة ، فالتقى عند بوابة المخازن بشونسى ومعه أموس بيرى ورجلان آخران ، وطلب الفتى من أموس أن يفتح البوابة ، وهمّ أموس أن يفعل وإذا بشونسى يتكلم ، ويقول إن الغلام كسول ، وأنه ينبغى أن يترجل ويفتح البوابة بيده ، ونزَعَ الإرلنـدى المِذْرَى التى كانت مع الغلام ووخزه بها وأمره أن ينزل ، فوثب الغلام مندفعاً ، واسـترد المِذْرَى وألقى بنفسه على الإرلندى وطعنه ، فانغرزت سن المذرى فى جمجمته فمات بعد ساعة . هذه هى القصة .

وكانت ساعة الغداء قد وافت ، فرفعت الجلسة ، وعبر القاضى والمحامون الشارع إلى المطعم .

ولكن أحد المحامين اختفى ، ولم ير أحد ذلك الرجل الضخم وهو يمشى فى الطريق الظليل مع امرأة هزيلة ذاوية فى ثياب بالية، كانت تجلس فى ركن مظلم من قاعة المحكمة وتذرف الدمع فى صمت .

« هذه أم السجين »، قالتها امرأة بصوت خفيض حين أعيدت الجلسة وأجلسها محامى المتهم برفق وعناية قبل أن يتقدم إلى مكانه .

ودعا المدعى شهود العيان وألقى عليهم الأسئلة ، فشهدوا بتفاصيل الجريمة ، وبدا كأنما لاشك فى إدانة المجرم ، وكان متقبضاً منطوياً على نفسه ، ووجهه ممتقع من عناء الشهر الذى قضاه فى السجن، وقد استولى عليه اليأس — قاتل وماجاوز الخامسة عشرة .

وتقدم النهار، وصار صوت المدعى الأخَنّ يعلو ويهبط وهو يسأل الشهود ، غير أن

المحامى الضخم الجالس هناك لم يبد اعتراضاً واحداً حتى على أقوال ضارة جداً بالمتهم، وكان يفحص وجوه القاضى والمحلفين ، وكأنه يدرس شخصية كل رجل . وأخيراً قال المدعى : « انتهينا من الموضوع » ، ورفعت الجلسة للعشاء .

وكان الرأى السائد أن الفتى مقضى عليه، وأنه ما من محام ولو كان لوذعياً يستطيع أن ينقذه بعد شهادات كهذه . وكان الرأى أيضاً أن هذا الرجل الضخم العملاق لا يمكن أن يكون محامياً قديراً ، وإلا لاستطاع أن يصنع شيئاً لموكله قبل أن يبلغ الأمر هذا المبلغ . وكان الشعور العام يؤيد الحكم على الفتى ، فإن ارتكاب جريمة القتل فى سن الخامسة عشرة ، يدل على فساد يحسن إخلاء الدنيا منه .

وأعيدت الجلسة فى منتصف الساعة الثامنة ، ولم يكن ثم مقعد واحد خالياً ، وجلست المرأة النحيفة فى ثوبها الرخيص الرث عند المنصة فى هذه المرة وقرب ابنها . ودخل القاضى ، ثم نهض ابرهام لنكولن ومشى على مهل بين الصفوف الصامتة ، ووضع يداً كبيرة على كتف السجين النحيلة ، فاضطرب الفتى وخاف . فحنى لنكولن قامته المديدة وقال : « لا تخف يابنى » قالها بصوت خافت ، ولكن كل امرىء سمع كل كلمة: «سأخرجك من هذا المأزق ، فحاول أن تتشجع من أجل أمك » .

ونظر الفتى إلى أمه الرثيثة الحال، فقابلت نظرته بابتسامة متكلفة ، فحاول أن يبتسم لها ، ورأى الجمهور الجهد الذى بذله كل منهما فى سبيل الآخر ، ورآه القاضى ، والمحلفون ، وأخذته عينا لنكولن الحادتان اللتان ترقبان كل شىء من تحت حاجبيهما الكثين ، ولمح اختلاجة رحمة فى أكثر من وجه واحد . فنزع سترته وطواها على ظهر كرسيه ووقف فى قميصه .

وبدأ أبرهام لنكولن : « أيها السادة المحلفون ، سأعالج هذه القضية على نحو غير مألوف فى المحاكم ، فلن أدعو شهوداً ، فإن هذا السجين الجالس هناك هو حسبى شاهداً ولن أجادل . وكل ماسأفعله هو أنى سأقص عليكم قصة ، ثم أدع القضية بين أيديكم »

وسرت هزة فى قاعة المحكمة ، ومضى الصوت الذى كان فى البداية حاداً غير حسن الوقع ، يقول :

« أنت ياجيم بك — أنت ياجاك أرمسترونج — »، وأشارت الإصبع الضخمة إلى اثنين من المحلفين :

« أنتما تستطيعان أن تتذكرا — نعم ، وأنت أيضاً يالوك جرين — ما كان منذ خمسة عشرة عاما مضت ، حين أقبل من

أنديانا فتى طوال نحيف فى ثياب زرية ، وأحسب أن مظهره كان من الغرابة بحيث لاينساه من يراه . فقد كان يلبس سراويل من صنع البيت أسفلهامدسوس فى الحذائين. أيها السادة المحلفون : إنى أعتقد أن بعضكم يتذكرون هذا الشاب ، وكان اسمه أبرهام لنكولن » .

وسكت المتكلم المعروق الوجه ورفع كميه قليلا ، فرأى المحلفون الرسغين المكسوين بالشعر وعضلات الكف والذراع، نعم تذكر بعضهم العملاق الشاب الذى كان بطلا فى كل مايدور على القوة البدنيــة . وجلسوا مرهفى الآذان .

ومضى الصوت القوى يقول ، وقد رقت نظرة العينين كأنما يديرها صاحبهما فى طريق طويل قطعه : « إن خير شطر من حياة الإنسان يشتمل على صداقاته . وفى هــذه الأنحاء أصدقاء أوفياء يمكن أن يكسبهم الإنسان ، وقد كان لهذا الشاب ذى الثياب الزرق بعض الأصدقاء . وسأسوق إليــكم نبأ أسرة أولته عطفها وودها .

« غادر الشاب أبرهام لنكولن بيته فى الثانية والعشرين من عمره لينشد رزقه، ولم يجد العمل دائماً فى تلك الأيام القارصــة . وفى عصر يوم من أيام الخريف ، بعد أن قطع أميالا وأميالا بحثاً عن عمل، سمع ضربة فأس ، ووجد كوخاً ، وكان الكوخ حقيراً حتى بالقياس إلى أكواخ الروّاد، وكان على النوافذقماش بدلا من الزجاج ، وفى الكوخ غرفة واحدة فوقها غرفة صــغيرة . فتقدم أبرهام إلى الكوخ يحدوه الأمل وطلب المأوى » .

وكف الصوت مرة أخرى ، وشاعت فى وجهه ابتسامة للذكرى الجميلة :

« أيها السادة المحلفون : مافاز ملك قط بأجمــل مما فاز به أبرهام من الترحيب . وقال صاحب ذلك الكوخ له إن كل مايملك هو له ، وأُدخل الشاب المتعب فى الكوخ، وكان فيه طفلان صغيران يلعبان على الأرض وامرأة صغيرة الجسم تغنى طفلا بجانب الموقد لينام ، وصــعد الضيف إلى الغرفة العليا بعد العشاء .

« وفى صباح اليوم التالى ، بعد أن عاون على بعض الأعمال ، سأل : هل ثم عمل له يزاوله ؟ فقال الرجل نعم ، يوجد عمل كاف إذا كان يستطيع أن يقطع الخشب ويشذّبه.

« وسأله الرجــل : أتحب أن تعمل ؟

« فقال له أبرهام إنه قد لا يصلح لعمل مثل قتل الأفاعى ولكن — على كل حال كانت النتيجــة أنه أقام وأثبت قدرته على القيام بعمل رجل .

وعاش أبرهام خمسة أسابيع فى هــذا

الكوخ ، فكان يحتطب مع الأب ، ويساعد الأم فى أعمال البيت ، ويلاعب الابن كثيراً ذلك الطفل البسام الذهبى الشعر . وهو لايعرف شطراً من حياته كان فيه أسعد وأخلى بالا » .

وتناول المحامى سترته ، وكانت كل عين عليه فى المحكمة ، فدس يده فى جيب ، وأخرج رسالة :

« وقد انتقلت الحال بهذا الشاب المدين بكل هذا الفضل العظيم ، إلى ما هو أرغد وأخصب ، فيما بعد . واستطاع بفضل الله وبحسن الحظ أن يتبوأ مكانا فى المجتمع ، وقد حافظ — حافظتُ على قدر ما يستطاع على الاتصال بهؤلاء الأصدقاء القدماء ، ولكن فى غمرة المشاغل الكثيرة لم يأتنى منهم خبر فى السنوات الأخيرة حتى كان صباح الاثنين الماضى ، فجاءنى هذا فى سبرنجفيلد »

ورفع يده بالرسالة :

« هى رسالة من الأم التى رحبت بشاب مكدود فى كوخها المتواضع ، وقد مات زوجها منذ سنوات ، وتبعه الولدان الكبيران . أما الأم التى كانت تغنى طفلها عصر ذلك اليوم الغابر » ، ودار وأشار إلى المرأة الصغيرة المتقبضة على المقعد الأمامى . « فهذه هى ! »

وهوت ذراعه ، وأضاءت عينه وهو يصوبها إلى رأس الفتى المجرم الذهبى الشعر ، ولم يكن فى القاعة من لم يسمع كل مقطع من الجملة التالية :

« أما الطفل فهو هذا السجين الماثل أمامكم ! »

وسمعت شهقة فى هذه القاعة الحارة المزدحمة ، وحفيف ثوب امرأة ، ونحنحة رجل ، ثم ساد صمت تركه محامى الدفاع يفعل فعله ويقوم عنه بما يريد ، فقد كان السكون يصوغ له العقول كما لا يستطيع الكلام أن يفعل ، وكان الناس فى القاعة من رجال ونساء يحركون أقدامهم أو يتنهدون ، وقد أفعمت قلوبهم بما أورثهم هذا الصمت .

وفى اللحظة المناسبة ، تناول المحامى الأطراف المنهوكة من أعصاب الجمهور كما يتناول السائق أعنة خيله القلقة ، وارتفع صوته قائلا :

« وما أكثر ما تذكرتُ (وكان يتكلم كأنما يفكر بصوت عال) ما أكثر ما تذكرت تلك الأسابيع من الحنان الذى لا ينضب معينه من هؤلاء الناس المساكين ، ودعوت الله أن يتيح لى أن أثبت لهم شكرانى لفضلهم ، فلما جاءتنى الرسالة يوم الاثنين الماضى تطلب المعونة ، أيقنت أن الله استجاب لى .

« ويتفق أحياناً أن تجىء استجابة الدعاء

مقترنة باقتضاء تضحية ، وهذا ما كان من أمرى . فقد كانت الليلة فى حياتى هى التى تمثل الذروة فى سنوات من الطموح ، وكان على أن ألقى خطبة يحتمل أن تفضى إلى النجاح أو الإخفاق . وقد وضعت هذا النجاح ، أو الإخفـاق إذا جاء به الزمان ، على مذبح سلامة هذا الفتى . وأنا مغتبط بذلك ، وعليكم أنتم — وأدار عينه القوية فى المحلفين — أن تنيلوه هذه السلامة .

« أيها السادة المحلفون : قلت فى البداية إنى سأعالج هذه القضية على نحو غير مألوف ، وقلت إنه ليس عندى حجة أطرحها أمامكم وقد قصصت عليكم القصة ، وإنكم لتعلمون أنه فى السن التى تحمل فيها يد الغلام الكتب المدرسية أو أدوات الصيد ، حملت يد هذا الفتى آلات الرجال فكان فيها الوبال . وأنتم تعلمون كيف أن الغلام ظل يستفزه رجل كبير حتى نفد صبره ، فاستعمل الآلة التى كانت فى متناول يده. تعرفون هذه الأشياء كما أعرفها ، وكل ما أرجوه هو أن تعاملوا هذا الغلام الصغير كما تحبون أن يعامل غيركم صغاركم فى البيت .وهذه حياته بين أيديكم. أيها السادة المحلفون لقد ختمت كلامى » .

وجلس أبرهام لنكولن .

وبعد برهة خرج المحلفون وعبروا الشارع إلى غرفة فى فندق مواجة للمحكمة ، ومضى نصف ساعة ، وحدثت حركة ، وعاد الذين كانوا قد غادروا قاعة المحكمة متزاحمين ، وشدت المرأة الصغيرة الضاوية الجالسة فى المقعـد الأمامى يديها النحيلتين ، ورجع المحلفون وقعدوا . وقال كاتب الجلسة بصوت ممل : « أيها السادة المحلفون ، هل اتفقتم على حكم ؟ »

فقال رئيسهم : « نعم » .

« ما هو حكمكم؟مذنب أو غير مذنب؟ »

ومضت هنيهة لعلها ثانية لم يتنفس فيها أحد فى هذه القاعة الغاصة ، وحدقت المرأة الصغيرة بوجه ممتقع فى رئيس المحلفين ، وكانت كل عين ترمقه ، إلا الفتى فقد كان لا يبدو عليه أنه مصغ وهو جالس ورأسه الذهبى مثنى على صدره .

وقال الرئيس : « غير مذنب » .

فكانت الفــوضى ، وراح الرجال يصيحون ويدبدبون ويلوحون بأيديهم ويطوحون بقبعاتهم فى الهواء ، والنساء يبكين ، وصرخت واحدة أو اثنتان وقد استخفهما الفرح ، ونظر أبرهام لنكولن فإذا الغلام النحيف يتطوح ويكاد ينكب على وجهه ، فأسرع إليه وتلقاه بين ذراعيه الكبيرتين ، ورفعه فوق الحاجز ووضعه بين ذراعى المرأة التى راحت تهزه وتقبله ،

وأقبلت القاعة كلها عليها، غير أن لنكولن وقف كالحارس وردّ الجمهور.

وقال بصوت عال: « لقد أغمى على الغلام، فدعوه يتنفس » ثم قال بابتسامة، «لقد عاد إليها طفلها — إنها بخير يا إخوانى، ولكن هاتوا جرعة من ماء للغلام » .

انتهت قصة الرجل الهرم، وبعد لحظة من الصمت عاد إلى الكلام كأنما يريد أن يرد على اعتراض من جليسه.

« بالطبع، مثل هذا لايمكن أن يحدث اليوم، وما كان يمكن أن يحدث فى محاكم الولايات الشرقية. ولعل أحداً غير لنكولن لم يكن ليقدر عليه، ولكنه كان يعرف جمهوره ومحلفيه، وصدقت فراسته فى شخصية القاضى، فكان ما قصصت، وهو أمر واقع »

فألقى السامع على الرجل الهرم نظرة فاحصة ثم قال:

« هل لى أن أسأل كيف وقفت على هذه القصة؟ لقد رويتها بلهجة العليم الواثق حتى كأنك كنت حاضرها. فهل كنت فى تلك القاعة؟ »

فالتمعت عينا الرجل السوداوان البراقتان وابتسم ابتسامة غريبة، كأنما ارتد إلى نصف قرن مضى، وأخذ يبتسم لوجوه استحالت تراباً من زمان طويل.

وقال: « كنت أنا القاضى » .



عبقرية الموسيقى

ذهب غلام إلى موزار الموسيقى العظيم وسأله كيف ينبغى له أن يفعل لكى يؤلف سمفونية.

فقال موزار: إنك فتى فى طرى الإهاب، فلم لا تبدأ بتأليف ألحان بسيطة؟

فقال الفتى: ولكنك ألفت سمفونيات حين كنت فى العاشرة.

فقال موزار: نعم، ولكننى لم أسأل كيف أؤلفها.

[شاننج بولوك]

ooOo

كلّ امرىء سيّارة عامة يركب فيها جميع أسلافه.

[أوليفر وندل هومز]

هذه طبائع البشر

وقفت سيارتى قرب مدينة صغيرة لأدعو شيخا راجلا ليركبها ، فهمّ ثم انثنى يهزّ رأسه وقال : « لست أدرى ماذا ينبغى أن أفعل ؟ فقد دعانى روبنسون أمس الأول إلى ركوب سيارته ، وأمس دعانى بيل طود ، وها أنت تدعونى اليوم . فقد أخذت ساقاى تتعوّدان الكسل ، فإن لم يتفق لى من يدعونى غداً ، فقد تثوران علىّ أو تخذلانى . لا . أظنّ أنه خير لى أن أمشى لكى تعلما من منا هو السيّد ذو السلطان » .

[جيمس جلن]

كنت أنتظر قطاراً ، فطال انتظارى ، فرأيت فتاة حسناء فى ريعان شبابها تدنو من أمٍّ شابة أجهدتها العناية بطفلها ، فسألتها وهى تبتسم ابتسامة الصديق الودود : « أتسمحين لى أن أعنى بطفلك حتى تصيبى قليلا من الراحة ؟ » .

وقد ظلت الفتاة نحو ساعة تلاعب الطفلين فلما دنا القطار حملت بعض أمتعة الأم . وقد رأيتها تعين ثلاث أمهات مجهدات غير هذه الأم ، وكانت فيما تفعله غاية فى الرقة والمقدرة . فلم أملك نفسى أن أسألها : « أتنتظرين قطاراً » ، فقالت : « لا . أنا أسكن على مقربة من المحطة مع عمتى ، وليس عندى ما أصنعه بعد المدرسة » ثم تهدّج صوتها وهى تقول : « كنا خمسة ، وكانت أمى تجهد جهداً عظيماً حين نسافر ... وكان والدى فى الحرب ، وأما أمى فماتت منذ بضعة أسابيع ... وقد كانت ترى أنى أحسن ملاطفة الأطفال . فصرت أجىء إلى هنا لكى أبذل العون للأمهات المجهودات » .

[هيزل دنيكر]

خرج صديق لى فى سيارته فى يوم قائظ فانفجرت إحدى عجلاتها قرب مدينة صغيرة فساءه ذلك ، ونزل وهمّ بتغيير العجلة ، وإذا شيخ على عربة يجرّها بغل قد وقف قربه وقال : « أبك حاجة إلى معونة ؟ » .

فمسح صاحبى العرق عن جبينه وعينيه ونظر إلى الشيخ وردّ بالنفى ردًّا جافياً ، ثم أكبّ على محور العجلة .

فنظر إليه الشيخ ، ثم نزل على مهل من عربته ، وما هى إلا دقيقة حتى أحسّ صاحبى أن شمس أغسطس القائظة قد غابت عنه . فرفع عينيه فرأى الشيخ واقفاً وقد حمل مظلة بيديه وقال : « خطر لى أن المظلة تقيك وقدة الشمس قليلاً » . [بن فورستن]

جزيرة بتكيرن

مختصرة من كتاب بهذا الاسم

تشارلز نوردهوف
و
جورج نورمان هول

هـذه هى الحلقة الثالثة فى سلسلة المغامرات والمآسى والمعاشق التى نسجها المؤلفان نوردهوف و هول ، من حادثة من أغرب الحوادث فى التاريخ البحرى . وقد اتخذا من البحث الدقيق الشامل الذى قام به لهما خبراء فى إنجلترا وأمريكا ، أساساً للقصة .

والحلقة الأولى فى هذه السلسلة هى رواية « ثورة على السفينة بونتى » المشهورة التى صوّرت للسينما ، والثانية هى رواية « رجال ضد البحر » . وأخيراً فى « جزيرة بتكيرن » يبلغ المؤلفان بهذه القصة الغريبة التى وقعت فى البحار الجنوبية ختامها الرائع .

في ربيع ١٩٣٥ دخل ربان من بوسطن بسفينته فى ثغر جلوستر وهو يفيض بأنباء زيارته للفردوس الهادىء الذى هو جزيرة بتكيرن — وهى نقطة منعزلة فى جنوب المحيط الهادىء .

وروى قصصاً عن أهل الجزيرة الأشداء الكرماء الذين يعيشون فيها اليوم — عن كبيرهم باركر كرستيان ، ونوريس وفنسنت ينج ، وعن أطفالهم الذين يسمون باسم ما كوى . وباركر كرستيان هـذا من نسل الثائر فلتشر كرستيان فى القرن الثامن عشر ، وقد كان أسلاف أسرتى ينج وما كوى ممن اشتركوا فى فتنة السفينة بونتى ، وفيما تلا ذلك مما هو روى فى هذه القصة .

وكانت سفينة النقل المسلحة بونتى الإنجليزية قد أبحرت من ثغر سبيتهيد فى عام ١٧٨٧ قاصدة إلى تاهيتى فى البحار الجنوبية . وكانت غايتها أن تجىء بفسائل أشجار الفاكهة وأن تحملها إلى المزارع البريطانية فى جزر الهند الغربية حيث يمكن أن تغرس ، فتزوّد الأرقاء بطعام رخيص ، ولكن بعد أن أدت السفينة مهمتها أثار ربانها الثانى فلتشر كرستيان النواتىّ على الربان بلاى ، لأنه عدّ سلوكه قاسياً لايطاق . وقد وضعت خطة الثورة فجأة ، ونفذت بسرعة فى صباح ٢٨ إبريل عام ١٧٨٩ . ووضع الكبتن بلاى و ١٨ من البحارة الموالين له فى زورق أنزل بهم إلى البحر ، ولم يرهم الثوار بعد ذلك .

وبقى على السفينة بونتى مع فلتشر كرستيان ثمانية من المتمردين فى جملتهم إدوارد ينج ، وألكسندر سميث ، وماثيو كوينتال ، ووليم ما كوى فجابوا البحر باحثين عن ملجأ أمين ، ومعهم ستة من البولنيزيين ، و ١٢ فتاة جميلة من بولينزيا أيضاً أقنعوهن بمصاحبتهم من تاهيتى — فوجدوا جزيرة نائية قل من يعرفها ولا تستطيع حتى يد الأميرالية الطويلة أن تصل إليهم فيها .

جــزيــرة بتكيــرن

« أيها الرجال قفوا جميعاً عند مؤخر السفينة » .

وكف فلتشر كرستيان عن التمشى ونظر إلى الجزيرة التى ألقت السفينة بونتى مراسيها قربها . وكانت كأنها متن مرتفع على طرفيه جبلان عاليان ، فى جانب أحدهما أكمات صعود ، ولكن فوق الأكم مئات من الأفدنة كثيرة الشجر مغمورة بالخضرة وجدولان ينحدران إلى البحر . فيالها من أرض قد تكون جنة !

وقال كرستيان وهو يواجه هذا الجمع العجيب من رجال ونساء ، وبيض وسمر ، « اسمعوا جميعاً . إننا هاربون من وجه العدالة ، لأننا ارتكبنا جريمة التمرد ، فإذا اهتدوا إلينا وقبضوا علينا فسيكون الموت مصير كل رجل منا . وقد وجدنا هنا جزيرة لا يحتمل أن يزورها أحد ، ويبدو لى أنها خير ملجأ ، ولكن إذا نزلنا فيها فلا منصرف لنا عنها ، فاعرفوا هذا ولا تتوهموا غيره ، وقد انقضت أيام أسفارنا إلى غير رجعة ، وليس ثم للسفينة مرسى مأمون — فيجب أن تجرّد وتحرق . والآن هل توافقون ؟ » .

فارتفعت على الفور خمس أيد ، ثم انضم ماكوى ومارتن إلى الموافقين بعد تردد ، وقال كرستيان بحدة : « وأنت يا ميلز ؟ » فرفع البحار الشيخ يده وقال : « أرى أن هذا هو الأصوب ، ولكن صعبٌ على المرء أن ينقطع عن العالم طول العمر على صخرة كهذه » .

فقال كرستيان : « أصعب من ذلك أن يشنق . وهناك أمر آخر : من الآن فصاعداً فيما يتعلق بشئون جماعتنا سيكون لكل رجل صوته ، ويتقرر كل أمر بإرادة الكثرة . موافقون ؟ إذن كونوا من هذا على ذكر دائم » ودار فنظر إلى الجزيرة وقال : « هذه بقعة هادئة . والله المسئول أن يبقيها كذلك » .

وبعد ثمانية عشر عاماً ، فى سنة ١٨٠٨ ، اكتشفت السفينة الأمريكية توباز جزيرة بتكيرن مرة أخرى ، ورحب بالمستر ويبر ربانها ، رجلٌ أشيب قوى البنية يرتدى ثياب البحارة البريطانيين القديمة ، وكانت نظرته تنبىء بالقوة التى يلطفها طيب النفس . وكان هذا هو ألكسندر سميث الرجل الوحيد الذى بقى حياً من جماعة المتمردين .

وكانت القصة التى رواها سميث لزائره فاجعة ، فما بقى من الرجال الخمسة عشر والنساء التاهيتيات الاثنتى عشرة ، وهؤلاء وأولئك هم الذين نزلوا فى الجزيرة فى عام

١٧٩٠ — سوى النساء والأطفال وسميث نفسه . ذلك أنه بعد ثلاثة أعوام من الوفاق فى محلة من المساكن الساذجة الخشنة ، تلهبت البغضاء بين البيض والتاهيتيين من جراء مشروع تقسيم الأرض بين البيض ، وانفجرت النفوس فجأة فكانت مذبحة .

وهذه هى القصة كما رواها سميث :

قال « يوماً أسود ، ذلك اليوم الثامن عشر من سبتمبر عام ١٧٩٣ وهو تاريخ لن أنساه . بدأ القتل عند الفجر ، فلما كانت الليلة التالية كان آخر هندى قد قضى نحبه ، وكذلك معظم البيض ، وبقى كوينتال وماكوى والمستر ينج فضلا عن النساء التاهيتيات .

وأحسبك لاتستغرب أنى أشعر بحنق على كوينتال وماكوى ، فإنهما هما اللذان أثارا الفتنة ، ثم خرجا منها سالمين . وكان ماكوى قدذهب إلى أن الهنود غيرجديرين بأن يملكوا أرضاً ، ولكن كل ماكانوا يطلبونه هو أن يعاملوا معاملة الرجال . أما الفتيات فما تستطيع أن تجد خيراً منهن فيقات معينات صادقات بريئات من سوء الخلق وجفوة الطبع . كلا ، نحن الملومون ، وكان ينبغى قبل أن نغادر تاهيتى أن نحرص على أن يكون لكل رجل فتاة ، وأن نحمل معنا عدداً آخر من الفتيات ، ولكن المتاعب كانت ستحدث لامحالة بغض النظر عن الفتيات .

وقد قام كرستيان بكل ما يدخل فى وسع إنسان . والآن هاهو ذا فى سياق الموت وامرأته مايميتى إلى جانب فراشه لاتريم مكانها منه ، ولا تكف عن النظر إلى وجهه . وما أظن أن رجلا استقبل الموت بمثل أسفه وحزنه ، فقد تقوّض كل ماالمسه وقد أراد الله أن يجعل هذه الجزيرة جنة عدن صغيرة فقلبناها جحيماً ... وبعد فترة طويلة سمعت صوته يقول : « حاذرأن يعرف الأطفال ! » وكان هذا آخر ماسمعته ينطق به .

واحتجت ياسيدى إلى وقت حتى أرتب خواطرى ، وكنت أفتقد الموتى ولكنى أحسب أن ينج كان أشدنا حزناً ، فبعد موت كرستيان لم أسمعه قط يضحك ، وكان يقضى الساعات جالساً ينظر إلى البحر ، على أنى كنت مغتبطاً بأن كوينتال وماكوى نأيا بنفسيهما عنى .

وكان ماكوى قد انخلع فؤاده من الفزع حين رأى الهنود يطلبونه فى تلك الليلة ، وكان قد رأى رأس رجلين منا دامبين متدلين عند حزامهما ، فطار عقله

من الرعب . وكان كويتال قد اختبل ولكن على وجه آخر ، وقد كان دائماً به خفة فى عقله ، ولكنه بعد حوادث القتل هذه صار يكلم نفسه ويتصرف على نحو شاذ، مخافته النساء . فلما أدرك أن ماكوى رحل عن البيت ، ذهب يبحث عنه حتى وقع عليه فى كوخ صغير فى حفرة : «إذن هذا مخبؤك ؟ وما هذه الأدوات كلها ؟ » فلم يسع ماكوى إلا أن يخبره ، وكان قبل حوادث القتل بزمن طويل قد صنع جهازاً للتقطير ، وراح يقطر الخمر سراً ، فلما سأله كوينتال صب قدراً كبيراً من الخمر وأراه كيف تصنع ، وكان لا يستطيع أن يصنع إلا مايسد حاجته هو ، فالآن جاءا بإناء نحاسى كبير من السفينة بونتى، وبه يستطيعان أن يصنعا أى مقدار .

ولما أعد الجهاز الجديد ، بدأت متاعب جديدة .

وكانا فى أول الأمر يشربان خمرها فى هدوء ، ولكنهما بعد قليل صارا يحملان شرابهما إلى البيت ، وأغريا خمساً من الهنديات بعشاربتهما ، وكان هذا أول ماعلمت بالخبر .

وأقول هذا عن نفسى — لقد حاولت أن أصرف النساء عن ذلك فى البداية ، ولكنهن وجدن أن الشراب ينسيهن أشجانهن ، فلم يعد فى الوسع صدهن عن ماكوى وخمره . وكانت مايميتى وعدد قليل من النساء يأبين أن يذقن هذه الخمر، وإن كن لا يعرفن ضررها . ثم زارنى ينج ذات ليلة ، وكان من السهل أن يعرف المرء من أين أقبل ، فوضع زجاجة على المائدة وقال : « هذه من ماكوى ، أرسلها إليك وفيها شراب جيد ينفعك . وإن الله ليعلم ان قليلا من السرور لا يضيرنا » . وأقول لك ياسيدى إنه ما من بحار يحب شراب « الروم » فوق ما أحبه ، وأختصر فأقول إننا أتينا على مافى الزجاجة فيما بيننا .

وفى وسعك أن تخمن ماتلا ذلك ، فقد صرت ألحق بالآخرين عند ماكوى ، وكان كل واحد فى أول الأمر يكتفى بقدح فى اليوم لايزيد عليه ، ولكن بعد ذلك لما صار المخزون وفيراً ، شربنا كما نشاء ، والنساء الخمس معنا ، وكان ثلاث منهن لا بعولة لهن ، فهاجهن الشراب لما بهن ، وألهب دماءهن كما فعل بنا . ولا حاجة بك إلى أن نخبرك كيف كانت حالنا، فمافكرنا فى زوجاتنا أو فى شىء آخر . وكانت مايميتى ترجونا أن نقلع عن الخمر من أجل الأطفال فنخجل ونعدها أن نرعوى ، ثم نكرّ إلى ماكنا فيه بعد بضعة أيام . وبلغ من أمرنا أن النساء الخيّرات أبين أن يكون لهن بنا

شأن، واستمرت الحال على هذا المنوال شهوراً.
ثم حدث ما أفاء علينا عقولنا نحن الوحوش.
وكنا نحن الرجال الأربعة عند ما كوى سكارى كالعادة ، وكانت امرأته وامرأة كوينتال قد أصبحتا تخافان البقاء فى البيت، فأخذتهما مايعيتى إلى بيتها، وحوالى منتصف الليل أقبلت على بيتى أترنح وأتعثر، فأرقدتنى امرأتى فى فراشى ، وكانت قد بقيت معى كل هـذا الوقت ، وكذلك فعلت امرأة كوينتال معه ، فلم تهجرانا ، ولكن صبرهما أشفى على النفاد ، كما سأقص عليك .

وما كدت أغمض عينى حتى هزتنى زوجتى وأيقظتنى وقالت : «أسرع لقد ذهب كوينتال إلى بيت مايعيـتى ، وما يريد إلا شراً ! »

فخرجت أوقظ ينج وما كوى ، ولما عـدنا وصرنا فى منتصف الطريق سمعنا كوينتال يدق الباب ويضربه ، حتى كاد يقع حين بلغناه ، وكنا نسمع بكاء الأطفال ثم صوت مايعيتى تقول : « عندى هنـا بندقية وسأريه إذا وضع رجلا فى البيت ، ابتعدوا أيها الآخرون ! »

وكان ما كوى هو الوحيد الذى يستطيع أن يعالج أمر كوينتال ، فعدا إليه وأمسك بذراعه : «أمجنون أنت؟» فدفعه كوينتال دفعـة طرحته على الأرض وقال : « أريد امرأتى » فأمسك به وأمســك ما كوى برجليه ، والمستر ينج بذراعيه ، وأوثقناه نحن الثلاثة وحملناه إلى بيت ما كوى ، ولم نحل وثاقه لأنه كان كالوحش الهائج.

وكانت هـذه هى الحادثة الأخيرة التى استنفدت صبر النساء ، فلما استيقظت فى صباح اليوم التـالى لم أجـد لامرأتى أثراً ، وكان يوما عاصفاً تتخلله فترات سكون حارة، فقصدت إلى الشاطىء على عادتى لأنظر إلى البحر، وكنت ناظراً إلى ناحية الشرق فلمحت شيئاً طافياً ، على مسافة ميل من الشاطىء ، ففركت عينى المتحيرتين فرأيت زورقا مقلوبا وحوله وفوقه ناس ، وفى وسعك أن تدرك كيف فوجئت وفزعت بعد كل هذه السنين التى لم أر فيها سفينة فى هذا المحيط الموحش ، فذهبت أعـدو إلى بيت ما كوى فى طلب المنظار ، وأيقظتـه هو وينج وأسرعنا إلى نقطة المراقبة . وأنت تعلم كيف أنك حين تنظر بالمنظار إلى شيء بعيـد ، يخيل إليك أنه يثب إلى عينيك، هذا زورقنا الشراعى مقلوب ، وكل نسائنا حوله وقـد أمسكن بالأطفال فوقه . وياما كان أشدّها صدمة ! دفعنا القـوارب إلى المـاء ، وانحنينا على المجـاديف فحنيناها ، إى والله ! ولو كان هؤلاء النسوة من بنات بلادنا لغرق أكثر من طفل فى ذلك اليوم ، ولـكن هؤلاء

يعرفن كيف يضبطن أمرهن فى الماء ، ورفعناهن إلى القوارب — وكانت مايميتى آخرهن — وسحبنا الزورق . وجلست مايميتى ومارى الصغيرة بين ذراعيها وفى عينيها نظرة يأس لن أنساها إلى آخر يوم من حياتى . وهل تصدق يا سيدى أنهن كن قد اعتزمن أن يبحرن ومعهن الصغار إلى جزيرة من الجزر التى مررنا بها فى طريقنا من تاهيتى ؟ وهذا يريك مبلغ قنوطهن . لقد دفعناهن إلى إيثار الموت غرقا أو ظمأ على الحياة معنا .

وفى ذلك المساء اجتمعنا نحن الرجال ، ولكن لا لنشرب ، وكان كوينتال جاداً كغيره — لا تقطير بعد اليوم ، وأقسمنا على ذلك . وأوينا إلى فرشنا مفيقين للمرة الأولى منذ زمن طويل .

والآن يا سيدى سأتخطى ثلاثة أعوام . حافظنا على وعدنا شهرين أو ثلاثة ، ولم نذق قطرة واحدة من الخمر ، وقد حاولنا أن نبدأ عهداً جديداً . ثم تكررت القصة القديمة ، وانتقلت حالنا من سيء إلى أسوأ ، وفى النهاية رحلت مايميتى بأطفالها إلى الوادى لتعيش هناك ، وشيد النسوة بيتاً لهن بلا معونة منا ، وجمعوا الأطفال فيه بعيداً منا ، وقد بقيت زوجتى وزوجة ينج معنا ، ولكن ما أقل ما كنا نحفل وجودهما ! وبقيت أربع نساء أخريات ، فعشنا معاً على حال يخزينى أن أتذكرها . . .

وهكذا سارت الأمور إلى آخر عام ١٧٩٧ . وإنى لأذكر مجلس شراب لنا فى خريف ذلك العام ، وكان شر ما مرّ بنا من أمثاله ، فقد عكفنا على الخرطول اليوم واليوم التالى ، ولكننى فى صباح اليوم التالى زهدت فيها ، وساورنى شك فى أن يكون أمر قد وقع فما اقتربت منا النساء قط ولم يكن فى البيت شيء يؤكل ، فمضيت إلى الوادى ، وكان قد مضى ثلاثة شهور لم تطأ فيها أقدامنا هذه الأرض . فلما أشرفت على الوادى وقفت ، فقد كانت الأرض كلها ممهدة والحدائق مغروسة والنساء يعملن ، ولكن الذى استوقفنى وتركنى أحدق مستغرباً هو أنى رأيت سوراً من جذوع الشجر مغروسة فى الأرض على عمق كبير ، وارتفاعها اثنتا عشرة قدماً ، والسور حديث ومتين ، فلو أن رجالاً أقاموه لما كان أقوى . وبعد قليل استأنفت السير على مهل حتى لمحنى النسوة ، فأقبلت أربع منهن للقائى تتقدمهن مايميتى ، وكانت كل واحدة منهن تحمل بندقية ، فلما صرت على نحو اثنتى عشرة ياردة قالت : « قف حيث أنت ! ماذا تبغى؟ » ، وكنت أشعر بالخجل

وأنا أواجهها ، ولكن الرجل الذى فقد احترامه لنفسه يحاول أن يكابر ، وهذا ما فعلت ، فقلت : « أين بالهادى (وهى روجتى) ، إنى أريد أن تعود إلى البيت » فنظرت إلى مستثبتة ثم قالت بلهجة هادئة: « إنها لا تريد أن تكون معك وافهم هذا : عليك أن ترجع وتبقى هناك ، ومن الآن فصاعداً كل من وضع منكم قدمه فى هذا الوادى يعرض نفسه للهلاك ، فإن عندنا هنا كل البنادق ، والبارود والخرطوش والرصاص لصنع ما نحتاج إليه ، وفى وسعنا أن نرمى كما يرمى أى واحد منكم، فاذهب » .

وكان كوينتال وما كوى لا يزالان مخمورين ، ولكنى فى العصر قصصت عليهما ماقالت لى النساء . وكان من رأى ينج وما كوى أن ندعهن وشأنهن ، غير أن كوينتال كان شكساً عسراً ، وهو ضخم الجسم قوى كالثور، قليل الذكاء : «لن يلعبن معى هذه اللعبة ، وسأجىء باثنتين منهن » ونهض ، وانطلق ، وتبعته أنا وما كوى . وكان كوينتال لم يغتسل منذ عدة أيام ، وكانت لحيته عظيمة كثة تحجب نصف صدره ، ولم يكن عليه مايستره إلا خرقة قذرة حول وسطه ، وكان يحمل هراوة ، فكان أبشع منظراً من أى مستوحش وقعت عليه عينى . وما كاد يظهر فى الأرض المكشوفة حتى نفخ بعضهن فى صدفة بحرية ، وكان هناك ست من النساء فانتشرن ووقفن ينتظرن ، وركعت مايميى وراء صخرة وأراحت عليها بندقيتها ووقف كوينتال لما صار على مسافة ستين ياردة ، ثم مشى على مهل وفى ثبات ، وبعد أن خطا ثلاث خطوات أطلقت مايميى النار عليه، فندّت عنه صيحة وارتمى على الأجمة ووراءها ، ووجدناه ممسكا بكتفه حيث مزقت الرصاصة العضلات ، وكان الدم يتدفق من موضع أصابته رصاصة كادت تقطع إحدى أذنيه ، واحتاج أن يرقد شهرين — وكان سيىء الخلق فيهما — وكان جلياً لنا أنه يزداد خفة عقل كل يوم .

وسكنت الأمور زمناً ، ولم تدن منا واحدة من هذه النسوة ، ولم نر صاحبنا ينج إلا قليلا ، وانقطع عن الشراب معنا ، ولم يذق قط بعد ذلك قطرة من الخمر ، ولكنى كنت قلقاً على صحته ، فقد جعلت حالته تسوء وكان مصاباً بالربو ، وكانت به حاجة إلى التعهد ، ولكنه أبى أن يأذن لى فى إبلاغ النسوة أنه مريض . ولما برىء كوينتال والتأمت جراحه رأى هو وما كوى أنهما صبرا زمناً كافياً ، وقد علمت بما حدث فيما بعد ، وكان فيهما من العقل ما يجعلهما يتذكران أن النسوة يحسنّ الرماية ، فاختفيا حيث يستطيعان أن يريا الأرض المكشوفة ،

وبعد ساعتين من الانتظار خرجت اثنتان تحملان سلتين على ذراعيهما وليس معهما سلاح ، وكان كوينتال وماكوى مختبئين بقرب الطريق ، فوثبا على المرأتين وأمسكا بهما ، فذعرت إحداها حتى أنها لم تبد أية مقاومة ، ولكن الأخرى قاومت بأسنانها وأظافرها . وأخيراً جىء بهما موثقتين إلى بيت ماكوى ، ولا أظنك تحب أن تعرف ماجرى بعد ذلك ، ولكنهما فتكا بهما فتكاً مخزياً ، وفى الليل لما نام كوينتال وماكوى خرجت المرأتان .

ومضت ثلاثة أيام هادئة ، ثم حدث قبيل العصر (وكنت فى قيلولتى كالعادة) أن كنت أفتح شباكا فانطلقت رصاصة ومرت على نحو بوصة من رأسى ، وتلتها أخرى حطمت الشباك ، فهاج ذلك كوينتال وماكوى وكنت أرى من ثقب فوهات البنادق فى الغابة مسددة إلى الباب، فقد وقعنا ولاشك، وأحدق النسوة بالمكان، وغايتهن قتلنا. وكان رأيى الخروج ، ولكنا اتفقنا على الانتظار إلى الليل ، غير أنهن كن يردن إخراجنا إلى الأرض المكشوفة ، وقد فعلن ، فقد تسلل بعضهن بالمشاعل وأضرمن النار فى السقف، فامضت دقيقتان حتى كانت النار قد تضرمت فى المكان .

وكان لابد من الخروج بسرعة ، وكان ذلك خطراً ، وقد خرجت من نافذة مطلة على البحر ، ودرت حول بيت الدجاج ، وأطلقت إحداهن النار ، ولكنى عبرت الأرض واختبأت بين الشجر حتى طلع القمر . ثم ذهبت إلى بيت ينج ولكنه لم يكن فيه ، وعلمت فيما بعد أن النسوة حملنه إلى مكانهن ليقمن على تمريضه . ثم سمعت صوت ماكوى، وقد أصيب فى رجله ونزف منه دم كثير ، وقال إنه لم ير كوينتال ، ونأينا بأنفسنا عن المحلة عشرة أيام ، ولكن أحداً لم يدن منا ، ولم يظهر لكوينتال أثر ، وإن كنت قد بحثت عنه فى كل مكان ، وكنا واثقين أنه مات . وذات يوم بعد ثلاثة أسابيع صعدنا فى الجبل لنلقى نظرة أخيرة على ماحولنا ، وهناك ، حيث يسقط جانب الجبل عموديا إلى البحر ، رأينا يد فأس كانت فى البيت يوم احترق ، فزحف ماكوى إلى الحافة ونظر ، ولكنه لم ير إلا تكسر الموج على الصخور . ولما كنا نعرف كوينتال فقد اعتقدنا أنه جرح جرحاً بالغاً فرمى بنفسه ليرتاح ، وكان كوينتال رجلا خشناً صلباً ، وحشاً فى قوته ، وخطراً جداً إذا سكر ، ولكن كان له جانب آخر ، فما من أحد إلا أحب كوينتال حين جاء إلى بتكيرن . وقد شق فقده على ماكوى لأنهما كانا صديقين حميمين .

وفى تلك الليـلة شرعت تمطر ، وظلت تسحُّ ثلاثة أيام ، ولم يكن لنا عمل ما ، فعدنا إلى الخمر ، ونزا فى رأس ما كوى أنه الملوم على ماحاق بالجزيرة من شقاء ، وكان لايتكلم فى شىء آخر ، فكان يقول : « إنها الحقيقة ، أنا أول من أراد أن يقسّم الأرض ، وهذا هو الذى أدى إلى التقتيل . وما من رجل مقتـول ، أبيض أو هندى إلا وأنا المسئول عن موته » . وعلى هذا النحو مضى يتكلم طول الليل حتى كاد يطير صوابى من كثرة التكرار .

وفى اليومين التاليين حرصت على اجتناب ما كوى ، ثم قلقت عليه فذهبت إليه فألفيته منقبضاً فى ركن وقد قلب المـائدة وأدناها منه ليختبىء وراءها ، وما كدت أراه حتى أدركت ما أصابه ، فقد بدأ يتوهم أن أهوالاً ستحل به ، وكان منظره يدعو إلى الرثاء ، وهو ينتفض ويرعش وركبتاه تحت ذقنـه وعينـاه تحدقان فىَّ كالمستوحش ، وراح يتوسل ويصيح : « لاتدعه يلمسنى » وكان صوته يُغثينى ، وكان كلما استولى عليه الفزع يصيح صيحات لاتندّ عن آدمى . ولما كاد النهار يطلع استرخى ، ورأيته يغفى ، وكنت قد أدركنى الإعياء فوضعت رأسى بين ذراعى ونمت حتى أيقظتنى صرخة أخرى ، وقبل أن أفيـق كان ما كوى قد انطلق خارجاً من الباب يعـدو إلى الصخور المشرفة على البحر ، فتبعته وأنا أصيح به : « ارجع ! » ولـكنه لم يدر وجهه قط ، وهوى واختفى عن عينى . وكانت سقطة مرعبة على الصخور السفلى ، ولمحت جثمانه وقد أقبل الموج يزأر وحمله وارتد به .

ووقفت هناك نصف ساعة ، ثم ذهبت ياسيدى إلى حيث كنا قد خبأنا ذخيرتنا من الخمر ، فكسرت الصنـدوقين وأخرجت الزجاجات وضربت الصخور بكل واحدة منها فحطمتها ، ثم نزعت سلك النحاس من الجهاز وقذفت به إلى أبعـد ما أستطيع ، ولما رأيته يسقط فى البحر قلت : « الحمد لله لقد انتهينا من هذا ! »

ولو كنتَ سكيراً ياسيدى وكففت عن الشراب فجأة ودفعة واحدة ، لأمكنك أن تدرك الآلام التى عانيتها فى الأسبوعين التاليين ، فما كنت أستطيع أن أنام أو أطعم شيئاً ، وكنت أخاف أن يستولى علىّ الذعر قبـل أن يقضى علىّ ، ولـكنى ثَبتُّ فهان الأمر شيئاً فشيئاً .

وكان أمراً عظيما أن أستعيد احترامى لنفسى ، فحلقت لحيتى التى كنت قد أرخيتها وتوخيت النظافة ، ورتبت بيتى القـديم ، ثم عمدت إلى البيوت الأخرى فأصلحت من

شأنها ، وكنت أعمل وحدى ، وإن كنت لاأدرى لماذا جشمت نفسى هذا كله، وأحسبنى دار بخلدى أن النسوة سيعدن يوما ما .

وبعد نحو شهر ، كنت ذات يوم أقتلع الحشائش من الحديقة ، فسمعت حفيفاً بين الشجيرات ، فدرت ونظرت فإذا امرأتى مقبلة. ولم ينبس أحد منا ببنت شفة، وطوقتنى بذراعيها ، وأراحت رأسها على كتفى ، ثم شرعت تبكى بكاءً خافتاً على عادة الهنديات ، فكان لهذا وقع عميق فى نفسى ، ولكنى بقيت ناظراً أمامى ، وبعد برهة قلت : « أين بندقيتك يا بالهادى ؟ ألا تخشين أن أصنع بك سوءاً ؟ » فما أجابت بشىء سوى أن شددت علىّ فى عناقها ، فتناولت يدها ، وبقينا كذلك عشر دقائق ، وسأهمل كل ما قلناه ، ويكفى أن أقول إننا عدنا كما كنا قبل أن تحدث هذه الحوادث . وخبرتها خبر ماكوى ، فبكت عليه . وكان بكاؤها أكثر ، ولكن من الفرح ، حين أخبرتها أنى حطمت جهاز التقطير وزجاجات الخمر . وكنت قد ساءنى أن ينج لم يجىء إلىّ ولكنها قالت إنه سقيم مُشْبَت .

ثم انصرفت وحدها . وبعد ثلاث ساعات عادت ومعها النسوة والأطفال وكل ما استطعن أن يحملن ، وكنت لم أر بعض الصغار قط ، وبعضهم لم تقع عليه عينى منذ ثلاث سنوات ، وكان ابن كريستيان قد صار غلاماً حسناً ، فى الثامنة من عمره ، وأخوه فى السادسة ، ومارى الصغيرة فى الخامسة — ولدت فى نفس اليوم الذى بدأ فيه التقتيل . وكانت جملة الأطفال ثمانية عشر ، منهم اثنان لى فى أحسن صحة يتمناها المرء لهما . وقد أحزننى وألعج نفسى أن أفكر فى آبائهم الذين ماتوا ودفنوا وحرموا الاستمتاع بهم . وحيتنى النسوة تحية رقيقة ، ولم يذكرن الماضى بكلمة ، فعلمت أن هذا صنيع مايميتى — ماخلق الله خيراً منها ، شجاعة يفخر بها أى رجل ، ولا شرّ فى قلبها . ورأيت الأخريات قد تغيرن ، فإن مامرّ بهن قد أكسبهن رزانة غير مألوفة فى سنهن ، وكان بعضهن خفيفات سريعات إلى كل عبث ، ولكنهن كبرن وصرن خرائد وأمهات عاقلات .

واستقر بنا المقام بعد بضعة أيام كما كنا من قبل ، وشرح صدرى أن أرى البيوت عامرة بالنساء والأطفال ، والأفنية نظيفة والحدائق مجدّدة ، وتغير ينج ولم يعد يضحك أو يمزح كما كان يفعل قديماً ، ولكن نظرة اليأس اختفت ، فكان يجلس ويراقب الأطفال ، وينعم بمنظرهم .

وذهبت ذات صباح إلى الجانب الغربى

من الجزيرة ومعي خمسة من الأطفال الذين يحبون البحث عن البيض . فذهب كوينتال الصغير وحده وغاب شيئاً ثم أقبل من الغابة وبه فزع يعقل لسانه ، فأمسكت به فتعلق بي تعلق من لاينوى أن يدعني ، وكان ينتفض من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، وأخيراً استطعت أن أقف منه على مارأى — رجلاً ضخما هائل الأنحاء جالساً على صخرة .

فقلت له : « أنا أخبرك بما رأيت يابني . إن هناك بعض التماثيل القديمة المنحوتة من الحجر ، وهي ذميمة المنظر، وتبدو للرائي كالرجال ، ولكنه لاخوف منها » .

« لا . . لا . . ! لقد رأيته يتحرك ! »

وأصرّ على ذلك ، فأمرته أن ينتظر برهة ريثما أطرد هذا الشبح من الجزيرة ، وكنت أنوى أن أمشي قليلا ثم أعود إليه وأقول له إن الشبح قد اختفى ، ولكني لما قطعت مسافة لمحت ماصدمني — آثار أقدام عارية ، وهي في حجم قدمي ، فلم أصدق عيني ، فمشيت نحو خمسين ياردة دون أن أحدث صوتا ، ثم نحيت الأغصان ونظرت وإذا بكوينتال جالساً وظهره إليّ على الهيئة التي رآه عليها ابنه ، وكان عاريا تقريباً ، وكان إلى جانبه فرشة من الحشائش الجافة وهو يكسر البيض ويشربه ، وكانت عظام خنزير برى ملقاة في ناحية وعظام غيره مبعثرة حوله ، وكانت ريح المكان تُغثى الكلب .

ولو كان عقلي في رأسي لرجعت ، ولكني ناديته قبل أن أستطيع أن أرد نفسي ، فأدار رأسه على مهل وبصر بي ، فأورثني منظر وجهه رعدة راحت تدب في بدني علواً وسفلاً ، ولن ترى مثل هذين العينين خارج مستشفى مجانين ، وكانت له لحية عظيمة تصل إلى وسطه ، فتكلفت الهدوء وقلت : «أين خبأت نفسك ياملعون؟ لقد ظنناك وحق الله ميتاً » ، وما كدت أنطق بهذه الكلمات حتى تناول هراوة واندفع نحوي وقد أطلق صيحة ليس لها نظير في الطبيعة ، لا في الإنسان ولا في الوحوش ، فانكفأت أعدو طلباً للنجاة ، وأنا أثب وأحاوره وأداوره ، ثم علقت رجلي بشيء فوقعت وما أرى إلا أنه في أثرى ، ولكنه كان قد وقف يجيل عينيه فيما حوله متحيراً ، كأنه ليس على ثقة من أنه رأى شيئا . فلم أتحرك حتى كرّ راجعاً .

وكان ظننا أننا رأينا آخر متاعبنا وإذا بهذه تبرز لنا . وكان لا بد من إخبار النسوة فامتلأت قلوبهن فزعاً ، ورأى بعضهن أن نقتله ، ولكن أكثرهن استهولن أن نقتل رجلا مختبلاً في غير ذنب . وصرت كل يوم بعد ذلك أصعد في الربوة ومعي بندقية ومنظار فأراه في معظم الأحيان ،

ولكنى لم أره يوماً، فلما عدت وجدت النسوة جزعات. ذلك أن كوينتال كان قد اندفع خارجاً من الغابة يطلب سارة إمرأته، فبلغ من ذعر المسكينة أن خرجت على وجهها فارّة من البيت لا إليه، ثم أدركت أنها أوقعت نفسها فى مثل الفخ، وكان الطريق الوحيد الباقى لها، هو المؤدى إلى الربوة، وهو على أثرها، فارتقت فيه إلى القمة ثم ألقت بنفسها من فوقها مؤثرة ذلك على أن يدركها.

وكان الظلام قد دخل، ومضت ساعة لم يفطن فى خلالها أحد إلى غياب امرأة أخرى هى سوزانا، فبحثت عنها ولكنا كنا لا نستطيع شيئاً قبل أن يطلع الفجر، فلما طلع خرجت أنا وينج وإن كان غير معافى. وكان مع كل منا بندقية، وكنت أحمل فأساً أيضاً، وكنا ندرك أن علينا أن نقتل كوينتال، وفى وسعك أن تتصور شعورنا. وانحدرنا إلى الوادى الغربى لأننا ظننا أنه سيعود إلى مكانه القديم، فلما دنونا منه، زحفت على يدى ورجلى لأنفض المكان، فرأيت سوزانا منطرحة وليس على بدنها خرقة، وقد قيدت رجلاها ويداها بشرائط طويلة من لحاء الشجر. فاستوثقت أولا من أن كوينتال غير موجود، ثم فككت قيدها فى خمس ثوان، وكانت فى حالة يرثى لها، وجلدها كله خدوش وجروح، ولكنى حمدت الله على أنها ما زالت على قيد الحياة، وهمست فى أذنها: « أين هو » فأشارت إلى الجانب الأقصى، فوجدته نائماً وراء بعض الشجيرات فرفعت بندقيتى ولكنى لم أستطع أن أشد الزناد، فقد كنت أفكر فى كوينتال القديم الذى عرفته على السفينة بونتى. ثم تذكرت النساء والأطفال وسارة التى ماتت، فعلمت أن لامعدى لى عن المضى فيما جئت له، فالتقطت بعض الحصى ورميته عليه، فوثب إلى قدميه وتناول هراوته، فلما أقبل علىّ شددت الزناد ولكن البندقية خانتنى، وكان الوقت أضيق من أن يسمح لى بأكثر من التنحى عن طريقه وتناول الفأس، واتقيت الضربة التى سددها إلىّ، ثم أهويت بالفأس يا سيدى على أم رأسه، بكل ما أملك من قوة، فكانت ميتته سريعة رحيمة، فقد خر صريعاً على الفور دون أن يتوجع.

والآن ياسيدى قد بلغت آخر أيام البأساء، فمنذ ذلك اليوم عشنا فى سلام، وسنظل كذلك بعون الله. نعم، جاء السلام، ولكن قلبى ظل زمناً طويلا خالياً من سكينته، فقد كان وجه كوينتال يطالعنى فى الليل والنهار حتى كدت أفقد صوابى، وعرف ينج مابى، وكان الفضل له وللأطفال فى اجتيازى تلك المحنة.

ومامن كلام يفي ببيان نعمةهؤلاءالأطفال، فقد وهبونا حياة جديدة . وكان هناك ٢١ طفلا فى ذلك الوقت ما بين وليد جديد وغلام فى التاسعة من العمر ، فشفوا قلوبنا وأسوا جراحها ، وجعلوا هـذه الجزيرة الصغيرة فى النهاية جنة على الأرض .

والآن أخبرك بأعظم ماأصبت من نعمة وخيرفى سنى حياتى كلها، وإن كنت لمأفطن إلى هذا فى حينه . ذلكأنى وجدتينج ذات مساء جالساً إلى مائدته يكتب فى سجل للسفينة بونتى ، وكثيراً ما رأيته يفعلذلك .

فسألته : « ما هـذا الذى تكتبه بهذه الكثرة ؟ أهى يوميات تدوّنها ؟ »

« نعم . تسجيل للمواليد وما أشبهها . ولكن هذا ليس كل شىء » .

فقد كان يدوّن كل مايتذكره من الكتب ، وكان قارئاً نهماً ، وقلّ مانسيه ، وقد قرأ لى قطعة من قصة تسمى « سير الحاجّ » كما دوّنها ، فاستولت على نفسى أتم استيلاء . ولا تنس يا سيدى أنى لست إلا بحاراً جاهلا ولاعلم لى بلذة القراءة أكثر من علم الخنازير هنا .

وقال: «ألم تتعلمقط الكتابة والقراءة ؟»

قلت : « تعلمت قليلا ، ولكنه ذهب كله الآن »

قال : «مارأيك فيأن تستأنف التعليم ؟ إن لك لاستعداداً ، وهـذا بيّن »

فسرنى هـذا أعظم السرور لأنى كنت فى حاجة شديدة إلى صرف ذهنى عن كوينتال ، وكان السير بطيئاً فى البداية ولكنه كان صبوراً طويل البال حتى لكان يسعه أن يعلم دمية من حجر . وأخذ يقرأ لى من توراته ، وكنت قد سمعت منها فقرات أيامَ أنا صبى طائش ، ولم أوجه إليها عقلى . فالآن بدأت أرهف سمعى لذلك ، وكان فى كل مساء يتلو علىّ بعض الآيات ، فأديرعليها تفكيرى إلى المرة التالية ، وظللنا فى هـذا نحو تسعة شهور فتعلمت القراءة ببطء ولكن باطراد ، ثم ساءت صحة ينج مرة أخرى ، ولم يستطع أن يسترد قوّته ، وتفاقمت علة الربو ، ولو أنه كان اتفق لك يا سيدى أن تراقب إنسانا يغرق وأنت عاجز عن نجدته ، لأمكنك أن تتصور الحال . فقد كانت تشتد عليه وطأة المرض فيكافح لتخليص أنفاسه فأتوجع له ، وهو يزداد ضعفاً . واستمرت الحال على هذا المنوال ثلاثة شهور ، وجاء يوم أقعدناه مستنداً إلى الوسائد ، فرأيت من نظرته أنه يعلم أنه فى سياق الموت ، وبعد لحظة التفت إلىّ ، وقال : « إنك يا ألكس الوحيد الذى أبقاه الله لتنشئة الأطفال ،

وإنها لأمانة كبرى، وأنا واثق أنك ستكون مخلصاً فى حملها . ولشد ما كنت أود أن أبقى معك ياصاحبى » .

وتوفى فى تلك الليلة ، ودفناه فى اليوم التالى ، والألفاظ عاجزة عن وصف شعورنا بفقده ، وقد كنت أحبه كأنه شقيق وإن كان أرفع منى شأنا .

وتالله ما كان أحلك الأيام التالية وأعظم وحشتها ! فما بقى سواى من جميع الذين خرجوا من السفينة بونتى التى أبحرت من إنجلترا ، وفكرت فى تمردنا وفيما كان لى فيه من نصيب — وكيف عاونت على وضع الكبتن بلاى و ١٨ رجلا معه فى زورق صغير فى قلب المحيط ، وكنت أرى الزورق بعين الخيال ، والذين فيه . وقد ماتوا ظمأ أوجوعاً ، أوأعملهم والمتوحشون يفتكون بهم . ولو أن إنسانا ياسيدى شعر بأنه ضائع فى هذه الدنيا ، لما كان هذا الإنسان إلا ألكس سميث . وكنت قد أهملت دروس القراءة لما كان ينج فى مرضه الأخير ، ولكنى بعد قليل عدت إلى التوراة ، واصلاً ما انقطع عندما كف ينج عن تعليمى ، ولو كنت على شىء من العلم لأخذت فى درس العهد الجديد على الفور ، ولكنى جعلت أدرج كالحشرة فى الظلام ، فى بطء وصبر ، وواظبت على هذا ثلاثة أعوام ، وكانت هناك أجزاء معقدة عويصة علىّ ، ولكن غيرها مثل المزامير والأمثال ، لم أزل أعالجه حتى حفظته عن ظهر قلب . وقد سمعت بأناس اهتدوا فجأة إلى الله ، ولم يكن الأمر كذلك معى ، فقد اهتديت شيئاً فشيئاً ، ولما بلغت حياة المسيح تفتح قلبى كما ينفتح مصراعا الباب . وسأكتفى بهذا ياسيدى ، ولكنى أقول إنى أوتيت سلاماً لم يزايلنى إلى الآن .

ولكنى كنت قلقاً على الأطفال ، ومن أدرانى أن دماء آبائهم التى تجرى فى عروقهم لن تدفعهم إلى مثل سيرتنا القديمة ؟ وكلما طال تفكيرى فى هذا زاد اقتناعى بأنه يجب أن لا يظلوا جاهلين كلمة الله ، ولجت بى الرغبة فى أن آخذ بأيديهم ، وقد يدهشك أن بحاراً جاهلا يستطيع ذلك ، ولكن بمعونة الله علمتهم على نحو أدهشنى أنا نفسى . وبدأت بأمهاتهم ، فقصصت عليهن قصة التوراة ، وكانت القصة هى التى عنين بها فى البداية ، ولكنهن سرعان ما تبين أن وراءها ما هو أكبر ، وكان من دواعى الاغتباط لى أن أعلم الأمهات ، فإذا كان هذا كذلك ، فما ظنك بلذة تعليم الأطفال ؟ وبلغ من لهفتهم على التعليم أنهم كانوا يؤمنون ولا يساورهم أدنى شك، وقد

حملني هذا على التمهل والعناية والتدقيق ، فقد خفت أن أعلمهم غير الصواب المحض ، ولم أقل شيئاً عن الخطيئة ، لأنهم كانوا لا يعرفون ماهى ، وعلمتهم أن يحب بعضهم بعضاً ، وأن يقولوا الحق ويفعلوه ، وأن يوقروا أمهاتهم وأن يعاملوا الناس كما يحبون أن يعاملوا .

وكان هذا كله باللغة الهندية التى كنت أتكلمها كما يتكلمونها تقريباً ، ولكنى وأنا ماض فى عملى ، كنت أفكر فى السنين التى ستجىء بعد أن أذهب ، فأدركت أن علىّ واجباً آخر ، ولعلك تعلم أن لغتهم لغة كلام ليس إلا ، فأخلق بهم إذا اقتصروا عليها أن لا يستطيعوا قراءة شىء . وهكذا رأيت أن علىّ أن أعلمهم كتابة الهجاء ، ولم أسترح إلا بعد أن أوجدت مدرسة ، وكان القليل الذى يعرفونه من الإنجليزية عوناً لى ، وكانوا أذكياء سريعى التلقف ، ولكنى كنت أحياناً أهم بأن أنفض يدى من هذا الأمر ، غير أنهم بعد أن تعلموا المبادىء ، مضوا سراعاً ، ولن أنسى زهوهم حين استطاعوا أن يقرأوا قليلا ، وأن يكتب بعضهم إلى بعض رسائل وجيزة . وكان هناك مكتب للكبتن بلاى وفيه أوراق وحبر وأقلام ، فضننت بهذه الأوراق كأنما كانت رقائق من ذهب . ولما نفد الحبر ، صنعت حبراً من رماد الجوز ، أما الأقلام فكانت متوفرة ، لكثرة الطيور فى الجزيرة ، ولما نفد الورق صنعت اردوازات من ألواح الصخور .

وكان الأمهات ينظرن إلى المدرسة كأنها أعجوبة الدنيا . والحق ياسيدى أنك إذا فكرت فى الأمر لم يسعك إلا أن تقول إنه قل مايعادل سحر الكتابة ، وماأدرى كيف وصل الناس إلى العلم بها فى البداية !

والآن شارفت قصتى ختامها ، وفى وسعى أن أمضى فى الكلام ليلة أخرى ، أو سبع ليال وأحدثك عن الأعوام الأخيرة ، ولكنى لا أحب أن أمتحن صبرك ، وفى مقدورك أن تعرف بغير تعريف . فقد سارت حياتنا سيراً هادئاً كأنها يوم من أيام الصيف دون أن يقع شىء من النزاع منذ قتل كوينتال ، وعاشت الأمهات وعشت معهن للأطفال وإنهن لأمهات طيبات على الرغم من أنهن كن كافرات وثنيات من قبل ، ومازلن كذلك من بعض الوجوه ، على أن بعض الكفار مما يمكن أن ننتفع بدرسه .

نعم ، حياة هادئة طيبة تلك التى أتيحت لنا فى السنوات التسع الأخيرة ، وإنى لكبير الشك فى أن تكون هناك فى أى مكان آخر أسرة إنسانية تعيش معاً وبينها من التراحم والتواصل فوق ما بين أسرتنا . ذلك أن فى حياتنا سلاماً وفى قلوبنا سلاماً ، وقد صارت جزيرة بتكيرن الآن وطننا

جميعاً . وهذه جملة الحال فى ألفاظ قليلة .

* * *

بعد زيارة السفينة « ثوباز » ببضع سنوات ، ظهرت سفينة بريطانية عند جزيرة بتكيرن ونزل ربانها إلى البر لينظر ، فلم يحاول سميث أن يختبىء . وقال : « إنى آخر ثوار السفينة بونتى ، وأنا مستعد أن أعود معك لأحاكم ، فإن العمل الذى بدأت فيه هنا سيستمر بدونى » . ولكن الربان البريطانى هز رأسه وقال : « لا أعرف شيئاً عن السفينة بونتى ، ولم أر أحداً له علاقة بالفتنة ، ولست أفهم فى أى شىء تتكلم . وهؤلاء الأطفال يحتاجون إليك » ، وصافح سميث وانصرف .

[نبذة من « جزيرة إيستر » لمؤلفها روبرت ج . كايسى]

ولادة تمثال

فرغ رودان المثّال الفرنسى من صنع تمثال فخم للشاعر ڤيكتور هوجو ، وقد مثّله فيه واقفاً على هامة صخرة ، وحوله ربّات الفنون وعرائس البحار . وفى صباح أحد الأيام جاء المثّال بجماعة من الصحفيين إلى داره ليروا التمثال ويتأملوه قبل أن ينقشه على الرخام أو يصبّه فى البرونز . وكان لسوء حظه قد ترك النافذة مفتوحة فى الليلة السابقة ، وثارت عاصفة هوجاء دفعت المطر الغزير منها ، فتحول طين التمثال كتلة من الصلصال لا قوام لها ، وهوى مثال الشاعر فى وهدة من الوحل .

وفتح رودان الباب ، ودعا زوّاره ليتقدموه إلى الحجرة ، وإذا هو يرى الكارثة التى نزلت بتمثاله ، فكاد ينتف لحيته نتفاً من الغيظ والحنق ، ولكن أصوات الصحفيين ارتفعت بالإطراء العظيم .

« مدهش ! آية ! هذا فكتور هوجو ينهض متسامياً فوق الخبث والفساد . ماأعظمه من رمز ! ياأستاذ هذه آية من آيات العبقرية . لقد حاولت أن تمثل فساد عصر لم يبق فيه شىء من النبل والطهر سوى صوت الشاعر . ما أروع مافعلت ! »

فسألهم رودان متخاذلاً : « أهذا رأيكم ؟ »

فقالوا جميعاً : « طبعاً ، هذه آية الآيات » .

[أناتول فرانس]

نهج للحياة

« كلٌّ مُقتَصِر عليه كافٍ ... مَن صارع الحق صرعه ... الغِيبة جهد العاجز ... الخلاف يهدم الرأى ... الطامع فى وثاق الذل ... مَن لان عوده كثفت أغصانه » .

[على بن أبى طالب]

ما أكثر كلامنا عن العقل والمعرفة ، ولكن ماقيمتهما ؟ إن القلب لايسعه أن يحيا بهما . وإنَّ المرءَ لينزل عن كل معرفته فى سبيل قبلة واحدة ، وينزل عن كل عقله فى سبيل لمسة رفيقة واحدة — واحدة !

[الكاتبة : أوليف شرايٍنر]

يقول المتفائل : إن كأسى ملأى إلى نصفها .

أما المتشائم فيقول : إن كأسى فارغة إلى نصفها .

[صحيفة « پوست دسپاتش »]

امتحن معارفك الصحية

[الأجوبة الصحيحة]

١ : الحماق الجديرى ٢ : إسهال الأطفال

٣ : اكتشاف السير ألكسندر فلمنج

٤ : السرطان ٥ : كلها يمكن توقيها

٦ : السرطان ٧ : نقص ڤيتامين د

٨ : الحمى الروماتزمية ٩ : مخالطة المصابين من البشر ١٠ : حمى التيفود وحمى التيفوس والجدرى .

١١ : لويس باستور ، الوقاية من الكلب .
بيلا شيك ، اختبار مناعة الدفتريا .
مدام كورى ، اكتشاف الراديوم .
وليم رونتجن ، اكتشاف الأشعة السينية .

١٢ : حق ١٣ : باطل (يصنع الجسم ڤيتامين د ، إذا تعرض لضوء الشمس) ١٤ : باطل (يوجد فى كل أرض ملوثة بروث البهائم) ١٥ : باطل (عاج الأسنان أصلب) ١٦ : حق ١٧ : باطل (فقد تبلى الأسنان من نقص بعض عناصر الطعام) ١٨ : باطل (عدد المصابين به من الرجال أكثر من عشرة أضعاف المصابين به من النساء) ١٩ : باطل (ولكن الأطفال أشد قبولا للإصابة به) .

طريق إلى فهم الاتحاد السوفيتي



تأليف

وليم س . بوليت

سفير الولايات المتحدة سابقاً في الاتحاد السوفيتي
فسفيرها في فرنسا ، فمندوبها الخاص في الشرق الأوسط

إن منع الحرب يقتضى كل مفكر أن يحاول فهم الاتحاد السوفيتى ، وهذا الكتاب يختلف عن سائر الكتب التى تعالج المشاكل الدولية ، فى حسن بيانه ودقة اختصاره . وهو يستغرق شوق قارئه و يفيده معرفة واسعة ورأياً نافعاً . ولا ريب فى أنه سيصير مدار حديث النـاس . والصفحات التالية هى مختصر الفصل الثانى منه :

مملكة فنيحة الأركان

قال روزفلت يوم ١٠ فبراير ١٩٤٠ « كل من تواتيه الشجاعة على مواجهة الحقائق يعلم أن الاتحاد السوفيتى تديره ديكتـاتورية لا تقل جبروتاً عن أية ديكتاتورية أخرى فى العالم » . ثم لم يكد ينقضى عام واحـد حتى كان هتلر قد غزا أوربا وانقلب يهاجم الاتحـاد السوفيتى ، وقضت مصلحة أمريكا أن تُعان روسيا على مقاتلة غزاتها الألمان ، فوصلها المدد . وكان روزفلت يأمل بهذا التكاتف مع الاتحاد السوفيتى أن يتفقا على تسوية مؤقتة يكون من شأنها تدعيم سلم مُوطَّد الأكناف .

وبعد مؤتمر طهران ظل روزفلت يتحدث ساعتين إلى الصحفى فورست ديفس، فكتب فى صحيفـة ستردای إيفننج بوست يقول : « إن الخطة العامة التى وضعها روزفلت للوصول إلى عالم متمسك بأهداب السلم مطيع للقانون هى جرّ روسيا إلى أن تشارك مخلصة طيبة النفس فى التسوية التى تعقب الحرب. ومن أجل ذلك تجنب روزفلت كل ما من شأنه أن يسيء إلى الكرملين . ولبّ سياسته هو العمل على تهـدئة روع ستالين ».

وكان روزفلت يأمل تحقيق خطته بالوسائل الآتية :

١ — إمداد ستالين بكل ما يحتاج إليه فى مواصلة الحرب ، لا يبغى من ذلك جزاء .

٢ — حمل سـتالين على أن يوافق على

التصريحات الصادرة ببيان الأهداف العامة كميثاق الأطلسى .

٣ — مقابلة ستالين وجهاً لوجه، وحمله على قبول مبادىء العالم الجديد والديمقراطية .

وانتقد أناس هـذه السياسة وقالوا : « ما العمل إذا تبين ، برغم هذا التساهل ، أن ستالين لا يلين جانبه ، ولا يعدل عن إصراره على اتباع سياسته الخاصة ، صارفاً نظره عن العالم الغربى ؟ » وجواب ذلك ، كما قال فورست ديفس، هو: «إن روزفلت فاق كل رجال السياسة فى المغامرة بالكثير لنيل الكثير ، فقد راهن على أن الاتحاد السوفيتى فى حاجة إلى السلم ، وأنه يريد أن يشتريه بالتكاتف مع العالم الغربى » .

وقد خسر روزفلت رهانه ، ومات قبل أن يتبين له ذلك بدلالة مافعلته روسيا فى بولندة والمجر والنمسا ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وألمانيا وإيران ومنشوريا وكوريا ، إذ لم يتحول ستالين عن عقيدته . وقد أثبتت حوادث ١٩٤٥ بما لا يدع شكا ، أن ميثاق الأطلسى واتفاق يالتا كانا فى نظره بمثابة ثوب جميل وجده حاضراً ليتخفى فيه ، فهو يلبسه إلى أن تنقضى حاجته إلى التخفى .

لماذا يتعذّر إرضاء ستالين ؟

إن أهل الاتحاد السوفيتى يعيشون فى رقعة ذات غنى وفير لم تزدحم بالسكان ، ولم تستغل مواردها بعدُ ، ويبلغ من اتساعها أنها تشغل سدس العالم كله . ويتطلع الروس إلى مستوى أعلى فى المعيشة ، وإلى شىء من الحرية الفردية والسلم . فأما وقد نزع سلاح ألمانيا واليابان فلم يبق للدول الكبرى إلا أن تصادق الاتحاد السوفيتى . وهذا وضع يحمل أية حكومة ديمقراطية على أن لا تفكر إلا فى السلم. فلماذا إذن لا تنطفىء شهوة حكومة السوفيت فى التوسع ؟

ونجد جواب هـذا فى التيارات القوية التى تدفع السوفيت إلى الاستعمار ، وبعضها دفين فى أعماق تاريخ روسيا ، وبعضها متصل الأسباب بالمذهب الشيوعى . فالاتحاد السوفيتى لا نظير له بين الدول الكبرى ، فهو ليس دولة فحسب ، بل هو أيضاً مركز قيادة لعقيدة دولية . ومن المهم أن نفهم حقيقة هذه الدولة ، وأهم من ذلك أيضاً أن نفهم حقيقة العقيدة الشيوعية ، إذ أنها هى التى تملى على الاتحاد السوفيتى سياسته الخارجية . فلنبدأ إذن بتتبع نمو روسيا تحت حكم القياصرة .

روسيا ترث الشكوك والريب

عرف التاريخ الروس أول ما عرفهم سكاناً فى مراعى أوكرانيا والغابات الممتدة حول نجود نوفجورود وموسكو ، فى أرض

لا تحمها حدود طبيعية ، بل هى رقعة لا بيّنة التخوم ولا منيعة الجانب ، واقعة فى هـذا السهل العظيم الممتد من منغوليا إلى بوردو .

ومنذ فجر التاريخ شهد هـذا السهل الخصب المترامى بين آسية وأوربة هجرة قبيلة إثر قبيلة من الهمج الرحّل نحو الغرب ، يعبرون الأودية المنخفضة بين جبال الأورال. ولعل الروس أنفسهم قد وصلوا بهذا الطريق ذاته إلى الأرض التى استقروا فيها، ولم يجدوا فيها ما يحميهم من جموع الهمج التى تتابعت فى إثرهم ، وقاسوا أيضاً عداوة جيرانهم فى الشمال والجنوب والغرب ، وغزيت أرضهم مراراً . فتاريخهم سلسلة من الحروب ، والمجاعات والتعذيب ، وهتك الأعراض ، والتقتيل والرق ، فعلمتهم هـذه التجارب القاسية أن ينظروا إلى الغريب نظرتك إلى من يريد أن يقتلك ويسلبك أرضك . فلا جرم أن أصبحوا من جراء هذه الأهوال أكثر الناس ريبة . فلم يكن لهم بد من ممارسة فن الخداع وفن الحرب ، وأصبح من غرائزهم أن يعاملوا الغريب بوجه يبدى الصداقة ، والقلب باق على الحذر والتكتّم .

والروس من أشد أهل أوربة بأساً ، ولولا هذا لما عاشوا ، وقد خرجوا من محنهم القاسية دون أن يمسّ ما ورثوه من القوة والبأس ، فهم أقوياء الأجسام والعقول والأرواح . والمرأة الروسية أكثر تحملا للجهد من الرجل ، وهى منذ كانت تقوم بأعمال أشق من عمل زوجها ، وتلد له أيضاً ، ولا تزال على ذلك إلى اليوم . ولقد غلب العـدو الروس مراراً فى القتال ، ولكن هيهات أن يفوقهم فى كثرة النسل .

سبعة قرون تحت حكم الطغاة

ولقد ظل الروس طوال تاريخهم تحت حكم الطغاة ، فما عرفوا قط معنى الحياة فى ظل الحرية المنظمة . وكانت روسيا إبان حكم آخر القياصرة نيقولا الثانى ، تبدو فى عين الأمريكى والإنجليزى بلداً يجثم عليه استبداد لا يطاق ، ولكن الروس كانوا يومئـذ ينعمون بنصيب من الحرية يزيد عما ألفوه .

وقد ثبّت دعائم الحكم الغاشم فى روسيا أنها وقعت فى سنة ١٢٤٠ فى يد باتو حفيد جنكيز خان مؤسس الإمبراطورية المغولية ، فعاش الروس قرنين تحت حكم المغول ، وأجبر من بقى حياً من أمراء الروس على الاعتراف بخضوعهم (للخان) زعيم المغول . ويقول المؤرخ فرنادسكى :

« وقد تجلى أثر المغول فى نواحٍ كثيرة من أنظمة الحكومة والمجتمع فى روسيا ، إذ أن الدولة المغولية كانت تقوم على مبدأ

خضوع الفرد خضوعاً مطلقاً لحكم قبيلته ، ويفضى هذا إلى خضوعه للدولة . وقد رسخ هذا المبدأ على الزمن رسوخاً تاماً فى أذهان الشعب الروسى ، وكان من نتائجه فرض التجنيد الإجبارى على جميع طبقات الشعب . وإذا نظرنا إلى المبادىء المغولية نظرة شاملة وجدناها ضرباً من الدولة الاشتراكية .

« وجاء المغول برأى جديد فى سلطة الأمير ، إذ قالوا إنها تستند إلى قوته التى لاترحم ، فهى سلطة فردية مطلقة ، وينبغى الخضوع لها خضوعاً أعمى . فلما انقضى حكم المغول ورث خلفاؤهم هذا الرأى » .

ولم يقتصر تأثير المغول على أنظمة الحكم فى روسيا بل تعداها إلى الدين أيضاً ، فقد حمل الدوق فلادمير ، صاحب مدينة كييف رعاة الوثنيين على التنصر فى سنة ٩٨٨ . ومن يومئذ أصبح الروس أكثر الشعوب المسيحية تديناً . وسرعان ماعرف حكامهم كيف يستغلون تدينهم لأغراضهم السياسية ، فلما استولى الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وحطموا الدولة الرومانية الشرقية ، بدأ إيفان الثالث ، دوق موسكو ينشر فكرة خلافته لقسطنطين ، وأنه أصبح الحامى الوحيد للكنيسة الأرثوذكسية ، وأن موسكو هى رومة الثالثة . واستكمالا لمظاهر هذه الخلافة ، تزوج إيفان إحدى قريبات آخر الأباطرة البيزنطيين . ومن هنا نشأت عقيدتهم بأن موسكو هى مبعث النور والمدد لهداية الناس إلى الفضيلة . وما أسهل أن يقتنع الشعب بأنه أرقى من بقية الشعوب ، وأنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . وأصبح الروس المتدينون يؤمنون بأن الله قد اختارهم لإنقاذ العالم . وصار خلاص العالم على أيديهم مثلاً أعلى لايبرح أذهانهم منذ استولى الترك على القسطنطينية . وقد استعان القياصرة بهذا الاعتقاد لشن الحروب ، لا على المسلمين فحسب ، بل على سائر الأمم المسيحية أيضاً . والشيوعيون ينهجون هذا المنهج ، مع عداوتهم للدين ، بغية تأييد عُدْوانهم .

البوليس السرى من تقاليد القياصرة

وهكذا أنشأ الحكم المغولى عادتين روسيتين لاتزالان إلى اليوم من العوامل القوية الحاسمة فى روسيا السوفيتية .

١ — أنه من المألوف أن يعيش المرء فى ظل ديكتاتورية ودولة مطلقة السلطان .

٢ — أنه كتب على موسكو أن تحكم العالم وتنقذه .

وقد استحدث إيفان المخيف (الذى حكم من ١٥٤٧ إلى ١٥٨٤) فكرة جديدة فى الحياة الروسية تمثلت فى إنشاء هيئة

منقطعة النظير لا تزال قائمة إلى اليوم ، ألا وهى هيئة البوليس السياسى السرى ، تتبع الخائنين له وتعاقبهم بأشد قسوة وحشية .

وكان إيفان المخيف عظيم الهمة وافر القوة يلذ له التعذيب (وقدقتل ابنه بيده) ، فكرهه النبلاء ، فقرر إيفان تصفيتهم ، وعهد بهذه المهمة إلى بوليسه السرى، وأطلق يده فى قتل من يشاء من النبلاء ، وهتك أعراض زوجاتهم ومصادرة أملاكهم . فلما لم يبق منهم قدر كاف للتقتيل ، صرفوا بخثهم إلى ضحايا أخر . فحدث مرة أن ذبحوا أغلب سكان نوفجورود . ولقد شهد الميدان الأحمر فى موسكو ، بأمر من إيفان المخيف ، مصرع مئات ممن وقع عليهم غضبه، حيث كان يلقى أحدهم حياً فى ماء يغلى أو يشوى على النار حتى يكونوا عبرة لسائر رعاياه . حدث هذا يوم كان شكسبير حياً ، والملكة إليزابيت جالسة على عرش إنجلترا ، ووثيقة الماجنا كرتا (التى لا تجيز القبض على إنسان إلا بحكم) نافذة المفعول منذ ٣٥٠ سنة . فهذا هو مقدار تأخر الروس فى الزمن عن أساليب المدنية الغربية .

وهذه الهيئة السرية التى أنشأها إيفان ، وسماها « أوبريكينا » باقية إلى اليوم فى روسيا . حقاً لقد تغير اسمها فى زمن آخر القياصرة وأصبحت تدعى (أوخرانا) ولكن أصل طبيعتها لم يتغير . ثم رفعت الحكومة السوفيتية سلطة البوليس السرى إلى منزلة جديرة بحاكم أشد قسوة من إيفان المخيف . وكانت تعرف إبان حكم لينين وستالين باسم (تشيكا) ثم باسم(أوجيبو) وهى تسمى اليوم (نيكفيدا) وقد ارتفعت بالتجسس إلى مقام الفنون الجميلة ، وتولت ذبح آلاف مؤلفة من الرجال والنساء والأطفال ، ومكنت للذعر فى قلوب الروس. (وقد قلدها هتلر وأنشأ على غرارها الجستابو الذى يتصل نسبه بالأوبريكينا) .

وقد ظل الروس قروناً عديدة يعدّون إيفان المخيف هو المثل الحىّ للشر ، ولكن ما كاد ستالين يفرغ من تصفيات (١٩٣٦ــ ١٩٣٨) حتى بدأ مؤرخوه المطيعون يصورون إيفان فى صورة البطل ، فترى الصبيان يلقنون اليوم فى دروسهم أنه كان قائداً نبيلا للشعب الروسى .

وفرق إيفان ما يملكه ضحاياه من أرض ومدن وقرى على «الأوبريكينا» ، وأنشأ له بلاطاً جديداً من هؤلاء السفاحين البارعين، وسمى نفسه قيصراً تشبهاً بقياصرة الرومان ، واصطفى لنفسه حاشية غريبة الأطوار ، إذ جعلها على غرار الرهبان ، فكان رجال الأوبريكينا يرتدون المسوح السود ، ويخلطون بين أعنف نزوات الفحش وبين

التعبد والصلاة . وقد رأت الأوبريكينا أن أرضهم تغل لهم ربحاً أوفر لو هم حرموا على فلاحيها أن ينتقلوا إلى غيرها . وكانت حرية الفلاحين قد حدّ منها كثيراً ولكن إيفان أصدر فى سنة ١٥٨١ أمراً بأن يبقى الفلاحون وأسرهم إلى الأبد فى الأرض التى يزرعونها . وهكذا فرض الرقّ على الفلاحين . ويختلف الرق فى روسيا عن مثيله بين الزنوج ، إذ يسترق الفلاحين للأرض لا لملاكها ، فهم لايباعون إلا مع الأرض . وأصبح معظم الروس رقيقاً ، فالفلاحون هم سواد الشعب ، ولم يتحرروا من هذا الرق إلا فى ١٨٦١ . وهكذا عاش الشعب الروسى ٢٨٠ سنة فى حال كحال رقيق الزنوج فى أمريكا ، بل لعلها شرّ وأشنع .

وإيفان المخيف هو أول من عهد إلى رعاياه فى مملكة موسكو الصغيرة ، أن يخرجوا إلى الغزو ، فأتاح لهم أن يحكموا من كرة الأرض سدسها ، وانتزع فى ١٥٥٢ مدينة قازان من يد حكامها التتر ، واستولى فى ١٥٥٤ على أستراخان . وهكذا بدأت أمواج من الروس تغمر السهول المديدة التى اجتاحها المغول من قبل فى غزواتهم إلى أوربة . وقد خضع لحكمهم فى القرون الأربعة الماضية ١٦٨ شعباً وقبيلة . وهذه الكتب المدرسية الصادرة فى الاتحاد السوفيتى فى ١٩٣٥ مكتوبة بنحو ١٦٥ لغة ولهجة .

وقد بسط الروس حكمهم على سيبيريا والشعوب الإسلامية التى يغصّ بها الجانب الشرقى الجنوبى من روسيا ، وعلى القرم والقوقاز وأواسط آسية ، وقد تم هذا الغزو ببطء وبعد وقت طويل ، ولكن الروس ثابروا عليه ، وأخيراً ثبت الروس دعائم حكمهم فى الشواطىء الشمالية للمحيط الهادى .

مشروعات السنوات الخمس فى عهد القيصر

وحاول الروس أن يتجهوا شطر المحيط الأطلسى ، فصادفوا معارضة أشد بأساً مما لقوه من قبل ، إذ صدمتهم طلائع المدنية الغربية ، وهى تفوق مدنيتهم فى كافة مظاهر الحياة ، فلم يتقدموا كثيراً لما هم عليه من التأخر . وأراد بطرس الأكبر (الذى حكم من ١٦٨٢ إلى ١٧٢٥) أن يقضى على هذا التأخر ، فزار أوربة ودرس فنونها الصناعية .

كان رجلا شديد الصرامة يتأجج نشاطاً وذكاء ، وقد قرّ عزمه على أن يقتبس الأساليب الأوربية ، مهما كلفته من ثمن ، لتنظيم اقتصاديات بلاده ، لكى يزيد قدرتها على القتال ، ولكنه — كما يقول المؤرخ الروسى الكبير كليوشفسكى :

« لجأ إلى القسوة المفزعة لتنفيذ أغراضه النافعة ، فكان إصلاحه صراعاً مرّاً

بين الطغيان وبين الشعب وهممه الفاترة . وكان بطرس يأمل بالتهديد بسلطانه الواسع أن يوقظ روح الابتكار فى شعب غريق فى الرق ، كما أراد أن يستعين على نشر التعليم بالنبلاء أصحاب الرقيق، إذ كان شرطاً لازماً لانبعاث روح الابتكار فى الشعب . وأراد أن يعمل الرقيق ، وإن ظل رقيقاً ، عمل الأحرار ذوى الإرادة . فهذا التفاعل بين الاستبداد والحرية وبين التعليم والرق، هو المشكلة السياسية التى ظللنا قرنين، منذ حكم بطرس، نحاول أن نجد لها حلا، وهى لا تزال إلى اليوم باقية بغير حل » .

ولا يزال ستالين يحاول أن يجد لها حلا، فإن مشروعات السنوات الخمس التى وضعها متصلة النسب بمشروعات بطرس. وقد فرضها بطرس — كما يفعل ستالين — على شعبه المتقاعس بالقوة بل بالقتل .

وحاول بطرس أن يفتح لبلاده نافذة تطل منها على أوربة ، فنقل عاصمته من موسكو إلى المستنقعات المحيطة بنهر نيڤا ، وعلى أكمة هناك بنى مدينة سان بطرسبرج وهى تسمى اليوم لنينجراد . ودفعه حرصه على هذه النافذة المطلة على أوربة ورغبته فى توسيعها ، إلى محاربة السويد ، فهزمهم فى سنة ١٧٢١ واستولى على إستونيا وليفونيا وبعض أجزاء كاريليا وفنلندة .

فلما هب بطريق موسكو الزعيم الروحى للكنيسة الأرثوذكسية يعارض إصلاحات بطرس ألغى بطرس منصب البطريق وجعل مكانه هيئة حكومية تسمى «المجمع المقدس» . وهكذا تم لبطرس الأكبر إخضاع الكنيسة لسلطانه ، كما فعل ستالين من بعده ، إذ جعلها خاضعة للسوفيت ، حينما أنشأ فى الحكومة السوفيتية لجنة تختص بشئون الكنيسة الأرثوذكسية ، ورئيسها أشبه بوزير الدين .

وسار خلفاء بطرس على خطته فى محاولته تدعيم استبداده وتقوية جيوشه باقتباس ما تعرفه أوربة من العلوم والأساليب الصناعية. فإذا نظرنا إلى بلاط الإمبراطورة كترينا (التى حكمت من ١٧٦٢ إلى ١٧٩٦)، وجدت فيه مظاهر الحياة الأوربية، ولكن الفلاح الروسى ظل وراء هذه المظاهر يعيش فى وهدة الأقذار والبؤس والرق .

وتاقت كترينا إلى المجد الحربى، فتكتمت أمر خطة وضعتها للغزو، وكان أول غرضها أن تستولى على شواطىء البحر الأسود والبلقان والقسطنطينية ، فهاجمت تركيا وانتزعت منها مساحات واسعة ، ولكنها لم تفلح فى فتح القسطنطينية . أما غرضها الثانى فكان بولندة .

وأرادت كترينا أن تتفادى الحرب بينها

وبين بروسيا والنمسا فأشركتهما فى جريمتها، واقتسمت الدول الثلاث بولندة لأول مرة فى ١٧٧٢، ثم فى ١٧٩٣، وأخيراً فى ١٧٩٥، بعد أن حارب البولنديون من جميع الطبقات ببسالة دفاعاً عن حريتهم، ولكن اسم بولندة محى من خريطة أوربة.

واستولت روسيا على أكبر جزء من بولندة، ولكنها وجدت نفسها تزدرد لقمة عسيرة الهضم، إذ أصبح كل بولندى يدين بما جاء فى نشيدهم القومى: « لن تموت بولندة ما دمنا أحياء »، ومن العسير أن يحكم رجال ذاقوا أقل قسط من الحرية بوسائل العنف والاستبداد التى ابتدعها رؤساء المغول. فاضطر الإسكندر الأول حفيد كترينا إلى بحث مطالبة البولنديين بدستور لهم، فوضع لهم فى ١٨١٥ دستوراً يجمع بين روسيا وبولندة تحت حكم القيصر نفسه، ولكنه منح بولندة كياناً سياسياً منفصلا له مجلس نواب وصحافة حرة وعلم وطنى مستقل.

وامتعض رعايا القيصر حين رأوه يمنح البولنديين المغلوبين حقوقاً أنكرها على الروس الفاتحين، وكان هذا ولا ريب تناقضاً عجيباً، فبدأ الروس يطالبون بحقوق مثلها. ولما شبت نيران الثورة فى بولندة سنة ١٨٣٢ قضى النبلاء الروس على هذا التناقض بأسلوب ينم عن طبعهم، إذ قرروا إلغاء دستور بولندة، بدلا من أن يمنحوا الروس مثل ما للبولنديين من حقوق، وكذلك ساروا بين الأمتين، ولكنها مساواة على الطريقة الروسية، غير أن هذا المستوى كان أحط مما ألفه البولنديون.

ووصف المؤرخ سير برنارد باريس حوادث ١٨٣٢ أصدق وصف حين قال: «سقطت بولندة فريسة فى يد الأداة الحكومية الروسية، فكأن روسيا لا تستطيع حكم بولندة إلا إذا جردتها من المدنية». واستعادت بولندة استقلالها ١٩١٨، ولكنها محيت مرة أخرى من خريطة أوربة حينما هاجمتها جيوش هتلر وستالين معاً، وتصافح الديكتاتوران الغاشمان فوق جثتها، وأبرق ستالين إلى فون روبنتروب يقول: « لقد ربط الدم بين الشعبين الروسى والألمانى برباط صداقة جديرة بالبقاء والثبات الدائم».

واليوم تحتل الجيوش الروسية بولندة، وتقيم فى وارسو حكومة كالألعوبة فى يد موسكو، ومن البلاء أن لا يجد المرء شيئاً يحمله على الاعتقاد بأنهم اليوم أكثر رغبة عما كانوا منذ ١١٤ سنة، فى منح البولنديين حقوقاً لم تمنح للروس حتى اليوم.

الدنو إلى الديمقراطية

وتجلى أول مظهر لبدء اهتمام الروس

بالديمقراطية السياسية والحرّية الفردية ، على أثر غزو نابليون أرض روسيا. فلما أوقعت الجيوش الروسية الهزيمة بنابليون ، سارت إلى باريس ، فرأى الضباط الروس فى فرنسا وألمانيا مستوى من المعيشة والثقافة والحرية والسعادة أرفع بكثير من مستواهم ، فلما عادوا إلى روسيا بدأ نفر من صغارهم فى تأليف جمعيات سرية غرضها الإصلاح السياسىّ.

ولما مات القيصر إسكندر فى ديسمبر ١٨٤٥ قام نزاع على وراثة العرش ، فانتهز المتآمرون هذه الفرصة وأشعلوا نار الثورة فى سان بطرسبرج ، ولكنه كان يسيراً على حاكم المدينة أن يخمدها ببضعة طلقات من المدافع ، وقدم للمحاكمة ١٢٠ متآمراً فأعدم خمسة منهم ، وذلك لأنه لم يكن من دأب قياصرة القرن التاسع عشر أن ينتقموا من أسر المتآمرين وأصدقائهم ، كما كان يفعل سلفهم إيفان المخيف ، أو خلفهم ستالين .

وظلت تيارات الديمقراطية التى حركها المتآمرون تعم البلاد طوال القرن التاسع عشر ، وطغت فى ١٩٠٥ كالسيل المتدفق ، وأخيراً غمرت القيصرية فى ١٩١٧ . ولقد قضت روسيا ٩٢ سنة فى فوران سياسى واقتصادى وثقافى وفنى ، وانبثق من هذه الفورة كتاب عظماء كبوشكين ودستوفسكى وترجنيف وتولستوى وشيكوف ، وموسيقيون مشهورون وارتقى الرقص المسرحى (الباليه) إلى مستوى الفنون الجميلة ، وقام العلماء الروس كمندليف وبافلوف وغيرهما بأبحاث علمية عظيمة الخطر ، وأعانت السكك الحديدية وانتشار الصناعة على تحويل روسيا عن الاقتصاد الزراعى الذى كان وزاد عدد السكان زيادة كبيرة حتى بلغ ١٧٠ مليوناً فى ١٩١٤ .

أما القياصرة فقد ظلوا وحدهم — فيما يبدو — عاجزين عن التطور ، إذ لبثوا يتشبثون بسلطان المستبدين لا ينزلون عن شىء من حقوقهم حيال ضغط القوى المطالبة بالإصلاح ، إلا بقدر ضئيل أو بعد فوات الوقت . والواقع أنهم كانوا لا ينزلون عن بعض سلطانهم إلا حين تثير هزيمتهم فى الحرب غضب رعاياهم . وتأججت نيران ٥٥٦ ثورة بين الفلاحين فى عهد القيصر نيقولا الأول (من ١٨٢٥ إلى ١٨٥٥) ، ولكنه لم يهتد إلى علاج أحسن من إقدامه على إلغاء حرية الفكر . واشتبك قبل وفاته فى حرب القرم ضد فرنسا وبريطانيا العظمى ، وخلف لوارثه إسكندر الثانى (من ١٨٥٥ إلى ١٨٨١) هزيمة منكرة . وكان إسكندر متذبذباً سليم الطوية ، فاضطره ضغط الغضب الوطنى والحركة الديمقراطية التى انبعثت من الهزيمة إلى أن يحرر الرقيق فى ١٨٦١ .

واقتبس فى ١٨٦٤ نظام المحلفين ، وكان هذا النظام معروفاً فى إنجلترا منذ ٦٥٠ سنة خلت ، ثم كانت نهايته أن قتل غيلة .

وعاد إسكندر الثالث (من ١٨٨١ إلى ١٨٩٤) إلى سياسة القمع ، واضطهد الكنائس المنشقة ، وكم الصحافة ، وطارد المطالبين بالإصلاح السياسى والثوار . ثم خلفه آخر القياصرة نيقولا الثانى ، وهو رجل واهن ضعيف كالطفل فى عجزه عن قيادة الشعب الروسى الجامح ، وقد أعلن نيقولا الثانى بعد تولية العرش : « ليعلم الناس جميعاً أننى لست أقل من أبى إصراراً على الدفاع عن مبدأ حكم الفرد » .

وأثارت هزيمة روسيا على يد اليابان فى ١٩٠٥ غضباً وطنياً أفضى هو وجميع المظالم التى يعانيها الشعب الروسى، إلى إعلان الإضراب فى كافة أرجاء البلاد فى ١٠ أكتوبر ١٩٠٥ . فاضطر نيقولا الثانى إلى التخلى عن شىء قليل من سلطته ، ومنح رعاياه فى ١٧ أكتوبر قسطاً من حقوقهم ، وبرلماناً يعرف باسم الدوما .

وعم الفرح أرجاء البلاد ، ومرت لحظة خيل فيها أن روسيا قد تصل بالتدريج إلى نظام الملكية الدستورية كما فى إنجلترا ، ولكن القيصر كان يمقت الدوما ، فعاشت روسيا بعد ذلك ١٢ سنة فى حال تقارب الثورة . ومع ذلك كانت تلك السنون هى الفترة الوحيدة التى نعم فيها الروس منذ فجر تاريخهم بقسط ضئيل من الحرية .

وألفت الحرب الأوربية الأولى بين معظم الروس فترة قصيرة تحت لواء « الاتحاد المقدس » ، واتقدت كراهية الألمان فى الصدور ، ولكن الهزائم الماحقة التى أنزلها عاهل ألمانيا بالروس أثارت سخط الشعب على حكومة القيصر ، لإهمالها الشنيع وتلوثها بالرشوة . وبدأت جيوش الجنرال بروسيلوف فى صيف ١٩١٦ تشن هجوماً موفقاً على النمساويين والألمان ، ومع ذلك كانت الجنود الروسية تبيت على الطوى ثلاثة أيام أو أربعة ، ولم يكن لديهم شىء من وسائل العلاج ، ولكنهم ثابروا على هجومهم بشجاعة فائقة وجلد . ولما انقضى هذا الهجوم فى سبتمبر ١٩١٧ كان عدد الخسائر فى جيش بروسيلوف قد بلغ مليون نسمة ، وأخذ الجرحى يتسللون إلى المؤخرة ، فأثار منظرهم حنقاً عنيفاً على القيصر الضعيف العاجز ، وعلى زوجه الواقعة فى براثن راسبوتين ، وعلى أداته الحكومية الفاسدة .

وقتل راسبوتين ، وأخذ كل من يستطيع الاتصال بالقيصر يحذره قرب وقوع الثورة ، وأخذ رجالات الدولة وسفراء حلفائه يحضونه على تبديل حكومته ، ومنح الدوما

سلطات واسعة ، ولكنه لم يستمع لهم ، بل أمر فى ١١ مارس ١٩١٧ بحـل الدوما وإطلاق الرصاص على المظاهرات التى سارت فى شوارع بتروجراد تصرخ مطالبة بالخبز .

الثورة الروسـيـة

شبت نيران الثورة فى اليوم التالى ، وفى صـباح ١٢ مارس ١٩١٧ اكتسحت بتروجراد جموع المتظاهرين الهائجة الجائعة. وبعد ثلاثة أيام تخلى القيصر عن العرش ، وأرسل هو وأسرته إلى المنفى ، ولقوا جميعاً حتفهم قتلاً بعد أن وثب السوفيت إلى الحكم وهكذا محى اسم القيصر من روسيا ، ولكن القيصرية بعثت مرة أخرى باسم جديد : ألا وهو قيصرية لنين وستالين .

واستبشر العالم كله بخلع القيصر ورأى فيـه دلالة على بدء عهد من الحرية يستمتع به الشعب الروسى ، وأخذ الروس أنفسهم فى غمرة الفرح يعـانق بعضهم بعضاً فى الطرقات . وظن سائر العالم — وهو جاهل بأحوال روسيا وتاريخها أو لا يعلم منـه إلا القليل — أن امبراطورية القيصر المترامية الأطراف ستصبـح جمهورية ديمقراطية .

وبذلت الحكومة المؤقتة التى خلفت القيصر كل جهدها لاقتباس الأنظمة الديمقراطية ، ولكنه كان مجهودا ضعيفاً ، فقد كان رئيسها الأمير ليفوف من أشياع تولستوى المؤمنين بمبدأ عدم مقاومة الشر ، وعلاوة على ذلك فقد سقطت تلك الحكومة منذ مبدأ عهدها تحت رحمة العمال السوفيت ومندوبى الجنود فى بتروجراد .

وكان سوفيت بتروجراد عمالاً وجنوداً قد تمّ اختيارهم من المصانع والكتائب المعسكرة بالبلد، وانضم إليهم زعماء الأحزاب الاشتراكية المختلفة . وحُـرِّم على كافة الأحزاب غير الاشتراكية أن ينضموا إلى السوفيت . وفى مبدأ الأمر كان أغلب أعضاء هذه الهيئة من الثوار الاشتراكيين الذين يدعون أنهم يمثلون الفلاحين .

وانقسم الحزب الاشتراكى الديمقراطى إلى شعبتين ، تسمى الأولى « منشفيك » ، وهى تؤمن بأن الوصول إلى الاشتراكية ينبغى أن يتـأتى بالوسائل الديمقراطية ، وأنه لن يكتب لها الاستقرار بنجاح إلا إذا عمت الصناعة البلاد . والثانية هى شـعبة « البلشفيك » ، الذين أرادوا أن يقيموا النظام الديمقراطى فوراً بأية وسيلة كانت . ولما تبين لهيئة أركان الحرب الألمانيـة أن لنين سيعمل على إخراج روسيا من الحرب ، بعثت بهذا الزعيم البلشفيكى إلى لنينجراد فى إبريل ١٩١٧ ومنـذ ذلك الحين بدأ البلشفيك يتسمَّـون باسم الحزب الشيوعى .

وكان سوفيت بتروجراد هيئة ضخمة العدد يعجزها أن تؤدى أعمالها يوماً بعد يوم فى ثورة لا تزال تتأجج ، فانتقلت قيادة العمل إلى « اللجنة المركزية التنفيذية » ، وسرعان ما انتزعت أعنة السلطان هيئة أخرى أقل منها عدداً هى مكتب رياسة اللجنة المركزية التنفيذية . وكان لنين يفوق بقية الزعماء فى الذكاء والإرادة والحصافة السياسية . فأخذ هو وأعوانه يبسطون نفوذهم شيئاً فشيئاً على السوفيت . وهكذا تحولت ديكتاتورية الطبقة العاملة قليلاً قليلاً إلى ديكتاتورية متحكمة فى الطبقة العاملة ، وفى كل فرد آخر فى روسيا ، وتجمعت هذه الديكتاتورية فى يد قائد الحزب الشيوعى .

ولولا لنين لكان من الجائز أن لا تقوم للبلشفية والحزب الشيوعى قائمة . وينحدر لنين من أبوين من الطبقة الوسطى ، وهو رجل ضخم الرأس قصير الساقين ، حلو الدعابة ، قادر على اجتذاب قلوب الناس ، وقد تبين له طريق حياته حينما قبض على أخيه الأكبر إسكندر إليانوف وهو يتآمر على قتل القيصر إسكندر الثالث ، وكان يحبه حباً عميقاً ، ثم شنق أخوه . فمن يومئذ وجد لنين بين جنبيه فى الأوقات الحرجة قلباً قاسياً لا يرحم ، يناقض كل المناقضة ما جبل عليه من رقة ورحمة ، وكتب فى ١٩٠١ يقول :

« إننا لم نتخل قط ، ولا يمكن أن نتخلى أبداً ، عن الإرهاب ، فهو من أعمال الحرب ، ولا غنى عنه فى بعض مراحل الجهاد » .

وأعمال لنين أعون من أقواله فى فهم الاتحاد السوفيتى ، ولكن بعض كلماته أصبحت اليوم من الحقائق الواقعة . وفارق وطنه سنة ١٩٠٠ ومعه بعض شركائه وأنشأ فى مونيخ فرعاً لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى سماه (إسكرا) أى الشرارة .

وتضمنت أولى مقالاته فى الصحف البذرة التى انبثق منها الحزب الشيوعى الراهن إذ قال : « يجب أن نعلم رجالا يقفون على الثورة حياتهم كلها ، لا وقت فراغهم فحسب ، فإن مقاومة البوليس السياسى تتطلب صفات خاصة ورجالا يحترفون الثورة . فإذا احتشدت لدينا فصائل من العمال الثائرين حنكتهم الدربة الطويلة ، فلن يتغلب عليهم رجال الشرطة أياً كانوا . وينبغى لنا أن نستعين بالكتمان المطبق والتدقيق فى اختيار الأعضاء . وأخيراً ينبغى إنشاء رابطة من الأخوة والثقة بين الثوار ، فمطلبنا إذن أن تكون لنا هيئة عسكرية »

وقد نجح لنين فى تأليف هذه الهيئة العسكرية ، أى الحزب الشيوعى الذى يتحرى الكتمان المطبق والتدقيق فى اختيار الأعضاء .

البوليس السرى القيصرى

يبعث من جديد

ووقفت الهيئة الثورية المتماسكة القادرة التى شكلها لنين ، إلى الظفر بجنود وأسلحة وانتهزت فرصة الفوضى التى أشاعها تفكك الجيش الروسى المنهزم فنجحت يوم ٧ نوفمبر ١٩١٧ فى قلب الحكومة المؤقتة . واجتمع مؤتمر السوفيت فوراً ، وتألفت حكومة باسم وزارة الشعب رئيسها لنين ، وتولى تروتسكى وزارة الخارجية . وكان فى ذيل القائمة اسم « أ . ف . زوجا شفيلى ستالين الذى تولى منصب رئيس الجنسيات » .

واندفعت الحكومة السوفيتية تعمل حثيثاً لبسط سلطانها على روسيا كلها . وبعد نزاع دام أسبوعاً ، قضت على خصومها فى موسكو ، ثم بدأت تمد سلطانها على المدن الصغيرة والقرى فصادفت معارضة كبيرة . فعمد لنين فى ٢٠ ديسمبر ١٩١٧ إلى بعث « الأوبريكينا » من جديد ، ذلك السلاح القديم الذى استغله إيفان المخيف ببراعة ووحشية . وأطلق عليها لينين اسم « اللجنة العليا للقضاء على أعداء الثورة » ، ولفظ « تشيكا » مركب من الحروف الأولى فى هذا الاسم . وبدأ رجال التشيكا يعملون بالقسوة التى عرفت بها الأوبريكينا ، وعلا « الإرهاب الأحمر » علواً كبيراً .

ويقول المؤرخ فرنادسكى :

« لم تكن الفظائع التى ارتكبت فى هذا العهد عرضاً من أعراض سوء استعمال السلطة ، فإن الإرهاب الأحمر أصبح أمراً معترفاً به ، وهو جزء لايتجزأ من أساليب إخضاع الأمة لإرادة البلشفيك . وقد صرح لنين نفسه بأنه « لايتصور أن تقوم للطبقة العاملة ديكتاتورية إلا بالإرهاب والعنف » فنزعت التشيكا من قلبها الرحمة والرفق . وكانت مهمتها محاربة طبقة البورجوازى (أصحاب الأملاك والتجار) ، ولكنها فى الواقع أبادت بلا تمييز كل من يشتبه فيهم أنهم من المعارضين للحكومة السوفيتية » .

وكان أمل جميع الديمقراطيين الروس منذ ثورة ديسمبر ١٨٢٥ أن يروا الشعب الروسى وقد أتيح له يوماً ما أن ينتخب جمعية نيابية لتضع دستوراً ديمقراطياً . وكانت الحكومة المؤقتة قد بدأت تعد هذه الانتخابات ، وأجريت يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١٧ أى بعد ١٨ يوماً من استيلاء السوفيت على مقاليد السلطة فى بتروجراد . وكان عدد أعضاء الجمعية ٧٠٣ فلم يكن بينهم سوى ١٦٨ نائباً شيوعياً . واجتمع نواب الجمعية الدستورية فى بتروجراد يوم ١٨ يناير ١٩١٨ ، فأسرع الشيوعيون فقبضوا على النواب غير الاشتراكيين ، ولكن الأغلبية ظلت

للاشتراكيين الثوريين ، وانتخب شيرنوف لرياستها وهو معروف بعدائه للشيوعية ، فأرسل لنين إلى الجمعية جنوداً تحمل البنادق والمدافع وفض اجتماعها . وهكذا ضاع كل أمل فى إقامة الديمقراطية فى روسيا وأصبحت حكومة الاتحاد السوفيتى منذذلك الحين مظهراً سافراً للديكتاتورية التى يتولاها قائد الحزب الشيوعى . وكأن نظام الحكم الاستبدادى القديم الذى فرضه رؤساء المغول قد عاد فأطبق من جديد على الشعب الروسى بقسوة لاترحم فكان كما قال مازاريك :

« لقد تخلصوا من القيصر لا من القيصرية، فهم يلبسون رداءها مقلوباً »

الفوضى والحرب الأهلية

وتعقدت المشاكل التى واجهها لنين تعقداً شديداً ، من جراء إيمانه بأن البشر لن يجدوا خلاصاً إلا على يد الشيوعية ، وأن دعوته ليست هى إقامة الشيوعية فى روسيا فحسب ، بل إتاحة خيراتها للعالم كله . فلم تقتصر أغراضه المباشرة على تدعيم الحكومة السوفيتية فى روسيا فحسب ، بل تعدتها إلى تشجيع الثورة فى أوربة كلها . وكان يؤمن بأن الثورات الاشتراكية ستجتاح ممالك كثيرة فى أوربة، ولاسيما المجر. ولكن هذه الثورات الاشتراكية لم تتقد جمرارتها . والحكومة الشيوعية الوحيدة التى قامت زمناً وجيزاً فى أوربة كلها ، هى حكومة بيلاكون فى المجر. وقد امتد عهدها من ٢١ مارس إلى أول أغسطس ١٩١٩ .

وقد بذل لنين أقصى جهده فى مساعدتها على البقاء ، وأرسل إليها سراً وفوداً تحمل المال والجواهر ، وظل يوالبها فى الراديو بنصائحه وتوجيهاته، ولكن الاتحاد السوفيتى غير متصل الحدود بالمجر، فكان من العسير أن تعينها بالجيوش ، ومن جراء انقطاع المواصلات بينهما ضعفت هذه الحكومة وذهبت ريحها . وكان أهم ما أدته أنها علمت الاتحادالسوفيتى أن من العسير عليها أن تعين الثورات الشيوعية فى بلاد لاتجاور حدودها روسيا ، وأنه من الحكمة أن تحاول توسيع المنطقة التى تحكمها موسكو ، وذلك بغزو الأقاليم المجاورة قبل أن تحاول الإشراف على البلاد البعيدة عنها .

وأراد لنين أن ينقذ الحكومة السوفيتية من الدمار على يد جيوش عاهل ألمانيا ، فعقد معها فى ٣ مارس ١٩١٨ صلحاً منفرداً بالرغم من التزام روسيا فى معاهداتها مع حلفائها بأن لا تفعل . ورأى لنين فى جوع الشعب الجائعة ما يهدد بقلب نظام حكومته ، فأرسل حرسه الأحمر ورجال التشيكا للاستيلاء على الحبوب من الفلاحين، وجاء بها إلى المدن الجائعة ، وبدأ يوزع

الخبز ببطاقات التموين على نمط جعلها أقوى سلاح سياسى . ولما كان الحصول على الطعام متعذراً من السوق السوداء ، فقد أصبحت بطاقة التموين من أسباب الحيـاة . وجاد بهـذه البطاقات على رجال التشيكا والحرس الأحمر وأعضاء الحزب الشيوعى وعمال المصانع ، كما جاد على أرباب الحرف وعمال المصانع العاطلين بنصيب ضئيل من الطعام حتى يهلـكوا جوعاً رويداً رويداً. ثم غدّ بقية الناس من الرجال والنساء والأطفال عناصر غير منتجة ومنع عنهم البطاقات .

وقد نجحت ديكتاتورية لنين فى النهاية بفضل هذه الأساليب ، ولـكنّ السخط الذى أعقبته كاد يقضى عليها ، إذ امتلأت قلوب الفـلاحين غيظاً لاغتصاب حبوبهم وبدأوا يقاومون بالسـلاح رجال التشيكا والحرس الأحمر . وكانت جميع العناصر الديمقراطية ساخطة أيضاً من جراء فض الجمعية الدستورية ، ومن جراء ما ارتكبته الحكومة مع من ترتاب فى معارضته من قتل وتجويع . فبدأت الحرب الأهلية .

وعلاوة على ذلك فقد أثار الصلح المنفرد الذى عقده لنين مع ألمـانيا موجة متلاطمة من بعض الحلفاء لهذه الحـكومة ، إذ أنه فك عقال قوات ألمـانية عظيمة ، وخشى الحلفاء أن تحشد هـذه القوات لمقاتلة الجيوش الفرنسية والإنجليزية والأمريكية التى كانت تحارب فى الجبهة الغربية . وكانت المخازن فى مورمانسك وأركانجيـل ، وفلادفوستك ، ملأى بمقـادير وفيرة من السلاح والذخائر التى أرسلها الحلفاء للجيش الروسى ، فقرّ عزم الحلفاء على أن لايتركوا هذا العتاد يقع فى يد الألمان أو فى يد الحـكومة السوفيتية . فنزلت فى شهر إبريل ١٩١٨ فصيلة من قوات الحلفاء فى مورمانسك ونزل غيرها بعد ذلك فى أركانجيل وفلادفوستك .

ولم يحاول الحلفاء أن يزحفوا إلى لنينجراد أو موسكو ، ومع ذلك تألفت قوات روسية تحت رياسة لفيف من القواد يؤيدهم بعض الحلفاء تأييداً فاتراً ، وأخذت تهاجم القوات الشـيوعية بنجاح ، حتى إن الحـكومة السوفيتية خلال فترة قصيرة من شتاء ١٩١٨ و ١٩١٩ لم يكن لهـا سلطان إلا على منطقة لا تزيد مساحتها عن دولة إيفان المخيف .

وبلغ الحرج بموقف الحكومة السوفيتية أنهـا قدمت فى ١٤ مارس ١٩١٩ إلى مبعوث أمريكى فى موسكو عرضاً مكتوباً يسرى مفعـوله إلى ١٠ أبريل ١٩١٩ ، لعقد الصلح على أساس الوضع الذى يكون قائماً فى ميدان القتال . هذا مع أن القوات المعادية للشيوعية كانت تحتل حينئذ ثلاثة أرباع روسيا .

ورفض هـذا العرض زعماء الحلفاء المجتمعين فى مؤتمر الصلح بباريس ، وظنوا أن الحكومة السوفيتية ستفقد سلطانها على موسكو ولنينجراد، وأن حكومة ديمقراطية ستقوم مكانها . ومع ذلك فقد أبوا إرسال مدد من الجند يعين على إيقاع الهزيمة بحكومة السوفيت ، وكما قال لنين فيما بعد : « كان لدى الحلفاء ملايين من الجند ، فلو أنهم أرسلوا قوة لا تزيد على بضعة آلاف مؤلفة لأوقعت بنا الهزيمة » .

وبعد نزاع عنيف نشب بين الروس هلكت فيه جموع غفيرة بالتعذيب والقتل والجوع والمرض ، تمكنت الحكومة السوفيتية من هزيمة خصومها من الروس وبسطت سلطانها على إمبراطورية القيصر ، سوى فنلندة وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبسارابيا وبولندة .

ولم يحاول لنين طوال تلك المدة إخفاء الواقع من أن الحكومة السوفيتية هى التى توجه الحركات الشيوعية فى العالم كله ، فقد كان رئيس مجلس وزراء الشعب فى الحكومة السوفيتية. ولكنه اشترك جهرة فى مؤتمرات الشيوعية الدولية (الكومنترن) ، وكان هو رئيسها المبجّل . والواقع هو أن وزارة الخارجية السوفيتية هى التى تولت بالراديو دعوة أول مؤتمر للكومنترن ، وكانت مهمته علانيةً هى تنظيم الثورة الدولية وتوجيهها إلى أغراضها .

الكومنترن

مات لنين فى ٢١ يناير ١٩٢٤ ، فخلفه ستالين وأقام نفسه ديكتاتوراً بعد نزاع عنيف بينه وبين تروتسكى ، وأصبح صاحب سلطان مطبق على الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعى والبوليس السرى والكومنترن . ولقد رفضت الحكومات الديمقراطية أن تعترف لستالين بحق توجيه الطابور الخامس فى بلادها ، فكان هذا شيئاً مهماً فى تأخير اعترافها بالحكومة السوفيتية . وظلت أمريكا ترفض الاعتراف بها ست عشرة سنة ولكن روزفلت قرر فى سبتمبر ١٩٣٣ أن يقبل الاعتراف بالحكومة السوفيتية إذا هى تعهدت بالكف عن توجيه الحزب الشيوعى الأمريكى ، وسمحت بحرية الدين للأمريكيين المقيمين فى بلادها .

وفى ١٦ نوفمبر ١٩٣٣ وقّع ليتفنوف فى البيت الأبيض ، نيابة عن الحكومة السوفيتية ، اتفاقاً تتعهد فيه الحكومة السوفيتية بالكف عن « أى تدخل فى الشئون القومية للولايات المتحدة » .

ولكنهم لم يفوا بهذا العهد ، إذ اجتمع فى موسكو فى صيف ١٩٣٥ ، المؤتمر السابع

للشيوعية العالمية ، واحتل قادة الشيوعية الأمريكية مركزاً بارزاً فى هذا المؤتمر ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صدرت أوامر إلى الحزب الشيوعى الأمريكى ترشده إلى الوسائل التى يستعين بها على الوثوب إلى الحكم بالحيلة والخداع ، وعندئذ أمر روزفلت سفيره فى موسكو أن يقدم للحكومة السوفيتية مذكرة شديدة اللهجة احتجاجاً على روسيا لأنها نكثت عهدها بعدم التدخل فى الشئون القومية الأمريكية ، وبينت المذكرة أنه «إذا دأبت الحكومة السوفيتية على تجاهل عهدها الصريح ، فإن عملها ستترتب عليه آثار خطيرة جداً» .

ولم يعر ستالين هذه المذكرة أقل اهتمام بل راح يدأب على توجيه الحكومة السوفيتية والكومنترن معاً . فلما ظهر خطر هتلر، قرر روزفلت أن من مصلحة أمريكا أن تتجاهل مؤقتاً نكث ستالين بعهده، وأن تبقى العلاقات الدبلوماسية متصلة بينها وبين روسيا، ولكن روزفلت لم يقر قط حق الحكومة السوفيتية فى توجيه الحزب الشيوعى الأمريكى . وطنطنت الحكومة السوفيتية بإلغاء الكومنترن فى ٢٢ مايو ١٩٤٣ حينما أرادت أن تتظاهر بأنها حكومة ديمقراطية محبة للسلم . ولم ينقض عام واحد حتى بدّل الحزب الشيوعى الأمريكى اسمه باسم « الرابطة السياسية للشيوعية » ، ولكن ستالين ظل محتفظاً بالوسائل التى كان يستعين بها لبسط سلطانه على الشيوعية العالمية ، وإن اختلفت مظاهرها الخارجية .

التراجع فى الجبهة الاقتصادية

خرجت الحكومة السوفيتية من انتصارها فى الحرب الأهلية وهى متحكمة فى منطقة مترامية تبلغ مساحتها سدس العالم، غنية بالمعادن، وتضم بلاداً تجود فيها الزراعة، ويسكنها ١٦٩ شعباً وقبيلة من أهل البأس والقوة ، ولكن الحرب العالمية الأولى والثورة الشيوعية والحرب الأهلية أوقعت الاضطراب والانحلال بالنظام الاقتصادى كله فى هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف ووقع على عاتق لنين عبء جسيم هو إعادة تعمير بلاده ، إذ هبط الإنتاج الصناعى فى ١٩٢٠ إلى ثمن ما كان عليه فى ١٩١٣ ، كما قل محصول الحبوب من ٧٤ مليون طن فى ١٩١٦ إلى ٣٠ مليوناً فى ١٩١٩ . فاضطر لينين أن يبتدع سياسة اقتصادية جديدة تبيّن فيها التراجع عن السياسة الشيوعية التى طبقت فى ١٩١٧ ، إذ كانت الحكومة السوفيتية تستولى من الفلاحين على محاصيل الحبوب وتترك لهم منها مقادير ضئيلة لطعامهم ، فامتنع الفلاحون عن إنتاج

ما يزيد عن حاجتهم . وأراد لنين تشجيع الفلاحين ، فأمر أن يباح لهم بيع ما يبقى لديهم من المحاصيل فى السوق الداخلية ، بعد أن تستولى الحكومة على حصتها. واحتفظت الحكومة السوفيتية بحق احتكار التجارة الخارجية ، وأنشأت نظاماً لتجميع المصانع فى وحدات تخضع لإشرافها ، كما أبقت فى يدها حق الإشراف على المصانع ذات الإنتاج الضخم ، وأذنت للأفراد بتملك بعض المصانع الصغيرة وإدارتها ، ومنحت امتيازات لرؤوس الأموال الأجنبية .

ولكن هذه التدابير لم تكن إلا وسائل مؤقتة لزيادة الإنتاج ، وحسبها كثير من الأجانب دليلا على عودة روسيا إلى النظام الرأسمالى ، فى حين أنها عند لنين وغيره من الزعماء ، ضرب من التحول الحكيم عن تدبير يمكنهم أن يعودوا إليه فيما بعد .

وقد بلغ من نجاح السياسة الاقتصادية الجديدة أن توالى ازدياد الإنتاج الصناعى والزراعى فبلغ فى ١٩٢٧ مستوى ١٩١٣ فى عهد القيصر . فقرر ستالين أن قد آن أوان شن هجوم على الجبهة الداخلية لفرض نظام المزارع المشتركة وبسط إشراف الحكومة على الإنتاج الصناعى وتقدمه فى الاتحاد السوفيتى ، طبقاً لبرنامج السنوات الخمس .

وليس يتأتى لأحد إلا لديكتاتور لديه بوليس سرى وفرق للإعدام ، أن يفرض على شعب ، مهما بلغ صبره ، احتمال الآلام التى جرتها هذه السياسة . والحكومات الديمقراطية من واجبها أن تكفل للناخبين مستوى معيشة كريمة وإلا هزمت فى الانتخابات ، أما الديكتاتورية فتستطيع أن تنزل الشعب إلى مستوى منخفض وتنتفع كما تشاء بإنتاجه ، ولا تترك له منه إلا أقل قدر يعينه على الحياة . واختار ستالين أن يتحول الإنتاج من البضائع المستهلكة ، وهى مطلب الفلاحين ، إلى الصناعات اللازمة للحرب ، فانخفض إنتاج البضائع المستهلكة إلى الحد الأدنى ، ووظفت أموال وافرة فى إنشاء مصانع الحديد والصلب والأسلحة والذخائر . وبرامج السنوات الخمس التى وضعها ستالين هى التى أوحت إلى جورنج بقوله فيما بعد : « نريد مدافع بدلا من الزبد » .

وتتابعت برامج السنوات الخمس ، وانقلب الاتحاد السوفيتى من دولة سواد سكانها من المزارعين إلى دولة لا يشتغل بالزراعة فيها إلا نصف سكانها ، وأفضى نظام المزارع المشتركة إلى اختفاء ملايين من المزارع الصغيرة التى كانت أبرز مظاهر الحياة الروسية ، وجمعت تلك المزارع وصارت وحدات كبيرة . وقد رضى بعض الفلاحين ممن اشتد بهم الفقر عن هذا النظام ،

أما من حسن حاله منهم فقد كرهه وعارضه ، وكان أغلب أفراد الفئة الأخيرة جنوداً فى الجيش الأحمر أثناء الحرب الأهليـة ، فلم ينفعهم سابق ولائهم ، وأطلق عليهم ، تحقيراً اسم « الكولاك » ، وصودرت مزارعهم وكل ما يملكونه ، فإذا بدر منهم اعتراض ، وهذا ما فعلته الملايين منهم ، قتلوا رمياً بالرصاص أو أرسلوا للسخرة فى سيبريا .

وكانت أول نتيجة لهـذا الهجوم على الجبهة الداخلية ، أن تفشت المجاعة ، وهبط عدد الخيول من ٣٤ مليوناً فى ١٩٢٩ إلى ١٦ مليوناً فى ١٩٣٣ والبقر من ٦٨ مليوناً إلى ٣٨ مليوناً ، والغنم والماعز من ١٤٧ مليون إلى ٥٠ مليوناً والخنازير من ٢٠ مليوناً إلى ١٢ مليوناً ، واستولت الحكومة فى شتاء ١٩٣٢ ــ ١٩٣٣ من أوكرانيا وكوبان ، رغم احتجاج الفلاحين ، على مقدار من الحبوب بلغ من وفرته أن مات من أهل الإقليمين عدد يتراوح بين ثلاثة ملايين وخمسة ملايين ، من جراء المجاعة التى أحكمت الحكومة تنظيمها ، ولكن ستالين استطاع بهذا الثمن الفادح أن يفرض نظام الملكيات الزراعية المشتركة . ولم يبق فى روسيا منذ ١٩٣٩ فلاح ينعم باستقلاله الخاص .

وهكذا اختفت من روسـيا كافة آثار السياسة الاقتصادية التى وضعها لنين . وقال ستالين فى ١٩٣٩ : « لقد هلك المستغلون ولم يبق أحد ممن ينبغى القضاء عليهم »

ومع ذلك ظلت الحكومة محتفظة للبوليس السرى السياسى بمستوى رفيع من القوة والعدة والعدد ، لم تبلغا هيئة الأوبريكينا فى أيام إيفـان المخيف ، والتى عُرفت باسم « التشـيكا » فى عهد لنين ، ثم باسم « الأوجيبو » ، وهى تسمى اليوم « نيكفيدا » ، لقد غيرت أسماؤها ولكن طبيعتها لم تتغير . فعلنها اليوم أن تتشمم خصوم الديكتاتورية تستأصلهم وبغير رحمة ، فأذنها تسترق السمع فى كل مكان ، ويعيش كل روسى فى رهبة من الساعة التى يسـمع فيها يدها تدق بابه ليلا . ويأتمر بأمرها جيش يبلغ ربع مليون ، وأفراده أحسن أجراً ومسكناً وطعاماً من جنود الجيش الأحمر ، وله مدافعه وطائراته وسجونه وأقبيته لتنفيذ الإعدام . وفى ١٩٣٧ بلغت ميزانيتـه ٣ بلايين روبل ، ولا نعلم اليوم أين بلغت هذه الميزانية ، ولكن الأنباء تدل على أن جيش النكفيدا قد أصبح تعداده ٦٠٠ ألف

الحياة فى ظلال النيكفيدا

والجيش الأحمر ذاته خاضع لإشراف النيكفيدا ، ولهـا أعوان فى كل مسكن ومصنع وجمعية علميـة ومسرح ، لتلتقط

آذانهم كلمات الانتقاد . ويجب على أعضاء الحزب الشيوعى جميعاً أن يبلغوها كل ما يسمعونه مما يتطلبه ظمأها الذى لا يهدأ للبحث عن دواعى الريبة . وقد أجبر آلاف من غير الشيوعيين على خدمتها ، وإلا حاق بهم انتقامها الشديد ، وفى الخمس عشرة سنة الماضية ألقت فى السجن بعدد من الرجال والنساء لا يكاد يقل عن عشرة ملايين ، وسخرتهم فى أشق الأعمال ، وهم على وشك أن يهلكوا جوعاً . وكثيراً ما تبعث بهم إلى المنطقة القطبيــة الشمالية حيث لا يتسنى للإنسان أن يعيش أكثر من ست سنوات .

وتتجسس النيكفيدا على السفراء ، بل على الوزراء وقادة الجيش فى الحكومة السوفيتية . ويسير أربعة من أعوانها خلف السفراء ليلا ونهاراً ، ويجب على كل من يخاطب أجنبياً أن يبلغها فوراً مضمون الحديث . وإذا استثنينا فتيات فرقة الرقص وبضعة أعوان للنيكفيدا ممن أمروا بالاتصال برجال السلك السياسى فإن جميع الروس يعلمون أن الإكثار من التحدث إلى الأجانب وخيم العواقب . وقد نجحت النيكفيدا فى أن تجعل الرعب أول إحساس فى القلوب ، وأينما امتدت يدها أو أذنها فما وراء الخدود الروسية ، وجدت الرعب جاثماً هناك أيضاً .

وبعثُ الرهبــة من العقاب والرغبة فى المكافأة هو الوسيلة التى يستعين بها مدربو الحيوان فى الملاعب المتنقلة على تعليمها بعض الحيل . وكذلك يفعل ستالين لكى يخضع الرجال لإرادته ، فهو يبث فى قلوبهم الخوف من النيكفيدا ورجاء الرقى إلى المناصب العالية ويستطيع المقتدرون فى ميدان العلم والفن أن يرتقوا إلى المناصب الرفيعة دون أن يلتحقوا بالحزب الشيوعى ، بشرط أن يواظبوا على تقريظ الديكتاتورية وعلى طاعة النيكفيدا ، أما غيرهم فى بقية الميادين فإن عضوية الحزب الشيوعى تعينهم كل العون على بلوغ مثل هــذه المناصب ، ولم يحدث فى الحكومة السوفيتية أن رقى أحد فى ميدان السياسة والاقتصــاد إلى منصب عظيم إلا إذا كان عضــواً فى الحزب الشيوعى ، وليس فى الاتحاد السوفيتى سوى حزب واحد ، أما بقية الأحزاب فقد « صُفّـيت » .

ويتابع ستالين الخطة التى وضعها لنين فى سنة ١٩٠١ ، والتى تقضى بأنه لا ينبغى للحزب أن يكون حزباً سياسياً بالمعنى الذى نفهمه من هذه الكلمة ، بل « هيئة عسكرية » . وقد وصف هذه الهيئة العسكرية بقوله : « تستــند إدارة الحزب إلى ثلاثة آلاف أو أربعــة آلاف من رجال القيادة العليا ، وهم بمثابة الضباط العظام ، ثم يأتى بعدهم ٣٠ ألفــاً أو ٤٠ ألفــاً من أواسط

القادة ، وهم الضباط ، من ١٠٠ ألف إلى ١٥٠ ألفاً من الأعضاء البارزين فى الحزب ، وهم بمثابة فرقة صف الضباط ، أما بقية أعضاء الحزب (ويبلغ عددهم ٦ ملايين) فعليهم أن يتلقوا الأوامر بالطاعة .

وينبغى لرئيس كل حزب سياسى فى بلد ديمقراطى أن يلبى طلبات الناخبين وإلا تحولوا عنه إلى حزب آخر . أما فى الاتحاد السوفيتى فليس أمام أعضاء الحزب باب آخر يطرقونه ، إذ ليس هناك إلا حزب واحد هو الحزب الشيوعى ، والناخبون لا يجدون إلا قائمة واحدة من أسماء مرشحى الحزب الشيوعى الذين اختارهم ستالين ، فكأن الانتخابات مظاهرات تنظمها الحكومة .

وما دامت للديكتاتور سيطرة على الحزب الشيوعى والنيكفيدا ، فليس يستطاع خلعه إلا إذا ثار الجيش . ويشغل ستالين منصب المارشال ، ولذلك فهو القائد الأعلى للجيش . وعلاوة على أن ضباط هذا الجيش هم من الطبقات الممتازة فى الحزب الشيوعى ولديهم كل أسباب الراحة ، فهم لذلك راضون وهم جميعاً ، وضباطهم العظام أيضاً ، لا يسلمون من النيكفيدا ، ويبلغ من شدة رقابتها لهم أن أية كلمة تفلت وتنم عن الانتقاد قد يجازى عليها قائلها بالصمت المؤبد .

تفوق روسيا فى عدد السكان

وينمو الشعب الروسى فى عهد ستالين ، كما نما فى عهد القياصرة ، نمواً حثيثاً ، ولم يزد عدد سكان إمبراطورية القيصر فى ١٩١٤ عن ١٧٠ مليوناً . ويقدر عدد من فقدتهم روسيا فى الحرب العالمية الأولى وفى المناطق التى انتزعت منها بعد الحرب ، بستة وعشرين مليوناً تقريباً ، ولكن عدد سكان الاتحاد السوفيتى فى ١٩٣٩ عاد فقارب ١٧٠ مليوناً ، وهذا بالرغم من نشوب الحرب الأهلية فى ١٩١٨-١٩٢٠ ، وانتشار المجاعة فى ١٩٢٠ — ١٩٢١ ، وفى التصفيات والمجاعة فى ١٩٣٢ — ١٩٣٣ ، وارتفاع نسبة الوفيات بين ملايين العمال الأرقاء المسخرين . ولعل عدد سكان روسيا اليوم أقل شيئاً من ١٧٠ مليوناً ، ولكن من الجلى أن نمو السكان فى روسيا أسرع منه فى أمريكا وبريطانيا وفرنسا .

وإذا سمح للاتحاد السوفيتى أن يستبقى المناطق المترامية التى يبسط عليها سلطانه منذ ١٩٣٩ فى أوربة وآسية ، بالإدماج أو بالاحتلال أو بإقامة حكومات موالية ، فإن عدد سكانه سيزداد بإضافة الشعوب التابعة إليه .

فى أوربة

بولندة	٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠
ألمانيا الشرقية ...	٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠
رومانيا	٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠
يوغوسلافيا	١٥٫٧٠٠٫٠٠٠
المجر	١٠٫٠٠٠٫٠٠٠
بلغاريا	٦٫٣٠٠٫٠٠٠
ليتوانيا	٢٫٠٠٠٫٠٠٠
لاتفيا	٢٫٠٠٠٫٠٠٠
إستونيا	١٫٠٠٠٫٠٠٠
ألبانيا	١٫٠٠٠٫٠٠٠
المجموع	١١٨٫٠٠٠٫٠٠٠

فى آسية

شمال الصين (منطقة يحتلها الجيش الأحمر السوفيتى الصينى)	٧٥٫٠٠٠٫٠٠٠
منشوريا	٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠
شمال كوريا	١٠٫٠٠٠٫٠٠٠
المجموع	١٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠

وعلاوة على ذلك فإن الممالك الأوربية التالية خاضعة له بعض الخضوع ، وهى مهددة بأن يصبح سلطانه عليها مطلقاً .

تشيكوسلوفاكيا ...	١٥٫٠٠٠٫٠٠٠
النمسا	٧٫٠٠٠٫٠٠٠
فنلندة	٣٫٨٠٠٫٠٠٠
المجموع	٢٥٫٨٠٠٫٠٠٠

وإذا أتيح للاتحاد السوفيتى أن يبسط سلطانه على هذه الملايين كلها تضاعف عدد السكان الواقعين فى قبضة يد الديكتاتور ، وبلغت رعيته ٤١٨ مليوناً . وعلاوة على ذلك فإن مقدرة الاتحاد السوفيتى الصناعية ستزيد بإدماج منطقة سيليزيا الصناعية التى كانت تمد ألمانيا بنحو ٣٠ ٪ من إنتاجها الصناعى ، ومنطقة منشوريا الصناعية التى كانت تمد الصين بنحو ٧٠ ٪ من إنتاجها الصناعى ، وبآبار الزيت فى رومانيا .

محاربة الدين

لو تقلصت روسيا وعادت إلى حدودها فى ١٩٣٩ فسيكون تحت سلطانها عدد من الشبان الأقوياء ، ليس عند أية حكومة ديمقراطية عدد مثله . وقد لقحت أذهانهم بالأكاذيب الموهومة عن الممالك غير الشيوعية فالرقابة الدقيقة فى المدارس والكتب والإذاعة بالسنما لم تزودهم إلا بالدعاية للشيوعية والديكتاتورية ، فلا عجب إذا امتلأت رؤوسهم بشتات من المعلومات الخطأ .

وقد عملت الحكومة السوفيتية على تمكين الجهل الدينى بين رعاياها . وإذا قارنا عهد الاتحاد السوفيتى بعهد القيصر وجدنا عدد

من يلم بالقراءة والكتابة قد زاد ، أما عدد من يستطيع التفرقة بين الفضيلة والرذيلة فقد قلّ . فهم يساقون إلى الإيمان بأن الغاية تسوّغ الواسطة ، وأن الدين خرافة لا تنطلي على شبان أذكياء مثلهم . وكانت حجة الحكومة فى محاربة الدين فى ١٩١٧ هى « الدين للشعب كالأفيون » وظلت منذ ذلك الحين تضطهد الكنيسة تارة وتعاملها ببعض التسامح تارة أخرى ، وذلك كلما رأت أن هذا التسامح يأتيها ببعض المنافع السياسية من جيرانها . ولكن عدد القساوسة قل بنسبة ٩٠ ٪ عما كان عليه فى ١٩١٧ ، حتى أن شبان بعض المناطق لم يروا بأعينهم كنيسة قط .

وهذا ستالين لا يكتم رأيه فى هذا الأمر ، فقد قال لوفد العمال الأمريكيين فى ١٩٢٧ : « إن الحزب لا يستطيع أن يقف من الكنيسة موقف المحايد . نعم إن الحكومة تقوم بدعاية ضد الدين لمحاربة الأضغان الدينية جميعها ، وأينما وجدتها . تسألوننى : هل قضينا على رجال الدين الرجعيين ؟ نعم لقد فعلنا ، ولكن من سوء الحظ أننا لم نقض عليهم القضاء المبرم ، فالدعاية ضد الدين هى الوسيلة الوحيدة التى ينبغى أن نتوصل بها إلى محو رجال الدين الرجعيين »

ولكن الدعاية وحدها لا تكفى لمحاربة الدين ، فطغت موجة من الإرهاب الدينى فى ١٩٢٩ ثم فى ١٩٣٧ حاق بالقساوسة السجن والنفى والقتل ، ولم تحلّ ١٩٣٩ حتى كانت عزيمة رجال الدين قد تضعضعت كل التضعضع . وندر أن تجد يومئذ فى روسيا قسيساً لا يخضع بين يدى ستالين .

ولقد هاجم هتلر الاتحاد السوفيتى فى ١٩٤١ ، فاحتاج ستالين إلى معونة الشعور الدينى والشعور الوطنى معاً ، حتى يستمد من الفلاح أقصى ما يقوى عليه من تضحية لمقاتلة الألمان . وأعلن سرجيوس ، أكبر رجالات الكنيسة وكرسيه فى موسكو ، تأييده لستالين فى قيادة الحرب ، فجازاه بأن يُنتخب بطريقاً ، ثم دعاه إلى مقابلته . وفى اليوم التالى أدى البطريق أول واجب عهد إليه فى السياسة الدولية ، فطالب حلفاء السوفيت جهاراً بفتح الجبهة الثانية .

وأنشأت الحكومة « لجنة شئون الكنيسة الأرثوذكسية » لتتولى توجيه البطريق الهرم الذى يبلغ من العمر ٧٥ سنة . فلما أنزل ستالين الكنيسة إلى مرتبة المكاتب الحكومية ، أرادها أن تكون أداة صالحة قوية الأثر . وأبيح تدريب صغار القساوسة بعد التحريم وأذن بإنشاء معهد دينى .

فمن الذى ربح : أهى الكنيسة أم الحزب الشيوعى ؟ إن ستالين يبسط سلطانه على

الكنيسة ويجعلها أداة فى يده يستخدمها فى سياسته الداخلية والخارجية . ومهما يكن من شأن الحقوق التى نزل عنها زعماء الكنيسة السياسيون فى صلحهم مع ستالين، فإن هذه الكنيسة لاتزال تضم نفراً قليلاً من قساوسة قلوبهم عامرة بالإيمان الذى أعانهم على احتمال مالقوه من آلام واضطهاد.

العقيدة الشيوعية وسياسة السوفيت الخارجية

الشيوعية هى العقيدة التى تؤمن بها الحكومة السوفيتية فتنشىء لها أطفالا لكى يحيوا فى ظلها ويموتوا فى سبيلها . فعقيدة ماركس ولنين وستالين هى الإلحاد، وزعمهم أنها تستند إلى الحقائق العلميــة ، مع أنها تستند إلى فرض غــير معقول ، وهو أن إقامة الديكتاتورية الشيوعيــة فى الأرض وإلغاء الملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، سيقضى على الحرب بين طبقــات الشعب الواحد وبين بعض الأمم وبعض، وأنها سترقى بالطبيعة الإنسانية كما يقول لنين حتى تختفى الدولة ويعيش الناس بعد زوال الدول ، فى جو من الحرية الكاملة والهناءة الشاملة .

وقد بنى لنين على هذه العقيدة رأيه فى تسويغ إقامة الديكتاتورية فى روسـيا ، إذ كان يؤمن بأن قيام الدولة يؤدى حتماً إلى التقاتل ، أما إذا عاش الناس تحت لواء الديكتاتورية الشيوعية، فإنهم يتهيأون للظفر بالحرية النامة . وقال : « لا حرية مع قيام الدولة ، وحين تستتبّ الحرية ستختفى الدولة » .

وهذه العقيدة عندهم بمنزلة الإيمان ، ولعل هذا هو تفسير ظفرها كما ظفرت الديانات من قبل ، بأنصار يخلصون لها ويستشهدون فى سبيلها . فالمؤمن بها حق الإيمان يعتقد بأنه يجاهد لتخليص البشر من ربقة الشر ، وأنه يعمل لرفع لواء الحق الأزلىّ . فالحزب الشـــيوعى فى نظره هو رابطة إخوانه المؤمنين ، وكتابه المقدس قد خطه له ماركس ولينين وستالين ، أما الاتحاد السوفيتى فهو الداعى إلى الجهاد* .

ولما كان أسمى الأهداف الخلقية ، فى نظر العقيدة الشيوعية ، هو تحطيم الدولة على إثر إقامة الديكتاتورية الشيوعية فى الأرض ، أصــبح أول واجب على الرجل أن يعين على إقامة هــذه الديكتاتورية . ويؤمن الشيوعى بأن هــذه الغاية الخلقية السامية تسوغ كل الوسائل المؤدية إليها ،

* نسبة غلاة المؤمنين بالشيوعية فى الأحزاب الشيوعية خارج روسـيا أكبر منهـا فى الحزب الشيوعى الروسى ، ذلك بأن الشيوعيين الروسيين يرون الشيوعية رأى العين ، فيرون معها النكبة، أما الشيوعيون خارج روسيا فلا يزالون على إيمانهم بالجنة التى تزينها لهم الدعاية الشيوعية .

من حرب وقتل وتلويث سمعة ونكث للعهود، وكما قال لنين : « من الضرورى أن نستعين بالخداع والمكر ومخالفة القانون والمراوغة وإخفاء الحقائق » فالحدود الخلقية التى تلتزمها الحكومات الديمقراطية، أو الحكومات الرأسمالية أو الاستعمارية ، لا وزن لها فى قرارات الحكومة السوفيتية. فالعقيدة الشيوعية تتطلب من الاتحاد السوفيتى ومن كل الحكومات الشيوعية ، أن تجعل أول أهداف سياستها الخارجية إقامة الديكتاتورية الشيوعية فى الأرض ، فترى الحكومة السوفيتية تبدل خططها وأساليبها لبلوغ هذا الهدف ، تبعاً لتقديرها للموقف الدولى . أما الغرض ذاته فباق بغير تبديل ، وما هو إلا غزو الشيوعية للعالم كله . ولن نجد أقل مشقة فى فهم السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى ، إذا نظرنا إليه — كما يفعل الشيوعى — نظرتنا إلى جيش محارب ، فالخطط والأساليب واحدة : الهجوم حين يرى القائد أنّ النصر قريب ، والتراجع حين يتوقع الهزيمة .

الحرب حتم لا بد منه

وفيما يلى تصريح للنين يتضمن المبادىء الأساسية التى تقوم عليها سياسة السوفيت الخارجية . وقد أقرّه ستالين وأدرجه فى مؤلفه المسمى « مشاكل مذهب لينين » :

« إننا لا نعيش فى عالم مؤلف من دولة واحدة ، بل فى ظلال عالم من دول كثيرة ، ولا يتصور بقاء الجمهورية السوفيتية طويلا هى والدول الاستعمارية جنباً إلى جنب . فلا بد من غلبة أحدهما على الآخر . ولا مفرّ إلى أن يحين ذلك الأوان ، من وقوع مصادمات مهولة بين الجمهورية السوفيتية والدول البورجوازية » .

والحكومة السوفيتية عليمة بما تهدف إليه ، ولهذا فهى تؤمن بأن الحرب لا بد منها بين الاتحاد السوفيتى ، والدول البورجوازية ، أو الرأسمالية ، كأمريكا وبريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزيلندة وفرنسا وبلجيكا وهولندة وسويسرا والسويد والنرويج والدنمرك . فهى لا تفهم السلم كما نفهمه ، بل هو فى نظرها هدنة تستعد فيها للهجوم .

وقد كرر ستالين مناداته بهذا الاعتقاد فى إذاعة له يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ ، رسم فيها خطة منسقة للعمل ، لا للحزب الشيوعى الروسى وحده ، بل لكافة الأحزاب الشيوعية فى العالم ، فقال إن الحروب لا مفر منها ما بقى النظام الرأسمالى . ولم ينسب إثارة الحرب العالمية الثانية إلى النازية أو الفاشية أو العقلية العسكرية اليابانية ، بل

نسبها إلى النظام الرأسمالى العالمى فقال : « يخطىء من يظن أن الحرب قد نشبت عَرَضاً أو من جراء خطأ بعض الساسة . لقد وقع مثل هذا الخطأ ، ولكن الحرب نشبت فى الحقيقة ، لأنها نتيجة لا بد من أن يعقبها تطور العوامل الاقتصادية والسياسية فى العالم ، تبعاً للنظام الاحتكارى الرأسمالى وقد بين ماركس وأتباعه أن النظام الرأسمالى المهيمن على الاقتصاد العالمى تكمن فى طياته بذرة الأزمات والحروب ، وأن نشوء هذا النظام رهن بالأزمات أو الحروب ، لا بالثبات والاستقرار . فالأزمة الأولى التى صادفها هذا النظام ، أفضت بنا إلى الحرب العالمية الأولى ، كما أفضت الأزمة الثانية إلى الحرب العالمية الأخيرة » .

وأعلن ستالين فى خطبته هذه أن المشروع التالى للسنوات الخمس يرمى إلى التوسع فى إنتاج الصلب حتى يصل إلى ٦٠ مليون طن فى السنة، أى ثلاثة أمثال مقدار إنتاج الصلب فى روسيا فى ١٩٤٠ ، وهو ما يفوق إنتاج ألمانيا واليابان وبريطانيا العظمى معاً فى ١٩٤٠ . ويبسط ستالين اليوم سلطانه على إنتاج الصلب فى سيليزيا ومنشوريا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر . ولا جرم فإن إنتاج الصلب هو المقياس الذى تقاس به المقدرة الصناعية اللازمة لشن الحرب .

وما دمنا نرى الديكتاتور السوفيتى لا يزال يؤمن — كما آمن دائماً — بأن تحطيم الدول الرأسمالية الديمقراطية وغزو الشيوعية للعالم هما الطريق الوحيد المؤدى إلى السلم ، وما دمنا نراه أيضاً يأمر بإنتاج هذا المقدار الضخم من الصلب فى الوقت الذى يحتاج فيه الشعب الروسى أشد الاحتياج إلى بضائع الاستهلاك . فما نشك أقل شك فى عزمه على مواصلة سياسة العدوان .

التعارض بين الأغراض والخطط

والذين ينقمون على السياسة السوفيتية لأنها متقلبة ولا يمكن التكهن بها ، يخلطون بين الخطط والأغراض ، فالحكومة السوفيتية تسير قدماً نحو أهدافها ، ولكنها لا تحجم عن تبديل خططها — كما يفعل القائد المحنك — فهى تخفى خططها وتحول قوتها من جانب إلى جانب ، وتزن بدقة عوامل القوة والضعف فى بلادها وفى الدول غير الشيوعية ، فإذا استيقنت أنها إذا ضربت قصمت ، ضربت من فورها .

وترى الشيوعية أن إقامة ديكتاتوريتها فى العالم يمكن أن تتحقق بوسيلتين :

١ — الحرب بين الطبقات : ومعنى هذا إثارة الثورة فى الممالك غير الشيوعية ، والقضاء على كافة الطبقات سوى طبقة العمال.

٢ ــ أن يغزو الاتحاد السوفيتي الممالك المجاورة له فإما أن تدمج فيــه : وإما أن تقام فيها حكومات موالية لموسكو .

ولما كانت الحكومة السوفيتية هي القائد الأعلى للجيش الشيوعي العالمي ، فهي لن تقتصر على استخدام أسلحتها الماضية من مقدرة عسكرية وسياسية واقتصادية ، بل تجمع إليها الطابور الخامس من كافة الأمم التي تفتح له صدرها ، فإذا أصدرت أمرها إليه أطاع الأمر . ويتخفى هذا الطابور السوفيتي في الممالك الديمقراطيــة في زي حزب سياسي يسمى عادة الحزب الشيوعي ، ويستعين بالحريات التي تكفلها الديمقراطية ، كحرية الرأي والصحافة والاجتماع ، ويعمل على تقويض المملكة التي تحميه .

والتبدل المفاجيء في خطط هذه الطوابير الخامسة السوفيتية ، مرجعــه إلى أوامر تملى عليها من موسكو . ولما كانت سيطرة الديكتاتورية الشيوعية على الاتحاد السوفيتي أهم دعامة للشيوعية العالمية ، فقد وجب على الأحزاب الشيوعية خارج روسيا أن تخضع مصالحها لمصالح الاتحاد السوفيتي ، فكثيراً ما تصدر إليها الأوامر بالعــدول إلى خطة جديدة تكون مدعاة للســخرية فكأن هذه الطوابير الخاصة فرقة من الجند يضحى بها من أجل سلامة الجيش كله .

وإذا كان غزو الأرض كلها هو غرض الحكومة السوفيتية، فأين الأمة التي تطمئن لنجاتها من شر هــذه المطامع ؟ وجيران روسيا أشد عرضة للخطر من الممالك البعيدة عنها ، وذلك لسبب بسيط ، هو أنها في متنــاول يد الجيش الأحمر ، وهو لا يتورع عن الغزو كلما وجد إليه سبيلا ، ولا ينكص عنه إلا إذا ألفاه عسيراً أو خطيراً . فشهوة الغزو عنده لاحد لها . والاتحاد السوفيتي أقدر من كل مملكة أخرى على هضم ما يلتهم ، لأنه لا يتقيد بمبادىء الأخلاق التي تواضع عليها البشر ، فهو لا يتورع في المناطق التي يبسط عليها سلطانه المطلق ، عن القضاء فوراً على خصومه السياسيين من كافة الطبقات ، إما بالقتــل وإما بإرسالهم للعمل سخرة في منفى يكون هلاكهم فيه محققاً . وهذا أيضاً هو مصير كل رجل متعلم مثقف إذا أبى أن يذعن للإرهــاب ويصبح من أعوان السوفيت ، فإذا تم له القضاء على كافة منتقديه بالقتل والنفي ، سلم له شعب فزع يائس : يسهل حمله على انتخاب مرشحي السوفيت وإلا حرم بطاقات التموين التي لا حياة له بدونها . وبهذه الأساليب تم له هضم إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندة الشرقية .

نجاح الخطط السوفيتية

كان مطلب الشيوعيين قبل وثوبهم إلى

الحكم فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ أن يخضعوا العالم بسلاح وحيد ليس لهم غيره ، هو إثارة الحرب بين الطبقات فى الشعوب . فأتيح لهم منذ ذلك اليوم أن يستعينوا بقوة دولة عظيمة وشعب جبار ، وأصبح فى إمكانهم أن يتذرعوا لأغراضهم لا بالحروب بين الطبقات فحسب ، بل بالحروب الدولية بين الأمم أيضاً . ويتوقف التجاؤهم إلى هذه الوسيلة الأخيرة على تقديرهم للموقف العسكرى الدولى . ولما كانوا يثقون كل الثقة بأنهم لن ينكصوا أبداً عن محاولة بسط الشيوعية على العالم ، فهم لن يغمدوا السيف الذى يسلونه على الدول البورجوازية ، إلا إذا فرغوا من فرض الشيوعية على العالم كله . وهم لا يرون المعاهدات ومواثيق عدم الاعتداء إلا عهوداً يوقعونها ، لا لشىء إلا لأن مصلحتهم تقتضى ذلك ، فإذا وقعوها أبطنوا نية النكث ساعة يرون أنفسهم قد بلغوا من القوة مبلغ أن ينكثوا بها بكل جرأة ، فهم يهتدون بقول لنين : « لا بد من الاستعانة بالخداع ومخالفة القانون والمراوغة وإخفاء الحقائق » .

وقد غيرت الحكومة السوفيتية خططها السياسية الدولية تبعاً لتقديرها لتطورات الموقف الدولى ست مرات منذ نوفمبر ١٩١٧ :

(١) ١٩١٧/١٩٢٠ : قدرت أن الثورات الشيوعية على وشك أن تكتسح أوربة ، فشنت هجوماً واسع النطاق ، سلاحها فيه إثارة الحرب بين الطبقات ، مع وقوفها موقف الدفاع فى الحرب الأهلية بينها وبين خصومها فى داخل روسيا .

(٢) ١٩٢٠/١٩٣٣ : قدرت أن الاتحاد السوفيتى هو أضعف شيئاً من الدول غير الشيوعية ، وأنها قد تهاجمه ، فتراجعت عن خطة الهجوم تراجعاً حكيماً ، وعقدت مواثيق عدم اعتداء مع كثير من جيرانها كتركيا فى ١٩٢٥ ، وألمانيا وليتوانيا فى ١٩٢٦ ، وإيران فى ١٩٢٧ ، والأفغان فى ١٩٣١ ، وبولندة وفنلندة وإستونيا فى ١٩٣٢ . ومع ذلك لم تنقطع عن وصف عصبة الأمم بأنها مؤامرة رأسمالية مدبرة ضدها ، ولكنها أرسلت ليتفينوف فى مارس ١٩٢٨ للدفاع عن مبدأ نزع السلاح نزعاً تاماً فى كافة الدول .

(٣) ١٩٣٤ /١٩٣٩ : قررت أن الاتحاد السوفيتى يواجه خطر الهجوم عليه فى جبهتين من قبل ألمانيا واليابان ، فحاولت أن تصل إلى اتفاق مع هتلر ، ولما أخفقت التجأت إلى خطة أخرى غرضها تأليب الدول البورجوازية على ألمانيا واليابان ، فانضمت إلى عصبة الأمم فى ١٩٣٤ وعقدت

معاهدة تحالف مع فرنسا وتشيكوسلوفاكيا فى ١٩٣٥ (وهما من الدول البورجوازية)، وأمرت أعوانها الشيوعيين فى الخارج أن يعملوا على تأليف «جبهات شعبية»، وإثارة حركات تناوىء الفاشية، ليجد فيها الاتحاد السوفيتى عوناً على ألمانيا واليابان.

(٤) ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ / يونيو ١٩٤٠: قررت أن الميثاق الذى وقعه هتلر وستالين يوم ٢٣ أغسطس ١٩٣٩، سيفضى إلى حرب طويلة محطمة بين ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وأن الاتحاد السوفيتى لم يعد يخشى غائلة ألمانيا طوال هذه الحرب، وأن البؤس الذى ستجره الحرب قد يعين الاتحاد السوفيتى على إقامة الشيوعية فى أوربة، فتحولت مرة أخرى إلى الهجوم، ونقضت معاهداتها مع فنلندة وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندة ورومانيا، وضمت إليها بعض أجزاء من فنلندة وبولندة ورومانيا وكافة ممالك البلطيق.

(٥) يونيو ١٩٤٠/١٩٤٤: قدرت أن سرعة انهيار فرنسا ومقاومة البريطانيين لجيوش هتلر فى أوربة قد تفضى إلى تعريض الاتحاد السوفيتى إلى خطر الهجوم عليه فى جهتين من قبل ألمانيا واليابان، فحاولت أن توثق اتفاقها مع ألمانيا، وعقدت ميثاق عدم اعتداء مع اليابان فى ١٣ أبريل ١٩٤١.

فلما هاجمت ألمانيا الاتحـــاد السوفيتى فى ٢٢ يونيو ١٩٤١، التزمت خطـة الدفاع فى الداخل والخارج، وبذلت كل جهدها للظفر بتأييـــد الدول البورجـوازية، فطنطنت بإلغاء الحزب الشيوعى الأمريكى والكومنترن (الشيوعية الدولية)، ووقعت ميثـاق الأطلسى، ولبت طلب بريطانيا وأمريكا، ووقعت أيضاً كافة التصريحات العـامة المتضمنة بيان الأغراض السياسـية التى كان يهدف إليها الحلفاء.

(٦) ١٩٤٥ / ١٩٤٦: لما رأت الحكومـة السوفيتية أن إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندة ورومانيا وبلغاريا والمجر ويوغوسلافيا وألبانيا، وبعض أجزاء النمسا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا (إلى حدود نهر الألب) ومنشوريا وكوريا الشمالية — قد وقعت فى يد الجيش الأحمر، أو قامت فيها حكومات موالية لروسـيا، دفعها حب العدوان إلى محاولة إخضاع هـذه المناطق لسلطانهـا المطلق، واستخدمت الطابور الخامس ليهيء لبسط نفوذها، فى فرنسا وإيطاليا واليونان وبعض الممالك الأوربية.

وتستند السياسة الخارجيـة للحكومة السوفيتية فى الوقت الحاضر إلى اعتبارات عسكرية، مؤداها أنه يجب عليها أن تتثبت قليلا حتى تتمكن من تدعيم سلطانها فى تلك

المناطق المترامية التي وقعت في يدها منذ عهد قريب ، وأن تستولى على ممالك غرب أوربة بتقويض داخلها بالمكر والخديعة ، وأن تعيد بناء صرح اقتصادها الداخلي" وأن تصل إلى سر" القنبلة الذرية قبل أن تخاطر بمحاربة أمريكا ، ولهذا رأت أنه يجب عليها أن لاتحارب أمريكا من فورها، وربما رأت أن تختبر مقدار مقاومة بريطانيا وأمريكا بعد أن نهكتهما الحرب ، فإذا وجدت ضعفاً بسطت سلطانها على بعض البلاد كإيران وتركيا وشمال الصين ، ولكنها ستتراجع حتما إذا ثبتت لها بريطانيا أوأمريكا. لأنها لا تجرؤ الآن أن تحارب أمريكا، كما تخشى أن لا تسمح لها أمريكا بإخضاع بريطانيا لسلطانها .

وكل محاولة لفهم سياسة السوفيت الخارجية ، يقتصر المرء فيها على تدبر خططها الموضوعة لزمن قصير، ستؤدى إلى استخلاص نتائج بعيدة عن الصواب ، فإن سياسة السوفيت الخارجية من سنة ١٩١٧ إلى ١٩٢١ ، حين حاولت الحكومة السوفيتية إثارة الحروب بين الطبقات فى أوربة ، قد تعارضت تمام التعارض مع سياستها الخارجية من سنة ١٩٣١ إلى ١٩٣٩ ، حين سعت إلى الظفر بمعونة الدول البورجوازية ضد ألمانيا واليابان . كما أن هذه السياسة فيما بين سنة ١٩٢١ و١٩٣٣ ، حين كانت الحكومة السوفيتية ضعيفة ، وخشيت أن تهاجمها الدول البورجوازية فعمدت إلى عقد مواثيق عدم اعتداء مع جيرانها ، تتعارض تمام التعارض مع سياستها من ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ إلى يونيو ١٩٤٠ ، حين أصبح الاتحاد السوفيتي قادراً على مهاجمة جيرانه ، وافترس كثيراً منهم .

دار الصنعة الشيوعية

ولكن السياسة الخارجية السوفيتية ليست سراً غامضاً ، وهذا ستالين يقول وقد صدق : « إن سياستنا بسيطة واضحة » . فإن لهم فى سياستهم الخارجية خطة لا يحيدون عنها ، هى إقامة الديكتاتورية الشيوعية فى الأرض . والحكومة السوفيتية تعتبر نفسها دائماً فى حرب، إما سافرة وإما مقنعة ، تدور بينها وبين دول العالم غير الشيوعية . وكلما عانقت الحكومة السوفيتية دولة غير شيوعية معانقة الصديق ، فإنها تخفى فى يدها خنجراً تنوى أن تغمده فى ظهرها . فهذا هو السبب فى أن ستالين لا تلين له قناة ، وهو السبب فى إخفاق « الخطة العالمية » التى وضعها روزفلت . فينبغى لنا إذن أن نواجه حقيقة كريهة ، وهى أن ستالين كهتلر لا يقف من تلقاء نفسه ، بل يجب صدّه عند حدّ . ولكن أمثل هذا أ. الشيوعيين

على حق فى اعتقادهم بأن الحروب بين الاتحاد السوفيتى والدول غير الشيوعية حتم لا مفرّ منه ؟ كلا .

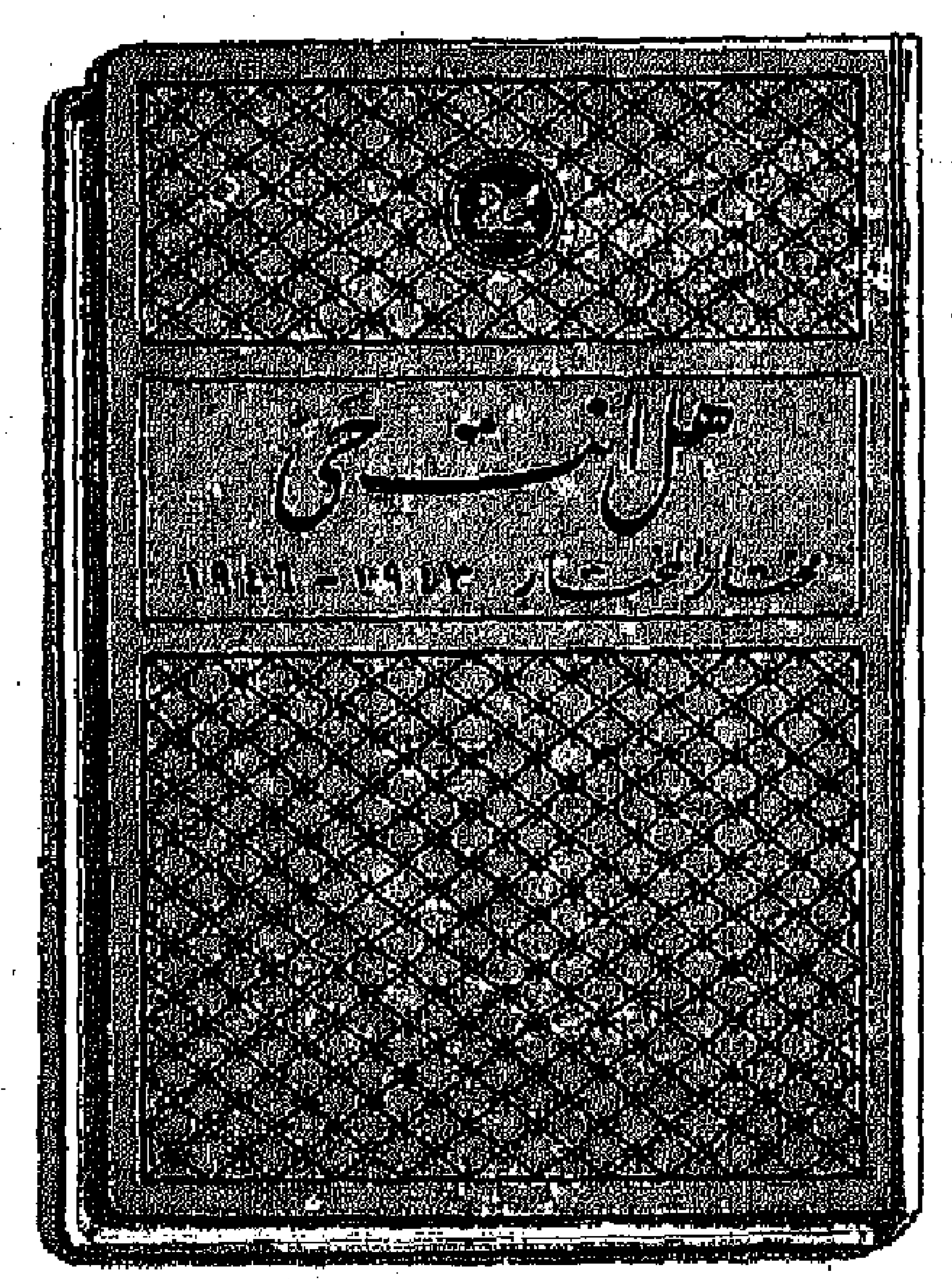
ويستطيع الديكتاتور السوفيتى ، إذا شاء ، أن ينتفع بقوة الاتحاد السوفيتى ونمو سكانه ، وبعقيدة الشيوعيين المؤمنين ، وبالتقاليد الاستعمارية الموروثة عن روسيا القيصرية ، وبمعونة الحكومات الموالية له والتى أقامها فى أوربة وآسية ، وبإخلاص الطابور الخامس الذى أقامه فى كافة الأمم باسم الحزب الشيوعى ، وبمساعدة أبواقه ودعاته ، وبالأحرار الذين أضناهم اليأس من علاج مشاكل الحياة الإنسانية ، بالوسائل الديمقراطية فرموا بأنفسهم بين أحضانه .

فهذه قوات عظيمة متجمعة فى يد ديكتاتور جبار عنيد ، تدفعه عقيدته إلى السعى لبسط سلطان الشيوعية على العالم ، وستفضى سياسة التهدئة والمسالمة بنا إلى الحرب ، أو إذا اتبعت هذه السياسة فإن الحكومة السوفيتية ستتخطى فى يوم من الأيام حدود المسالمة . فإن السياسة السوفيتية لا تخفى استنادها إلى الاعتبارات العسكرية . وهذا لنين لم يتردد فى التراجع حين وجد أمامه قوة تفوق قوته ، وكذلك ستالين لن يحارب إذا وجد أمامه مثل هذه القوة . وليس فى الأرض عمل مشروع مثل استخدام القوة ، إذا كان الغرض منه كسب الوقت حتى تنمو المبادىء الخلقية وتتمكن . ونماء المبادىء الخلقية فى الاتحاد السوفيتى يقتضى بعض الوقت . وليس ثمة وسيلة تمنعه من غزو الدول غير الشيوعية خلال ذلك سوى مواجهة قوته بقوة أعظم منها مهما كان ذلك شاقاً . والحكومات كلها تعمل اليوم على توطيد السلام ، إلا الحكومة السوفيتية والحكومات الموالية لها ، فهى تستعد للغزو . وهى تفضل بطبيعة الحال أن يتحقق هذا الغزو بغير حرب ، وأن تبسط ديكتاتوريتها على العالم دون أن تضطر إلى القتال . وأبناء الدول الديمقراطية وشعوبها يريدون استتباب السلام بيد أن غريزة حب البقاء لم تمت فى قلوبهم ، وسيعمدون وإن كرهوا إلى إعداد الجيوش وإقامة هيئات دولية تصون الأمن ، يبلغ من قوتها أن تكافح عن السلم وترد عادية كل معتدٍ ، ولو كان الاتحاد السوفيتى .





من مصانع «كاسونز» بمانشستر
(إنجلترا) خرجت أحدث الروائع
فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية
فى خمسة ألوان جديدة . وقد روعى
فى صنعها ان تكون ممتازة فى مادتها
ولونها ، فهى تحتل اليوم مكان
الصدارة فى صالونات التجميل
فى جميع أنحاء العالم .
Cussons أحمر شفاه
73 GROSVENOR ST. LONDON W. I. ENGLAND



"هل أنت حي"

كتاب جديد رائع ، يوحى بالقوة ، ويلهب العزيمة ، ويلهم سكينة النفس ، ويرسم نهجاً للحياة النافعة الزاخرة . صفحاته ٩٦ ، ولو عرض للبيع لما قل ثمنهُ على ٢٠ قرشاً ، ولكنه لن يعرض للبيع ، وهو يحتوى خير ما نشر فى المختار من مقالات تشحذ همتك وتسدد خطاك. إنه يعرض الآن عليك بغير ثمن .

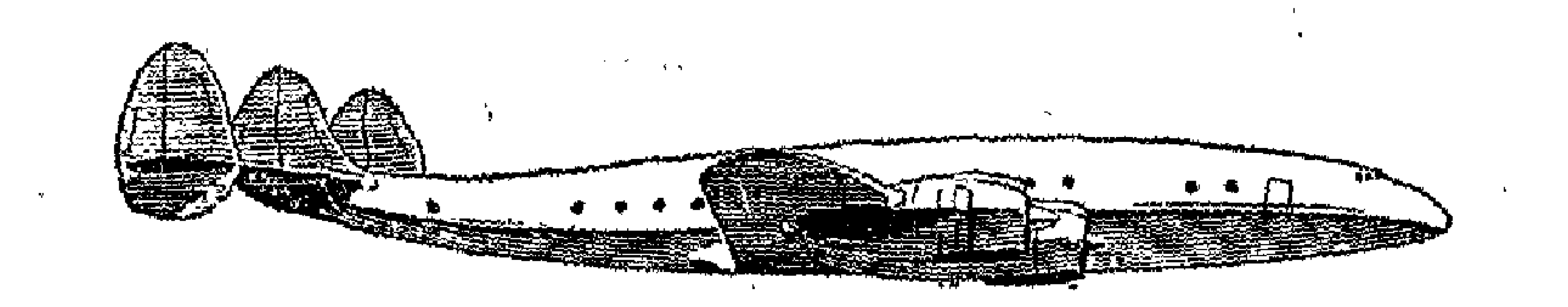
كيف تحصل على نسختك من كتاب "هل أنت حي"

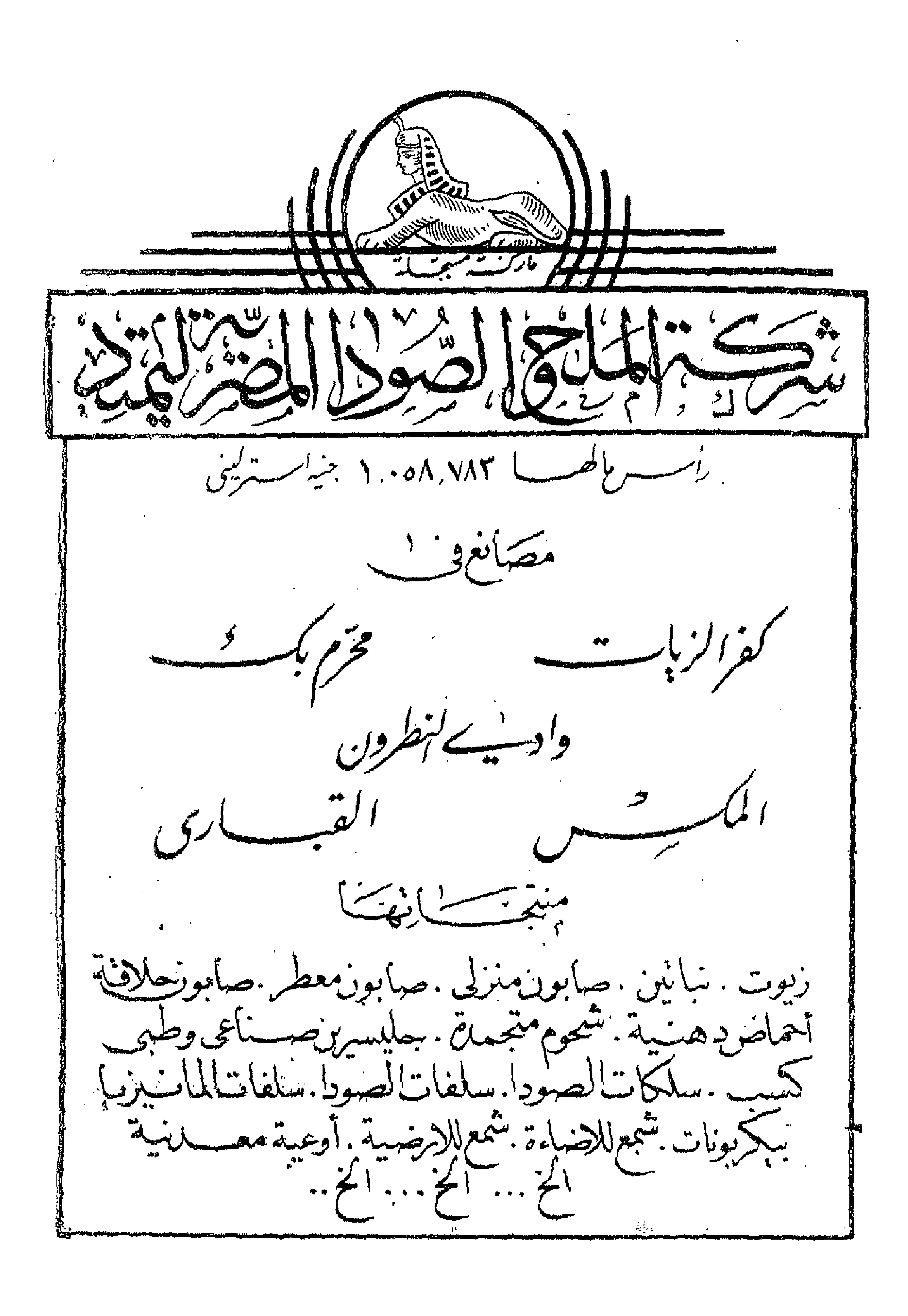
فى أعداد سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر التى تعرض للبيع ، قسائم وعلى كل منها تاريخ العدد الذى ترفق بهِ . فإذا أردت أن تظفر مجاناً بنسختك من هذا الكتاب الممتع النافع الجديد ، فما عليك إلا أن تفصل هذه القسائم ، فإذا جمعت ثلاثاً منها من ثلاثة أعداد من ثلاثة أشهر مختلفة ، وأرسلتها إلينا ومعها اسمك وعنوانك ، أرسلنا إليك نسختك هذه الهدية النفيسة .


أما المشتركون فليس فى أعدادهم قسائم وسيتلقون بالبريد ، بياناً يدلهم على طريق الظفر بهذه الذخيرة النفيسه الغالية .

بعض المقالات الممتعة فى الكتاب الجديد "هل أنت حي"

أطِعْ هذا الحافز . جرِّب كل شىء مرة . هل بين جنبيك قلب مهذب ؟ احصر ذهنك فى الموضوع . اتخذ من المرض مزية . كن سيد عملك . سر الشباب الدائم . لا تخف وابدأ من جديد . كيف تعاشر من تحب . افعل ما تتهيبه . كيف تكتسب الاتزان العاطفى .




ماركة مسجلة
شركة الملح والصودا المصرية ليمتد
رأس مالها ١,٠٥٨,٧٨٣ جنيه استرليني
مصانعها في
كفر الزيات
محرم بك
وادي النطرون
المكس
القباري
منتجاتها
زيوت . نباتين . صابون منزلي . صابون معطر . صابون حلاقة
أحماض دهنية . شحوم متجمدة . جليسرين صناعي وطبي
كسب . سلكات الصودا . سلفات الصودا . سلفات المانيزيا
بيكربونات . شمع للإضاءة . شمع للأرضية . أوعية معدنية
الخ ... الخ ... الخ ..


Kodak

امتياز قديم مأثور في الراديو والأجهزة الأليكترونية

إن علامة RCA التجارية ترمز إلى خير أجهزة الراديو والمعدات الأليكترونية التي تملأ النفس بروعتها ومزاياها — وهي ثمرة الخبرة والتجربة التي كسبتها شركة « راديو كوربوريشن أوف أمريكا » خلال ٣٦ سنة قضتها في الأبحاث الفنية والهندسية . إن RCA رمز يدل على اختيار قديم مأثور . . تراه بيناً في إقبال الزبائن على منتجات RCA وحرصهم على اقتنائها .

وشركة RCA تفوق كل شركة أخرى في مالها من قدم راسخة وأصل ثابت في كل ميدان من ميادين الراديو . . . والصناعة الأليكترونية . . . والتلفزيون . . . والصمامات . . . والأسطوانات . . . والإذاعة . . . وأجهزة الصوت في المدارس والمصانع . . . وتسجيل الصوت على الأفلام . . . وآلات عرض الأفلام المسجلة ، وكثير غيرها من المنتجات المماثلة .

والمنتجات التي عليها علامة RCA يراها كل مشتر حصيف في جميع أرجاء العالم أفضل المنتجات .



RCA INTERNATIONAL DIVISION

RADIO CORPORATION of AMERICA

745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.


رعب خفي
يعقد شفتيها ..
ولكن
عينيها وحدهما
تفصحان عما
تكتمه
شفتاها
الصامتتان !
دوروثي ماك جوير
جورج برنت
إثيل باريمور
في
سر
السّلم الحلزوني
بالاشتراك مع
كنت سميث • روندا فلمنج
إنتاج : دور شارى
إخراج روبرت سيودماك
سيناريو مل دينالي
RKO RADIO PICTURES
ر. ك. و
راديو بكتشرز

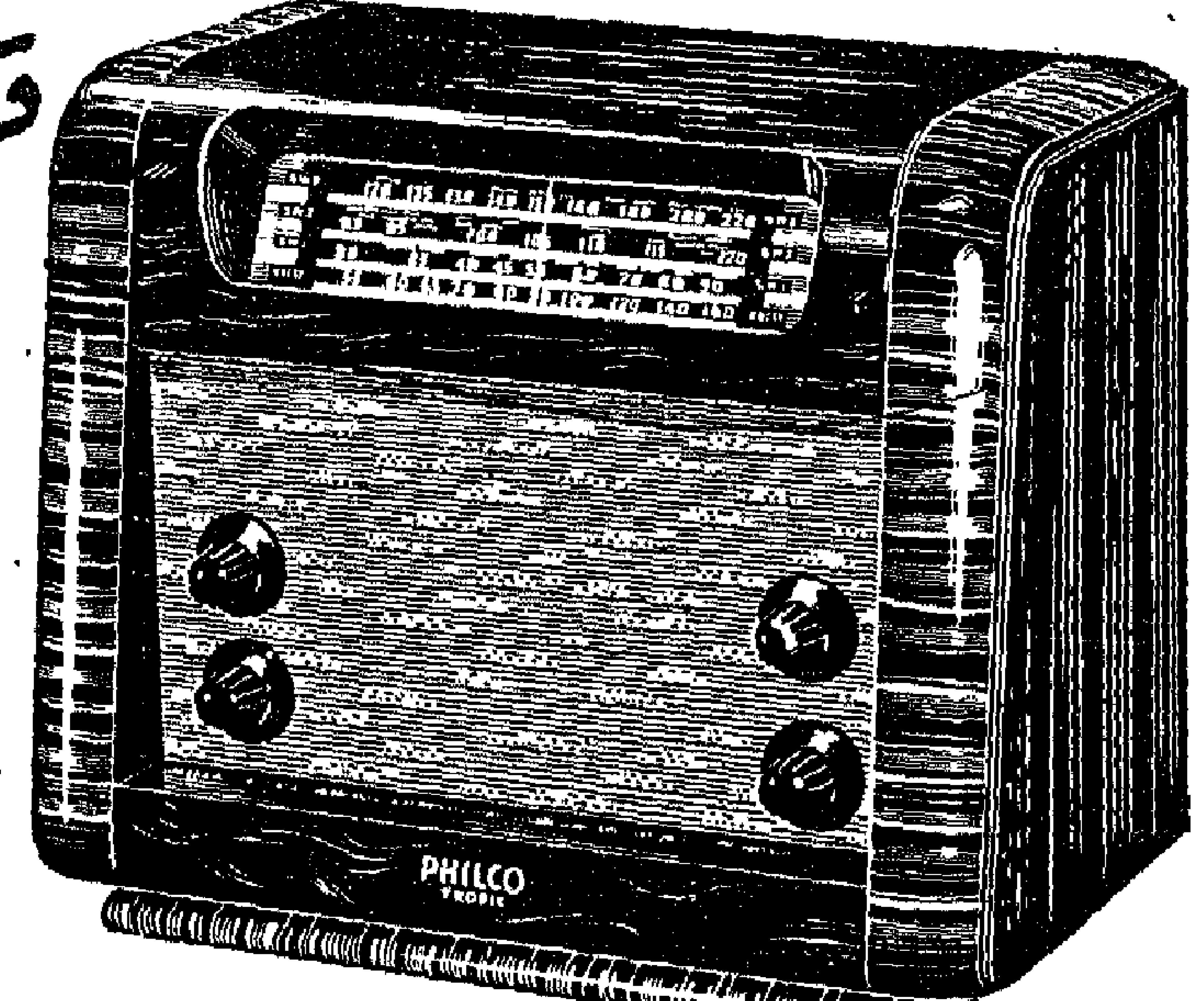


فى خدمتك
لمنتجات بترولية أفضل
المنتجات التى تريدها — فى الوقت الذى تريده — وفى الأماكن التى تريدها . هذا هو الأساس الذى يتيح لمصانعك قدرة أكبر واقتصاداً أعظم . و« كالتكس » تقدم لك كل ذلك — مورداً ميسراً يعتمد عليه ، لأجود أنواع الجازولين والكيروسين ، ومواد التشحيم ، ووقود الديزل وزيت الوقود .
SOCIETE CALIFORNIA TEXAS DES PETROLES, S.A.E.
9, Rue Fouad 1er, Cairo, Egypt.
CALTEX
كالتكس لمنتجات البترول

أجهزة راديو فيلكو

الجديدة العظيمة المصنوعة للمناطق الحارة

قد وصلت!



مصنوع لاستقبال العالم

أعظم أجهزة الراديو التى أخرجتها معامل « فيلكو » مزايا سبّاقة ، تتيح لك ضبطاً أيسر وأدقّ ، وجمالا أعظم وأرقّ فى الصوت . . . ومتعة أكبر فى برامج المسافات البعيدة على الموجة القصيرة . كل موديل يعطيك أكثر من ثمنه .

فيلكوتروبيك 816 : مناطق أمواج للضبط الكهربائى الدقيق ، ٥ صمامات ، ٤ مناطق للضبط منها اثنتان للأمواج القصيرة .

فيلكوتروبيك 805 : راديو مصنوع من المجانن للأمواج القصيرة ، جماله منقطع النظير ، ٥ صمامات ، ثلاث مناطق للضبط منها واحدة للإذاعات المحلية ، واثنتان للأمواج القصيرة من ١٣ متراً إلى ١٠٠ متر .

عاين اليوم هذه الأجهزة عند وكيل فيلكو الذى تعامله



PHILCO
INTERNATIONAL
CORPORATION
230, Park Avenue,
New York 17, N.Y.

قوة
جديدة من
شموع الاحتراق المضمونة
شامپيون

إن أصحاب المركبات — سواء أكانت سيارات أم كاميونات أم جرارات — يَنْشدون لآلاتهم أعظم قدر من القوة ، والضمان ، والعمل الاقتصادي النافع . وهذه الخواص التي تُعَدُّ مقياساً لأداء كل مركبة وجودتها ، هي الخواص التي يمتاز بها محركك حين تجهزه بشموع الاحتراق المضمونة « شامبيون » .

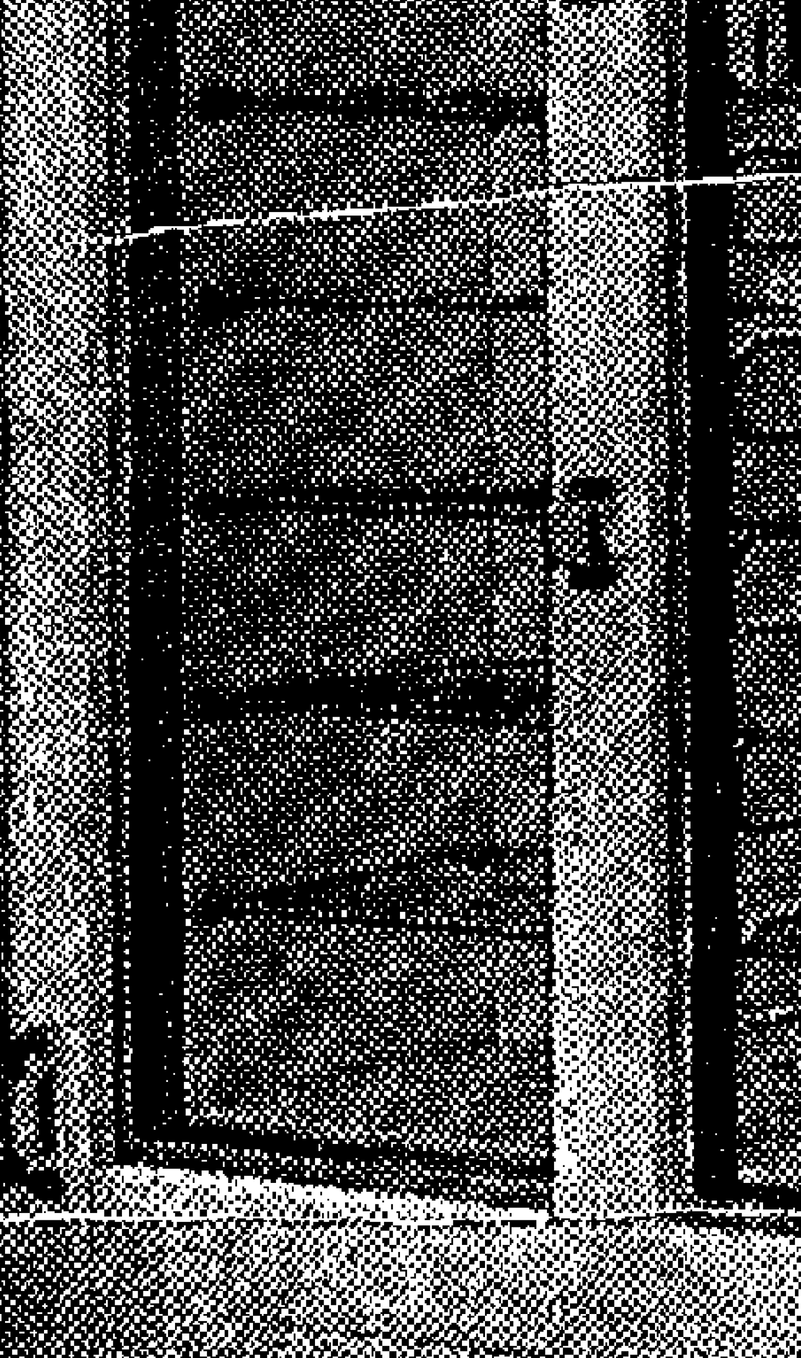
إن شموع الاحتراق « شامبيون » ، قد ظفرت بتفضيل الناس لمزاياها تفضيلا حاسما لأنها تجعل قوة المحرك أعظم ما تكون ، ونفقة صيانته أقل ما تكون ، فتضمن لك دائماً أكبر قدر من الكفاية ، وخدمة خالية من المتاعب .

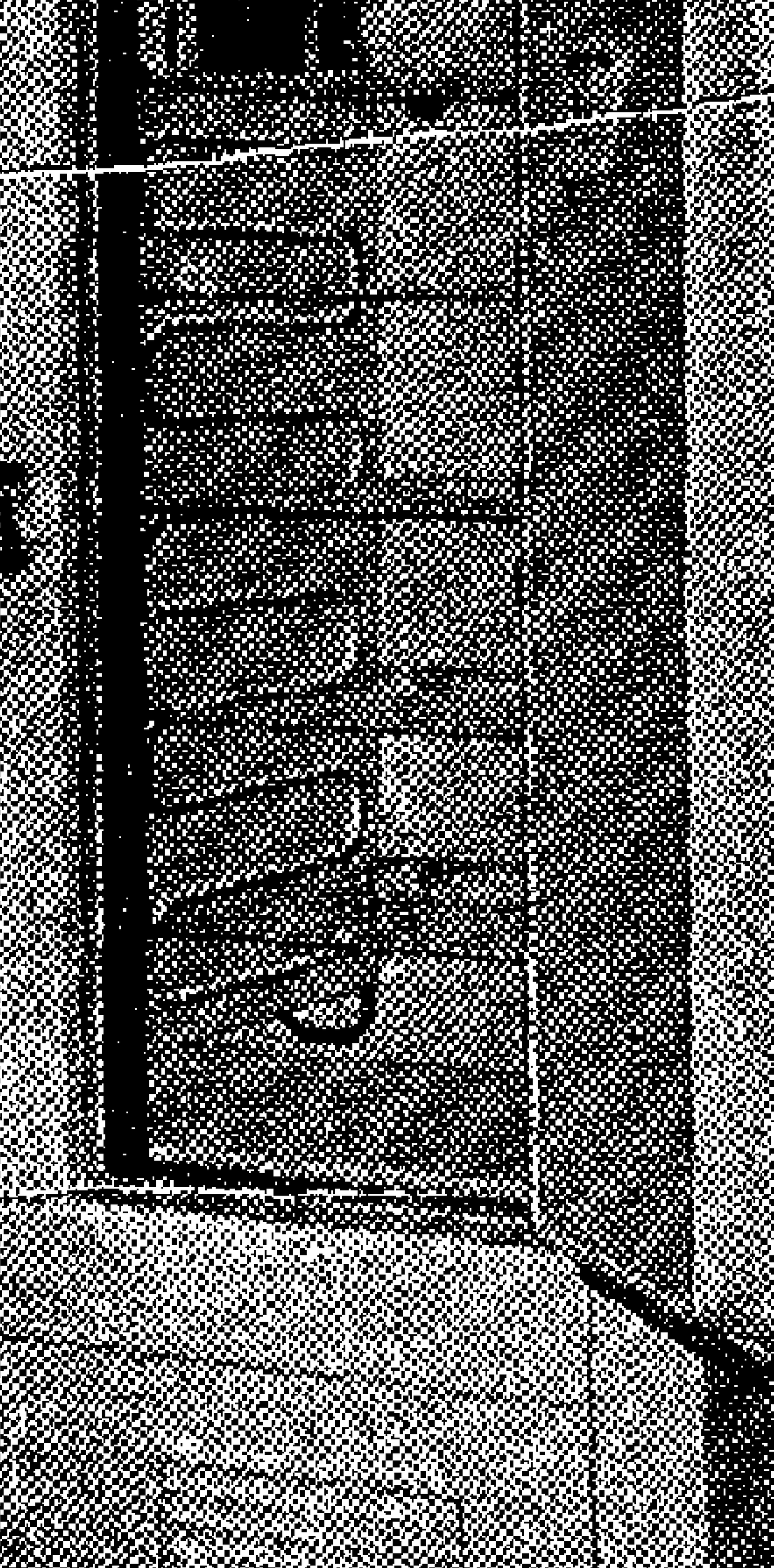


R-64-

صممت خصيصاً
واختبرت خصيصاً ...







ثلاجات « پرست كولد » "Tropic -Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S:C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكوّن بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD
للتبريد



شركة .E.A.S.T ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إيسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إيسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولانلى هانكى وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

شركة پرسد ستيل ليمتد

THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND



موتورات « رانسومس » الكهربائية ، يمكن الاعتماد عليها لأنها — ككل منتجات شركة « رانسومس » — آلات من الطراز الأول . فملفاتها ملفوفة آلياً ، وأجزاء الإنتاج والأجزاء الدوارة فيها ، متوازنة توازناً ديناميكياً ، والملفات تم عزلها بطريقة التفريغ من الهواء .

ومن يشتريها ، يثق بأنه اشترى آلة تعطيه نتائج مرضية ، في أشق الظروف وأصعبها .

وتقدم الشركة موتورات ذات التيار المتغير (من نوع المحركات التأثيرية) مختلفة القوى حتى قوة ٥٠ حصاناً ، وماكينات ذات التيار المستمر ، حتى قوة ٦٠ حصاناً تقريباً . وتقدم الشركة أيضاً مجموعة من الموتورات الصغيرة من الصنف الأول تتفاوت قوتها من حصان واحد إلى خمسة أحصنة .

موتورات ومولدات

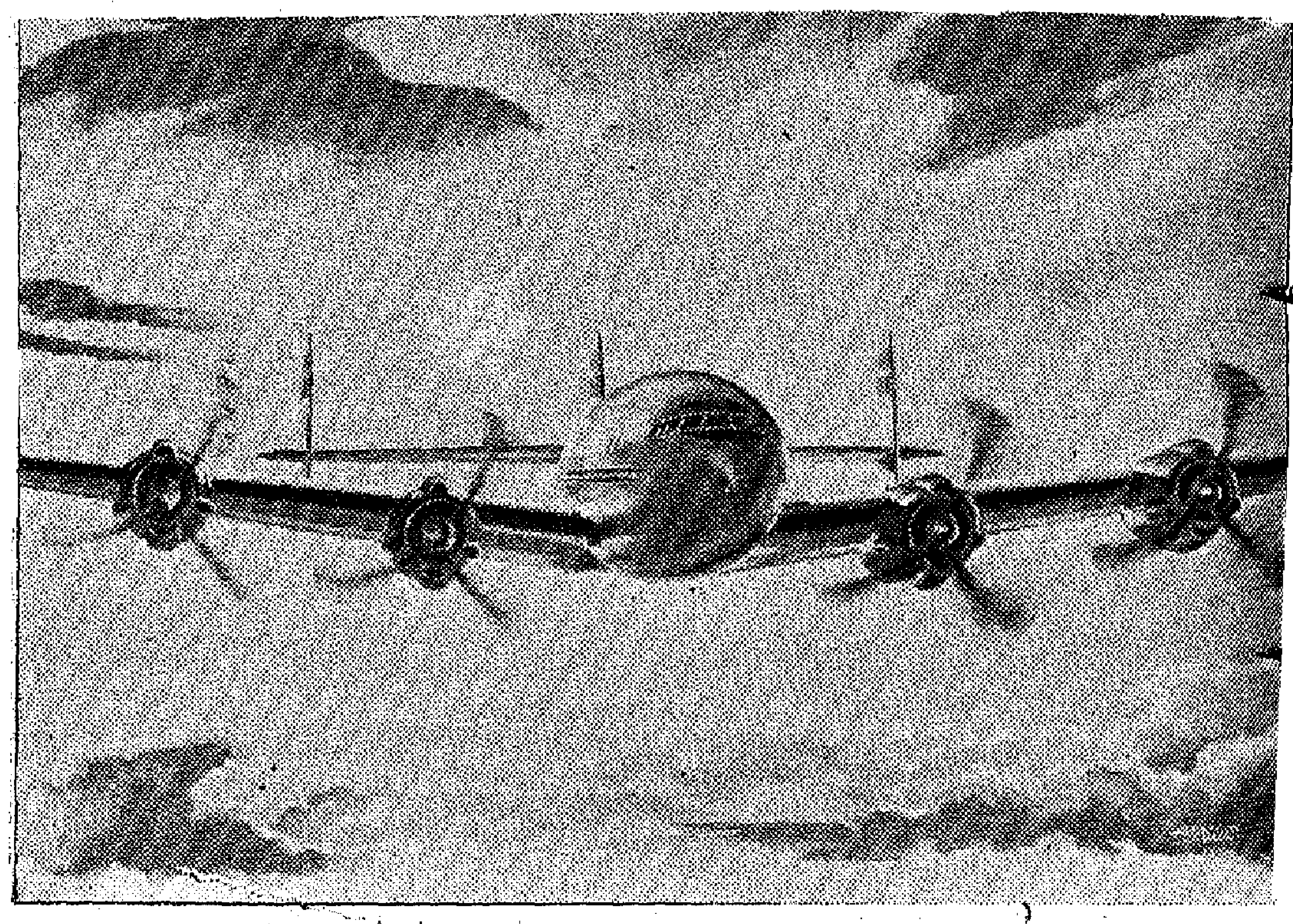
Ransomes

تطلب النشرات المحتوية على وصف هذه الآلات وصورها ، والنشرات المحتوية على تفاصيل العربات الكهربائية حمولة ١ ، ٢ طن » من...

RANSOMES, SIMS & JEFFERIES, LTD. IPSWICH, ENGLAND.

أو

الوكلاء الوحيدين بالقطر المصري ، **أنجال قلاده أنطون** ، بمصر واسكندرية



سباق مع الشمس

إن طائرات TWA تجرى كالشمس فى جو السماء فتذرع القارات والمحيطات . وقد رخص لشركة TWA حتى الآن بأن تنشىء خطوطاً جوية فى ٢١ بلداً فى أوربا وآسيا وإفريقية وأمريكا الشمالية ، وهى تحمل إلى الملايين من شعوب العالم آيات البراعة فى السيطرة على المسافة والزمن. تلك الآيات التى هيأتها لها تجربة ٢٠ عاماً قضتها تلاحق الشمس ملاحقة لم تزل تزداد سرعة وبعد مدى .

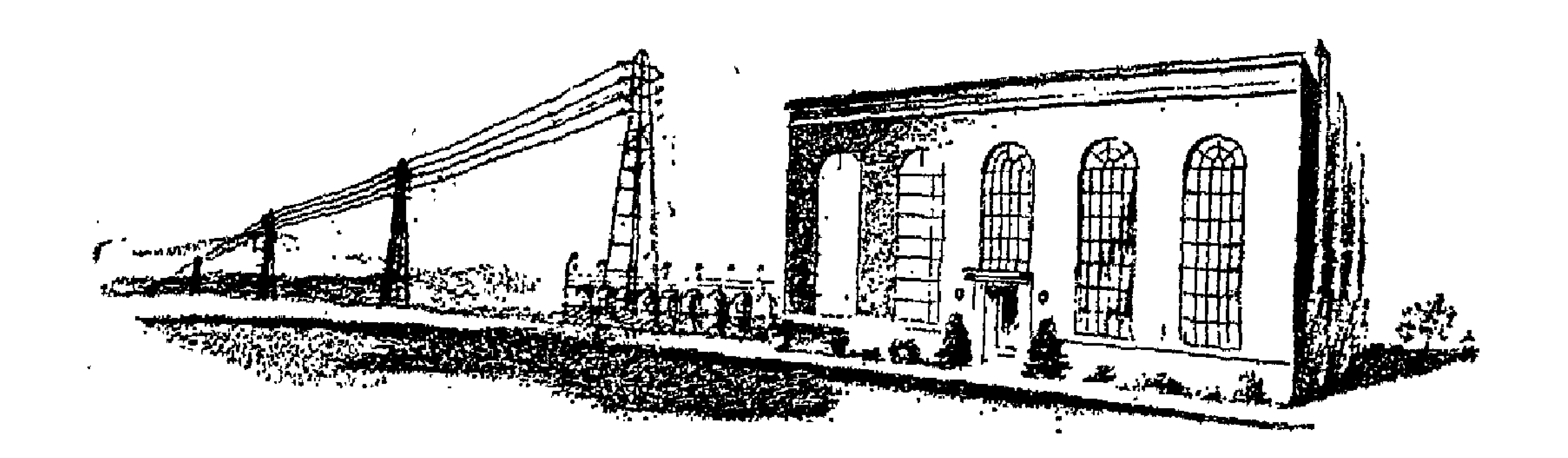
ماهى TWA

* TWA لها خبرة نيف و٢٠ عاماً فى الطيران .
* TWA أول من استخدم طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .
* TWA لها بين شركات الطيران ، أكبر هيئة من خبراء الظواهر الجوّية .
* TWA سبّاقة فى الطيران فوق أطباق الجو المضطرب ، وقد صنعت لذلك طائرات خاصة تطير على ارتفاع عظيم .
* TWA سجلت ٤٠٠٠٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩٠٠٠ رحلة فوق المحيطات ،
* TWA أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلسى .
* TWA صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالمية ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى ،
* TWA أول شركة طيران وضعت نظاماً لخط جوى يدور حول العالم ، وتُراعى فيه حاجات النقل لجميع شعوب الأرض .

TWA

TRANS WORLD AIRLINE

ـلات مباشرة مصرح بها بين : الولايات المتحدة . نيوفـ ندلاند . إرلندة . فرنسا . سويسرا ـاليا . اليونان . مصر . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . اليمن . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا .

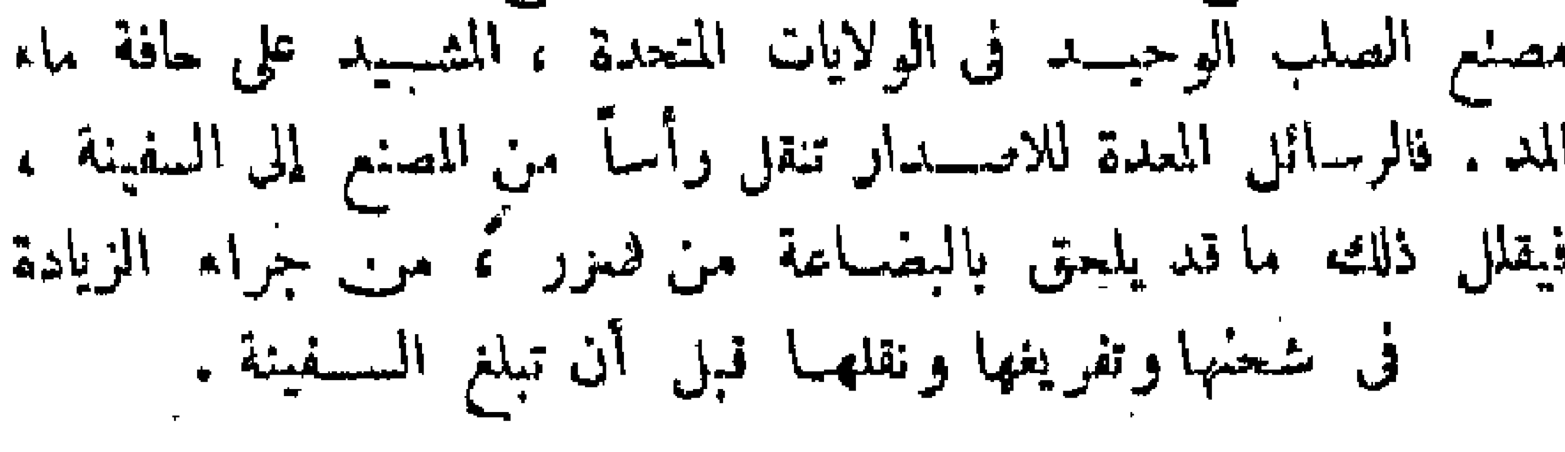


صفائح من الصلب

إن ألواح الصلب التى تنتجها شركة « بتلهيم ستيل » لهياكل السفن وخزانات الزيت أو الماء أو الجاز الخ . . . مصنوعة بدقة عظيمة حتى يتسنى تركيبها بيسر وبأقل نفقة ، وحتى تقاوم الوهن الذى يعترى المبانى ولكى تقوم بخدمة طويلة تبعث على الرضى التام .

وشركة « بتلهيم ستيل » التى تعد إحدى الشركات الكبرى فى العالم لإنتاج الصلب ، تقدم لك مجموعة كاملة من منتجاتها الفولاذية : كالأسلاك والمواسير والصفيح والرقائق وصلب البناء والصلب اللازم للسكك الحديدية والطرق العامة . . . الخ .

BETHLEHEM STEEL



وإن مصنع « سباروز بوينت » التابع لشركة بتلهيم ، هو مصنع الصلب الوحيد فى الولايات المتحدة ، المشيد على حافة ماء المد . فالرسائل المعدة للاصدار تنقل رأساً من المصنع إلى السفينة ، فيقلل ذلك ما قد يلحق بالبضاعة من ضرر من جراء الزيادة فى شحنها وتفريغها ونقلها قبل أن تبلغ السفينة .

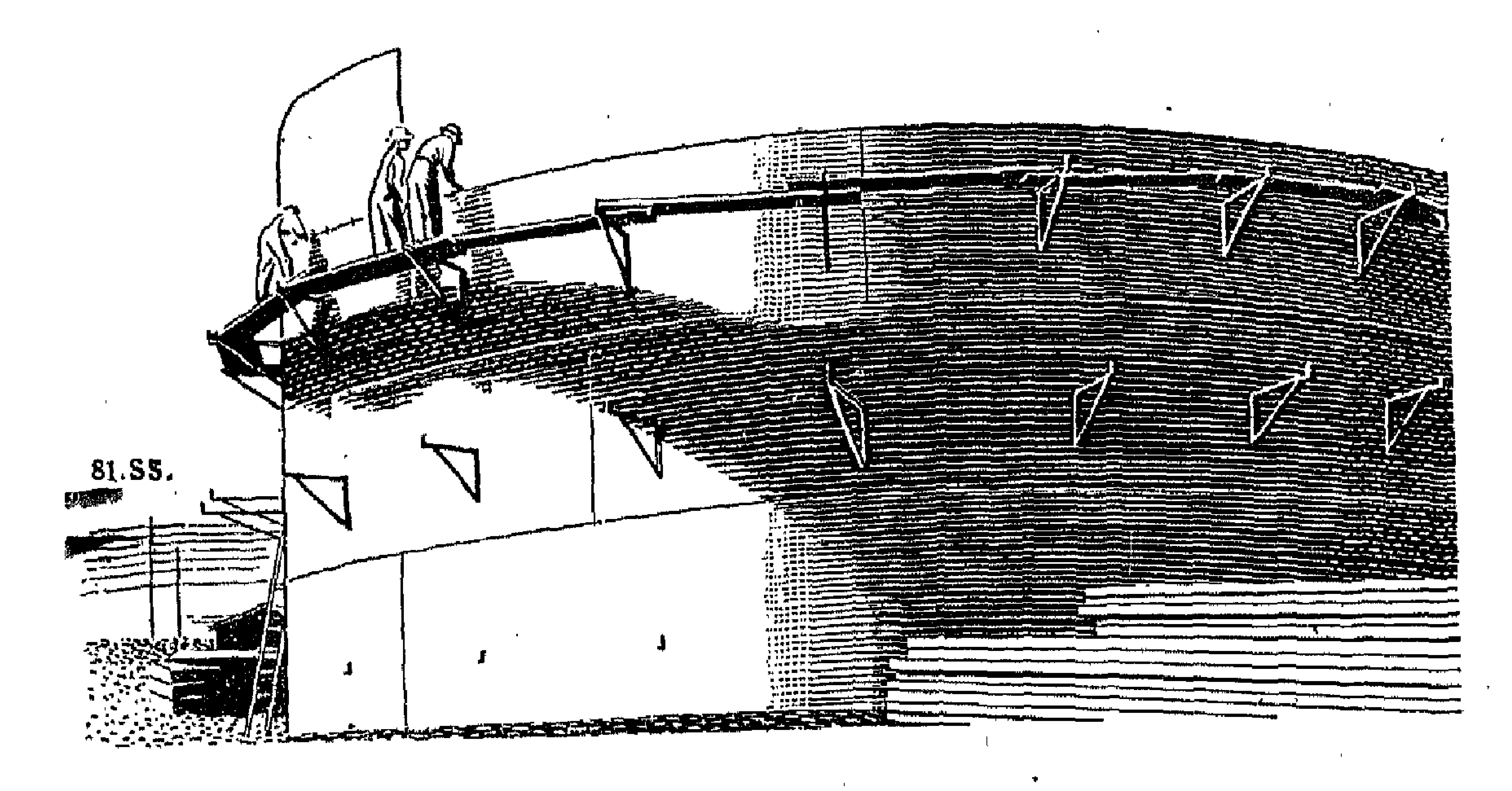
Bethlehem Steel Export Corporation

25 BROADWAY, NEW YORK, U.S.A.

الوكلاء فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ش . م . م .

فى العراق : ستانلى شعشوعة — فى فلسطين : رافائيل ملتز

فى سوريا ولبنان : مشيل سحناوى وولده



فلما اطلعت على مقالات العدد الأول لم أملك نفسى وقلت إن هذه المادة النافعة الملهمة ، الميسَّرة للقارىء ستسدى يداً بيضاء نافعة فى سدّ حاجات ملحة تتطلبها شعوب آخذة بأسباب اليقظة ، فتمنيت من صميم قلبى ، أن ينجح مشروع فؤاد صروف ، لا من أجله وحسب ، بل من أجل أمتنا العربية على الخصوص .


والمختار تستهل فى هذا الشهر سنتها الرابعة ، وقد صارت فى السنوات الثلاث الأخيرة علماً معروفاً فى حياتنا كالأهرام نفسها ، ولست فى حاجة إلى أن أصف بأى حفاوة استقبل الناس من جميع الطبقات مجلة المختار فى جميع أرجاء العالم العربى ، وكيف انتفعوا بها ، فقد تعلمت ألوف من الأسر ، كما تعلمت أنا وزوجتى وأولادى ، أن يقرأوها من أجل ما فيها من المتعة ، ولكى يظلوا أيضاً على صلة وثيقة بتيارات الفكر العالمية الزاخرة التى تحيط بكرة الأرض .

وتعبير « تيارات الفكر » ليس مجازاً وحسب ، إنها قوة حقيقية ملموسة يطرد اتساع نطاقها على الزمن . فقد مضى الزمن الذى كان يسع الشعب أو الفرد أن يبقى بمعزل عن هذه التيارات المتدفقة . وقد أتيح لى منذ عهد قريب أن اجلس مع أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، وهم يحاولون فى نشأتها أن يجدوا الحلّ الموفق للمشكلات والمصاعب التى تساور عالمنا المكدود . وهذه التجربة إنما هى درس فى التربية الدولية للأعضاء جميعاً . وأحد الدروس التى كان الأعضاء يتلقونها كل يوم ، هو أن كل خطوة تخطوها أية أمة فى طريق التقدم إن هى إلا خطوة تخطوها جميع الأمم فى هذا الطريق نفسه — بل هى خطوة تخطوها الإنسانية قاطبة . فإذا اكتشف عقّار جديد فى السويد ، أو إذا عقد لواء الظفر فى كفاح الأمية فى الصين ، أو إذا تم اختراع آلة جديدة فى أمريكا ، أو إذا مانجح مشروع المنايل فى مصر ، فالعالم كله يتقدم قليلاً فيدنو من حقيقة العالم الذى ينبغى أن يكون .

إن مجلة المختار مجلة دولية وقفت نفسها على رواية هذا الضرب من التقدم حيث يتمّ . وقد علمت أنها تنشر الآن فى أكثر من ثمانى لغات ، وتوزع فى أكثر من ثلاثين بلداً ، وأنا أعدّ إقبال العالم العربى عليها واحتفاءه بها من علامات تقدمنا . وليس من المصادفات أن نجد هذه الأداة المثقفة بين أيدينا فى الحين الذى تأخذنا فيه سورة الغبطة ببعث طال عليه الزمن ، وفى الحين الذى نعانى فيه مشكلات هذا البعث . وإن الدول العربية فى تقاربها ، وفى سيرها لكى تتبوأ مكانها بين أمم الأرض ، تلقى على كواهلنا جميعاً تبعة عظيمة تطرد على الأيام زيادةً ، هى أن نصنع مايفيد التقدم ، لا فى بلادنا وحسب ، بل فى أرجاء العالم كله . فإلى جميع العرب الذين يتوقون إلى السير قدماً مع العالم ، أقدم هذا الصديق البشير — بشير التقدم والمودة .

حافظ عفيفى

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية



عنوانٌ على النهضة

الدكتور حافظ عفيفي باشا
رئيس مجلس إدارة بنك مصر وعضو مجلس الإدارة المنتدب
مندوب مصر في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن

منذ أكثر من ثلاث سنوات كان صديقي فؤاد صروف منهمكاً في إعداد الجزء الأول من المجلة التي كانت يومئذ مجلة بغير اسم ، ثم صارت تعرف باسم « المختار » . وقد سألني هل تصلح لنا مجلة من هذا القبيل وتلائم ذوق أمتنا.

وكنت أعرف مجلة ريدرز دايجست وماتسديه من خدمة نافعة فيما تختاره من مجلات العالم والكتب المطبوعة ، وتهيء منه كل شهر مختصراً متنوع الألوان متعادل الأقسام من خير مجالي الفكر في أيامنا هذه . ثم كنت أعلم أيضاً أن الذين يتكلمون الإنجليزية ، والذين يتكلمون الإسبانية والبرتغالية في قارة أمريكا الجنوبية ، وأهل السويد في الشمال البعيد ، كانوا يشاركون في هذه التجربة التي تولتها الريدرز دايجست في تبادل الفكر والرأي بين أمم الأرض. فقلت لفؤاد إنني أرى أن أمم العالم العربي متشوّقة إلى المساهمة في مثل هذا الجهاد النافع المجدي في سبيل الثقافة .

وقد أطلعني فؤاد على بعض المقالات التي كان يعدُّها للطبع يومئذ ، ومازلت أذكر حتى الساعة مقالة عنوانها « إذا أردت أن تتعلم » ، وهي تنطوي على وصف مدرسة يستكشف فيها الصغار أن التعلم مَسْلاةٌ ومسرّة وليس محنة قاسية . وكان هناك مقالة تبيّن طريقة جديدة لتوليد الأمهات ، أيسر وآمن مغبّة مما سبقها من الطرائق ، ثم كانت هناك ترجمة مدام كوري ومختصر سيرتها الرائعة .

[التتمة على الصفحة السابقة]